محمد محجوب مالك

المقاومة الداخلية لحركة المهدية

(١٨٨١ - ١٨٩٨م.)







المقاومـة الداخلية
لحركة المهديـه

محمد محجوب مالك

المقاومة الداخلية لحركة المهدية

(١٨٨١ - ١٨٩٨م.)

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م

مُقَـدِّمَة

بدأت فكرة هذا البحث ، تخطر في ذهني عندما كنت أفهرس وثائق دفاتر صادر المهدية [1] .

ففي مقتبـل عملي بدار الوثـائق المركزية كلفت بأن أضع فهرسا للوثائق الواردة في هذه الدفاتر ، بأن أبيّن راسلها والمرسل اليهم وتواريخ الصدور ، وأن أضـع ملخصات لمواضيع الخطـابات وأن أرصد بعض الموضوعات الكبيرة . وكانت الدفاتر تبلغ سبعة عشر دفترا ، وبها ٦٢٢٤ رسالة منها ١٦٣ رسالة صادرة باسم المهدي والباقي صادر عن الخليفـة عبدالله ، إما بصفته نائبا عن المهدي أثناء مرضه أو نائبا عن المهدي فـي الايام التي تلت وفاة المهدي ، واما بصفته خليفة للمهدي ، والرسائل التي صدرت عنه بالصفة الاخيرة هي الغالبة . وبدأ تسجيل الرسائل في ربيع الاول ١٣٠٢ هـ واستمر حتى عام ١٣٠٥ هـ .

في هذه الفترة القصيرة أي ما بين منتصف ١٣٠٢ هـ ومنتصف١٣٠٥هـ ويوافق ذلك ١٨٨٥ ــ ١٨٩٠ م ، كانت تتم تحـولات خطيرة في حركـة

---

(١) هذه الدفاتر محفوظة بدار الوثائق المركزية تحت رقم : مهدية ، القسم الثالث .

المهدية ، فقد سقطت الخرطوم وبدأ معسكر المهدي يقوم في أم درمان والتي أصبحت فيما بعد عاصمة هذا النظام . ثم توفي المهدي وخلفه الخليفة عبدالله ، وبذلك تغيرت رئاسة النظام تغيرا جذريا وأفضت الى مشاكل تتصل بأصل النظام وبوضعها في العاصمة والاقاليم . وبالقوات الانجليزية ، التي كانت تنسحب شمالا ، هزمت قوة صغيرة من قوات المهدية في بلدة جنس [٢] ثم مضت شمالا لتستقر في حلفا والتي أضحت آخر نقطة للقوات المصرية جنوبا . وقد خلقت هذه الهزيمة رد فعل كان من نتائجه ابعاد محمد الخير عبدالله خوجلي ، عامل عموم المهدية في دنقله وبربر وأحد الشخصيات الرئيسية . وبتغير رأس النظام ، تغيرت موازين النظام ، فأضحى بعض الانصار معارضين ، بينما تحفز البعض ، لمزيد من السلطة والقوة . وبعض المؤيدين غيّر رأيه في النظام كله وفي فكرة المهدية على اعتبار ان المهدي قد توفي قبل أن يوفي بما وعد به . وبعض القبائل أضحت تميل الى البعد ثم الى المقاومة .

هذه الفترة القصيرة التي قضيتها مع هذه الدفاتر ، فتحت أمامي قضية الصراعات الداخلية في المهدية ، قضية المهدية ضد المخالفين والمعارضين لها ، أو قضية المعارضين لهذه الحركة ، ومع توالي الصفحات وتعاقب الرسائل ، كنت أزداد معرفة وفهما للحوادث التي تحدث في العاصمة ، في كردفان ، في دارفور ، في شرق السودان ، في حدود الحبشة ، في بربر ودنقلا ومختلف مواقف الاشخاص والمجموعات البشرية . ولما فرغت من هذا الامر كان عندي ما أقوله عن هذه الحركات وان كانت افكاري متقطعة وغير مترابطة وغير متكاملة .

ووجدتني أعود الى أمهات مراجع المهدية ، كتاريخ السودان لنعوم

(٢) Holt, P. M. : The Mahdist State in the Sudan, P. 127

شقير ، الجزء الثالث ، وهو من أهم المصادر التقليدية لهذه الفترة ،وكتاب المهدية والسودان المصري لونجت [٣] ، والمهدية لثيوبولد وغيرها ـ، فوجدتها تتعرض الى هذه الصراعات تعرضا لا بأس به ، ولكنها تعالجها هنا وهناك بغير رابط وأحيانا بغير وعي بأسبابها ومعللاتها . وهذا دفعني الى مزيد من البحث في كتب المحدثين والرسائل الجامعية . وقد وجدت هذه أيضا تعالج الصراعات حسب مناسبات مواضيع الابحاث . ولم أجد من توفر لهذه الصراعات بالدراسة والبحث ، فيضعها موضعها الصحيح كموضع مستقل للدراسة .

على ان الحصيلة التي خرجت بها من هذه المراجعة ، كانت حصيلة كافية لان تدفعني الى أن أجعلها أطروحة ، تحت عنوان « المقاومة الداخلية لحركة المهدية ١٨٨١ ــ ١٨٩٨ » وأن أعيد النظر في الآراء والنتائج التي توصل اليها الكتاب في ابحاثهم عن حركة المهدية من الداخل .

وقبل تنظيم وفتح وثائق المهدية للبحث العلمي كان الدارسون لتاريخ المهدية يعتمدون على ما كتبه ونجت في كتابه « المهدية والسودان المصري » ونعوم شقير في كتابه « جغرافية وتاريخ السودان » [٤] .

---

(٣) Wingate, F. R. : Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891).
السير فرنسيس رجنلد ونجت (١٨٦١ ــ ١٩٥٣) ضابط بريطاني ارتبطت صلته بمصر والسودان منذ تعيينه في الحملة الانكليزية ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ لانقاذ غوردن باشا الى أن صار مديرا لادارة مخابرات الجيش المصري (١٨٩٧ ــ ١٨٩٨) وصار حاكما عاما للسودان (١٨٩٨ ــ ١٩١٧) ثم صار مندوبا ساميا بمصر وأبعد في سنة ١٩١٩ اثر حوادث ثورة ١٩١٩ وتوفي في يناير ١٩٥٣

(٤) نعوم شقير (١٨٦٣ ــ ١٩٢٢) من مواليد لبنان تلقى تعليمه بكلية البروتستانت(الجامعةالامريكية فيما بعد) رحل الى مصر وعمل بحملةالنيل للفترة ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ ثم التحق بمصلحة المخابرات المصرية ١٨٩٠ ـ ١٩٠٠ وعندما نقلت مصلحة المخابرات الى السودان تولى رئاسة قسم التاريخ الى نهاية حياته .

والاب اهرولدر [٥] وسلاطين [٦] وابراهيم فوزي [٧] وغيرهم من الكتّاب المعاصرين لفترة المهدية ٠ ولم يكن بين هؤلاء من يهتم كثيرا بالاحداث الداخلية الا في الاطار العام لمجرى ابحاثهم خاصة ونجت ونعوم شقير ، فقد كانا من كبار رجال المخابرات المصرية الحربية ٠ وكل من هؤلاء كانت له أهداف معيّنة حددت مسار نظرته وآرائه لتاريخ الثورة المهدية ، ولا يعني هذا اغفال المعلومات والحقائق التي وردت في ابحاثهم ٠

لقد وفرت دار الوثائق المركزية ، الوثائق الاصلية للمهدية وأوراق المخابرات المصرية التي كانت ترصد حركات المهدية وأخبار السودان مما طوّر الدراسات التاريخية الاكاديمية عمقا واتساعا وتنوعا ٠ لقد سهلت

---

(٥) الاب اهرولدر Ohrwalder قس نمساوي ، كان تابعا لبعثة الكنيسة الرومانية لوسط افريقيا .عند قيام الثورة المهدية كان يعمل بكنيسة الدلنج في جبال النوبة . اخذ اسيرا وقابل المهدي في الابيض وسار معه الى أم درمان. هرب الى مصر عام ١٨٩٢ . زار السودان بعد الفتح وتوفي بأم درمان في عام ١٩١٢ . نشر في عام ١٨٩٢ كتابا باللغة الالمانية عن تجاربه في السودان . قام ونجت بتحقيق ونشر هذا الكتاب باللغة الانكليزية تحت اسم :
Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp 1882—1892 .

(٦) سلاطين (١٨٥٧ — ١٩٣٢) Rudelf Karl , Von Baren Slatin Pasha نمساوي الجنسية ، عمل بخدمة الحكومة المصرية وحكومة السودان . عمل بالخرطوم للفترة من ١٨٧٤ — ١٨٧٦ مع نائب القنصل الالماني وزار كردفان ثم عاد الى النمسا . في عام ١٨٧٨ عينه غردون مفتشا ماليا للسودان . وفي عام ١٨٧٩ رقي مديراً لدار بمديرية دارفور . سلم لجيوش المهدية في عام ١٨٨٤ وظل أسيرا لمدة احدى عشرة سنة بأم درمان . هرب الى مصر في عام ١٨٩٥ . عمل مع كتشنر باشا في حملات دنقلا والنيل كمساعد لمدير المخابرات . اورد تجاربه عن السودان في كتابه «السيف والنار في السودان» Fire & Sword in the Sudan وقد ترجم الى عدة لغات .

(٧) ابراهيم فوزي باشا (١٨٥٣ —) بدأ حياته العسكرية بالخدمة في السودان . اعجب به غردون باشا وعمل معه في كل فترات حكمه بالسودان. كان مديرا للخرطوم وقد وقع اسيرا بعد سقوط الخرطوم وبقي بأم درمان الى نهاية الدولة المهدية . في عام ١٩٠١ نشر ذكرياته في كتاب اسماه (السودان بين يدي غردون وكتشنر) .

الوثائق دراسة فترة المهدية من الداخل وظهرت أعمال جديدة عن الخلفية الاسلامية لحركة المهدية وعن النظم الادارية والاقتصادية وقد اهتم بعضهم بدراسة تاريخ المهدية على أساس اقليمي كالجزيرة وكردفان ودارفور وشرق السودان . ان مجموعة الابحاث التي كتبت عن الفترة بعد تيسر وثائق المهدية بشكل منتظم قد دفعت بالدراسات التاريخية الى الامام وقد ازدادت معرفتها بالمهدية زيادة ملحوظة .

لقد اعتمدت في هذا البحث بصفة أساسية على وثائق المهدية المحفوظة بدار الوثائق المركزية في الخرطوم وركزت على مجموعة المهدي في كتابة الباب الاول والثاني وركزت على الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وكبار رجال دولته في كتابة الباب الثالث ووضعت وصفا لهذه المراجع في مقدمة المصادر .

وفي عام ١٩٧٠ أتيح لي أن أقف على الوثائق الخاصة بالسودان والمحفوظة بأرشيف رئاسة مجلس الوزراء المصري وقد سمح لي بتصوير عدد منها . وهذه وثائق تيسّر للدراسة لاول مرة ، وهي تلقي الضوء على التعاون بين السلطات الحاكمة في مصر وبين بعض القبائل التي كانت مناوئة لحركة المهدية والتي ظلت على اتصال بهذه السلطات بهدف مقاومة حركة المهدية . وسوف يجد القارىء نموذجا من هذه الوثائق في الملاحق.

ولقد اطلعت على عدد كبير من المصادر الثانوية وخاصة تلك التي اعتمد كتابها على وثائق المهدية . ظهر بعضها في شكل كتب والبعض الآخر في مقالات نشرت في المجلات . كما اطلعت على رسائل جامعية، لم تنشر بعد ، تكرم أصحابها بالسماح لي بالاطلاع عليها .

ومن أهم المراجع باللغة الانكليزية ، أعمال الدكتور هولت . وفي

مجال التأليف باللغة العربية تحتل أعمال الدكتور أبو سليم مركز الصدارة، وهو يعتبر الرائد الاول في تحقيق وثائق المهدية • ظهر له كتاب منشورات المهدية الذي حقق فيه عددا من منشورات المهدي وبعض رسائل الخليفة عبدالله وكتب له مقدمة ضافية أثار فيها كثيرا من القضايا عن حركة المهدية والنظرة الاسلامية لمفهوم الخلافة والامامة والهجرة ونشر أخيرا مخطوطي اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، الاول : سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي • والثاني : الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الجيوش •

استفدت كثيرا من هذه الدراسات في تلمّس أطراف المقاومة الداخلية لحركة المهدية ورد الفعل الذي أحدثته الحركة المهدية في المجتمع السوداني، مما جعلني أعيد النظر في الآراء التي قيلت عن حركة المهدية ابتداء من أسباب قيامها الى نهايتها •

لقد تجمعت عدة أسباب لقيام حركة المهدية ونجاحها في الجزء الاوسط من وادي النيل وكان ظهور المهدي المنتظر متوقعا في العالم الاسلامي ، منذ أن بدأت نهاية القرن الثاني عشر الهجري تقترب وكانت الطوائف الدينية في العالم الاسلامي تقوم بنشاط ديني كبير • ومن هؤلاء تلامذة السيد أحمد بن ادريس في اليمن وشمال افريقيا والسودان الشرقي والغربي • وعندما أعلن محمد أحمد المهدي دعوته لم تسارع هذه الطوائف للاشتراك في دعوته بل ظلت تراقب تحركاته بحذر وقد تيقن بعضها عند وفاته المبكرة بأم درمان في ٨ رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٥ م بأنه ليس المهدي المنتظر •

وهنا تتساءل لماذا قامت دعوة المهدية بالسودان ونجحت فيه دون غيره من أجزاء الدولة العثمانية ؟ ولماذا لم يتجاوب العالم الاسلامي مع الدعوة ؟ وهل كان أهل السودان أكثر تدينا من بقية أجزاء العالم الاسلامي

الاخرى ؟ وهل كان سوء الادارة وعدم الاهتمام بالتعاليم الاسلاميةقاصرا على حكام السودان وحدهم ؟ وثمة تساؤل آخر : ما هي الدوافع التي جعلت المهدي يختار الهجرة الى جبل قدير وينجح في اشعال الثورة في جنوب كردفان بعد أن انطلقت الشرارة الاولى في جزيرة ابا على النيل الابيض ؟ بمعنى آخر : هل كان نجاح الثورة المهدية راجعا الىاستراتيجية المكان ومرتكزات الحركة الاساسية المتمثلة في القيادة الشخصية للمهدي وحواريه أم الى القبائل البدوية التي تحارب للتخلص من دفع الضرائب والاستمتاع بالغزوات الحربية وامتلاك الغنائم ؟ أم كان راجعا الى الجلابة من سكان المناطق النيلية والذين تضرروا من محاولات الادارة التركية المصرية لمنع تجارة الرقيق ومن معاكسة الحكام لهم في غرب السودان ؟ هذه أسئلة جوهرية في موضوعنا وسوف نحاول معالجتها .

ولقد وقف عدد من العلماء ومشائخ الطرق الصوفية وزعماء بعض القبائل ضد حركة المهدية كما قامت السلطات الحاكمة بعدة حملات ضد الحركة ولكنها لم تفلح في القضاء عليها . فما هي الاسباب التي جعلتهذه الفئات تقف ضد حركة المهدية وما هو الاثر الذي تركته في الحركة وماذا كان رد فعل حركة المهدية على المقاومة هذه ؟

وقد بدأت الحركة بعد نجاحها تواجه الانقسام من الداخل ، وهذا جعل بعض الاتباع في موقف المقاومة والمعارضة . ان تفكير المهديالسلفي جعله يخلق أربعة مراتب موازية لمراتب الخلفاء الراشدين وقد جعلها لكبار أتباعه والذين لم يكن لهم وضع وظيفي في حياة الرسول (ص) وانما كانوا كسائر صحابته . ولم يعط النبي لهم قيادة الجيوش على النحو الذي فعله المهدي . وقد عيّن المهدي كبار أصحابه في هذه المراتب وقسمالجيش الى رايات أربع ، كانت في مبدأ امرها موازية لرايات الاقطاب الاربعة . وبعدم استجابة محمد المهدي بن السنوسي لتولي كرسي خلافة عثمان ،

أصبح الخلفاء ثلاثة . وكان لكل منهم راية في الجيش التابع له .وانقسم الجيش اقليميا ، فأبناء الغرب انضموا تحت الراية الزرقاء (السوداء) وقائدها الخليفة عبدالله والراية الخضراء انضم تحتها ابناء النيل الابيض والراية الحمراء انضم تحتها أبناء الجزيرة والمناطق النيلية الشمالية . وقد كانت الراية الزرقاء أكبر الرايات وقائدها أقوى الخلفاء . وفي باديء الامر احتدم الصراع بين أتباع الراية الزرقاء والراية الحمراء . أبنـاء الرايـة الزرقاء يعتمدون على مكانة قائدهم وكثرتهم العددية ودورهم في الثـورة وأبناء الراية الحمراء يعتمدون الى قرابة قائدهم للمهدي ومؤازرة أقاربهم الاشراف ، مما سبب للمهدي كثيرا من الحرج .

لقـد سبب هذا الصراع شروخا كبيرة في حركة المهدية وأفقدهـا التماسك القومي ولون كثيرا من اجراءاتها بألوان عنصرية ، خاصة بعـد أن انتقلت الحركة من سهول كردفان الى ضفاف النيل ، وفقدت الحركـة استراتيجية المكان كما فقدت القيادة الملهمة بوفاة المهدي والذي انفتح من بعده باب الصراع على الخلافة والمنازعات بين الخليفة عبدالله والاشراف وظهور حركات يطالب قادتها بكرسي خلافة عثمان ونبوءة عيسى .وعادت بعض القبائل الى مواطنها . وكان الخليفة عبدالله مطالبا بتأمين خلافتـه وبالاستمرار بالجهاد واصدار الاوامر الى كل القبائل بالهجرة اليـه فـي أم درمان للاشتراك في الجهاد . وقد تصامَّت بعض القبائل عن دعـوة الخليفة وبعضها جاهرت بالعصيان .من داخل هذه الصراعات،الصراع حول المراتب ، والمنافسة بين رايات الجيش ، والخلاف حول القيادة بعد وفـاة المهدي ، وسياسة الهجرة والحزم التي باشرها الخليفة ولـدت حركـات معارضة ومقاومة للنظام . اننا ندرس في هذه الرسالة مولد هذه الحركات وتطورها وانعكاساتها على الحركة .

يشمل موضوع هذا البحث ثلاثة أبواب رئيسية وكل باب ينقسم الى ثلاثة فصول بالاضافة الى هذه المقدمة ،وخاتمة تليها الملاحق .

تحدثت في الفصل الاول عن ظهور عقيدة المهدية في الاسلام وحركات الاصلاح السلفية بغرض المقارنة مع دعوة المهدية التي أعلنها محمد أحمد المهدي بن عبدالله وصلة هذه الدعوة بالحركات الدينية الاخرى .واقتضى ذلك دراسة بعث فكرة المهدية في السودان وبينت فعالية العامل الديني في نجاح الدعوة بالمقارنة مع الاسباب والعوامل الاخرى التي ساعدت على قيام ونجاح حركة المهدية وتتبعت بالدراسة والتحليل أثر الاسباب في انتشار الدعوة وتطورها وسقوطها والمصاعب الموضوعية التي صاحبت هذا التطور .

أما في الفصلين الثاني والثالث فقد تعرضت لدراسة تاريخ تطور حركة المهدية في فترة المهدي والخليفة عبدالله بغرض تبيان المواضيع التي برزت منها المقاومة .

وفي الباب الثاني والثالث تناولت بالدراسة والتحليل المقاومة لدعوة المهدية من وجهة النظر الفكرية ، واستعانة الدولة بالعلماء ورجال الطرق الصوفية في مقاومتها .

وفي الباب الثالث تناولت موضوع المقاومة التي تعرضت لها حركة المهدية من جراء المعارضة التي برزت من داخل الحركة من الناحية العقائدية ومن جانب موقف القبائل وفقا لمعارضتها وتقبّلها للحركة من واقع مصالحها التي تكونت من وضعها الجغرافي وتطورها التاريخي . وقد شملت هذه الدراسة ، ثلاثة فصول ، تحدثت فيها عن نظام الخلافة في المهدية والمشاكل التي برزت بسبب هذا النظام وموقف الاشراف وأبناء البلد والموقف القبلي

من الحركة ، ثم ذيلت البحث بخاتمة أوردت فيها ما توصلت اليــه مــن نتائج .

ان هذه الرسالة ، التي توفرت لها مصادر البحث الاساسية، حظيت برعاية عدد من الاساتذة الاجلاء ، الذين أدين لهم بالشكر والعرفان لمـا قدموه لي من تشجيع وتوجيه وارشاد ، وأخص بالشكر المرحوم الاستاذ الدكتور محمد رفعت رمضان ، الذي كان لي شرف التلمذة على يديـه وقد أشرف على بحثي هذا منذ أن كان فكرة ، والشكر للاستاذ الدكتور أحمد دراج على تشجيعه واهتمامه بتحويل الاشراف على رسالتي للاستاذ الدكتور محمد أحمد أنيس ، والذي تفضل بالاطلاع على البحث في مراحله الاولى أيام كان تحت اشراف المرحوم الاستاذ الدكتور محمـد رفعت رمضان وقد زودني بكثير من النصائح والارشادات التي افـادتني كثيرا وسهلت عملية اكمال الرسالة في مرحلة التحويل الاخير واني مدين لـدار الوثائق المركزية ، التي هيأت لي فرصة الاستمرار في الاعمال الاكاديمية والى مديرها الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم كل الشكر والعرفان والتقدير لما قدمه من تشجيع وارشاد ، كما أشكر أفراد أسرة الدار الذين لم يألوا جهدا في معاونتي وتسهيل مهمتي ، فلهم جميعا الشكر والتقدير .

الباب الأول

المهديـــة

الفصل الاول : فكرة المهدية

اولا : فكرة المهدية في الاسلام

ثانيا : بعث فكرة المهدية في السودان

ثالثا : اسباب قيام الثورة المهدية وانتشارها وسقوطها ومصاعبها الموضوعية

فكرة المهدية في الاســلام

وبعثهــا في الســودان

وجدت فكرة المهدية تربة خصبة في العالــم الاسلامي واصبحــت معتقدا عاما رغم عدم وجود نص قرآني صريــح عن المهدي ورغــم ان الاحاديث النبوية عنه على كثرتها لم ترد في مصادر الاحاديث المتشددة مثل مسلم والبخاري [1] وكان لهذه الفكرة خطرها في تاريخ الاسلام اذ تلقفتها الفرق الاسلامية وصاغتها حسب اهدافها ، وتحت اعلامها قامت حركات عنيفة في اصقاع مختلفة من العالم الاسلامي ، وكان من نتيجــة ذلك ، ان الفكرة كفكرة قد وجدت في المجتمع الاسلامي ، وانها اخذت اشكالا حسب نحل المسلمين ومللهم وانها تطورت مع تطــور مجتمــع الاسلام ثم انها كانت الهاما لعدد من المطالبين بالاصلاح او التصحيــح وبذلك دخلت في تاريخ الثورات في الاسلام [2] .

ان هذه الفكرة الخطيرة باختصار هي ان الله يرسل في آخر الزمان رجلا يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وانه يقم الدين حنيفا ، ثم يأتي بعده الدجال ، ثم يأتي عيسى بن مريم وبعده تنتهي الدنيا [3] . هــذه

---

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، بيروت ١٩٦٧، ص٥٥٥ــ٥٧٥
(٢) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية ص ٣٩
(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، ص ٥٥٥

باختصار الفكرة ولكن هناك اختلافات البعض ينكرون والبعض يصدقون ، والمصدقون يختلفون في التفاصيل كمكان الظهور او زمانه وفي صفاته وافعاله .

استعمل اللفظ المعنوي لكلمة المهدي في حديث الرسول « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » ثم بدأت الكلمة تتطور شيئا فشيئا ، فخص اسم المهدي لعلي وحده ، ونشأت فرقة تسمى الكيسانية بزعامة المختار بن ابي عبيد الثقفي وزعم هو وفرقته ، ان محمدا بن الحنفية هو الامام وهو المهدي [٤] .

ويرى بعض المؤرخين ان المختار بن ابي عبيد الثقفي ابتدع فكرة المهدية لان ابن الحنفية ليس من نسل فاطمة بنت الرسول ولذلك سارع المختار الى انتهاج سبيل آخر ، طفق يبشر بوحي من الملك جبريل على ما زعم وينشر مسجوعا غامضا يطبع على غرار القرآن بظهور المهدي فجأة عند انتهاء العالم ، ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا [٥] .

قضى مصعب بن الزبير على جماعة المختار ، واباد اتباعه في وحشية بالغة ، ولكن تعاليمه كان لها أثر كبير في عقائد الشيعة . وكان لبني امية مهدي هو السفياني كما كان للخوارج موقف .

ورغم ان الشيعة كانوا اكبر الفرق عداوة لبني امية ، وكانوا اقوى من عمل لاسقاطهم ، الا ان الدولة التي قامت على انقاض دولة بني امية ، كانت دولة العباسيين وليست دولة العلويين ، ولذلك اشتدت معارضة

---

(٤) احمد امين ، المهدي والمهدوية ، سلسلة اقرأ ، اغسطس ١٩٥٦ ص ١٠
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة لبيب امين فارس ومنير بعلبكي ، الطبعة الخامسة (بيروت ١٩٦٨) ص ١٣٢

الشيعة وكان من أثر ذلك ان قويت فكرة المهدي ، وبدأ الناس يتطلعون الى ظهوره ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا وليزيل الآلام التـــي سببتها الحروب الاهلية والتي اذكى نارها انقسام بني امية على انفسهم والخلاف بين بني امية وبين العباسيين والعلويين من جهة وبين العباسيين والعلويين من جهة اخرى والتي كانت نارها تلهب تلك الاحن والاحقـاد القديمة بين مضر وقحطان .

رفع الشيعة والخوارج رأية العصيان ، وظلت الحاميـات السورية وحدها على ولائها للعرش الاموي ، على حين كان المرابطون من الجنود العرب يشايعون أعداء الحكومـة ، وملئت قلوب الثقـاة من المسلمين تشاؤما بالمستقبل .

ولا غرو فقد بدأ عامة الناس ، يدركون انه ليس ثمـة صلاح وراء ذلك النظام الفاسد الذي سنه خلفاء بني امية ، وان بقاء ذلك النظام لا معنى له سوى ضياع الاسلام وبدأ الناس يتطلعون الى (المنقذ) وظهرت نبؤة اخرى وهي نبؤة الرجل ذو الاعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية [٦] .

هذا من ناحية الفكرة وتطورها على ايدي الشيعة . اما من الجانب الآخر فان فشل الشيعة في الوصول الى الخلافة الاسلامية فـي الحجاز جعلهم يهاجرون الى اطراف الدولة الاسلامية في المشرق والمغرب واليمن وأن ينشروا فيها أفكـارهم ، وكان من أثر ذلك ان اصطبغت أفكـار المسلمين في هذه الاصقاع بآراء الشيعة وافكارهم وكان من ضمن مـا

---

(٦) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة ، والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة دكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (القاهرة ١٩٣٤) ص ١٢٥

نشروا فكرة المهدية على الوجه الـذي رأوه • وكان من أثر ذلـك ان قويت دعاية الشيعة في المغرب حتى افضت الى قيام الدولة الفاطمية والتي انتقلت الى مصر وبقيت بها دهرا طويلا مما ترك أثرا بعيدا في تاريخ مصر وتاريخ الاسلام •

وكان من أثر ذلك ايضا ان تسربت افكار الشيعة الى بلاد كـانت بعيدة عن دائرة نشاطهم ودخلت الى معتقدات العامة في مصر والسودان، ونحن نلحظ اثر ذلك في بعض اتجاهات الصوفية ، كمـا نجد آثارها في فكرة المهدي عند مهدي السودان ، محمد المهدي بن عبدالله •

ثم جاء المتصوفة وتلقفـوا فكرة المهدي واعادوها الى افكـارهم ومعتقداتهم وتصوروها في صورة القطب أو الغوث كما تصوروا اتباعه في صورة الاولياء وكان محي الدين بن عربي اكثر من تكلم عنه وافاض الحديث فيه ، حتى وضع امره في صورة حكومة الاولياء ثم اخـذ عنه آخرون والثابت من منشورات مهدي السودان ، ومناقشات اصحابـه ومخالفيهم انهم وقفوا على كثير مما كتبه هؤلاء المتصوفة حتى عهدناهم يرجعون اليهم ويحتجون بما ذكروا فيه • يذكرون ما قاله ابن عربـي وأحمد بن ادريس والقطب الدرديري وابن حجر العقلاني وغيرهم [٧] •

وهكذا تعهد المتصوفة يلعبون دورا مهما في تطور فكرة المهدية وفي تلوين هذه الفكرة بمشربهم الصوفي ، كما تعهدهم يساهمون في تلوين الفكرة في السودان بلونهم ، وهذا امر ننظر فيه بتفصيل في مكان آخر من هذا البحث •

---

(٧) ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية (الخرطوم ١٩٧٠) ص ٣

ان عوامل الضعف والانحلال التي انتابت الدولة الاسلامية جعلت المسلمين يرحبون بالقوة العثمانية التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي وباسم الاسلام والوحدة الاسلامية استطاع الاتراك العثمانيون السيطره على اغلب العالم الاسلامي ، غير ان الاتراك العثمانيون لم يبذلوا جهدا يذكر ، في ترقية الحياة الاجتماعية والثقافية فانتشر الجهل والتخلف الفكري في البلاد الخاضعة لتركيا [٨] ولكن ظهرت حركات بعث ذات اتجاهات دينية وسياسية في اليمن ومصر وفلسطين ولبنان والعراق وليبيا والاراضي المقدسة ، كانت تواكبها حركات اصلاحية دينية كالحركة الوهابية وحركة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومدرسة احمد بن ادريس وحركات صوفية بشمال افريقيا كالحركة السنوسية والحركات الدينية في السودان ومنها المهدية .

بعض هذه الحركات ، حركات دينية صرفة تنحو نحو العودة الى ماضي الاسلام ورفض ما استجد من مدارس ونحل ومال بعد عهد الخلفاء الراشدين ، وهي الحركات التي تعرف بالحركات السلفية ، مثل حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وبعضها حركات اصلاحية فيها بعض التدبّر بحال المسلمين وفيها الامل والطموح لجمع شمل المسلمين وتوحيدهم ، وبعضها رد فعل للضغط الاوروبي ، وهي رافضةله ومقاومة، وبعضها رافض لهذا الضغط الاوروبي ولكنه ينزع الى الاصلاح الديني ووضعه في موضع عصري ، يأخذ من أوروبا بما يفيد ، ويلفظ ما لا يفيد، ثم هو بكل ذلك يقاوم التغول الاوروبي ويقف بالاسلام موقف القوة .

كل ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وكان العالم الاسلامي قد عرف الكثير عن هذه الحركات وتأثر بها .

---

(٨) الدكتور احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية (القاهرة ١٩٦٩) ص ٤٢٦

قامت الحركة الوهابية في قلب شبه الجزيرة العربية ، وهي حركة اصلاحية ، استلهمت أفكارها من مدرسة أحمد بن حنبل ، وكان زعيم هذه الحركة محمد بن عبد الوهاب [٩] يرغب العودة بالاسلام الى نقاوته الاولى وتجريده مما علق به من بدع وشرك ، ومحاربة الافكار الصوفية، وقد سبق ابن تيمية [١٠] محمد بن عبد الوهاب في هذه الافكار ، وقد اتحد محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود فانتصر مذهبه ، ونجح آل سعود في تأسيس دولة مستقلة تدار وفقا لتعاليم الشريعة كما فهمها وفسرها ابن عبد الوهاب وتلاميذه الذين يعرفون بالاخوان .

(٩) محمد عبد الوهاب (١١٠٦–١١٧٩هـ/١٧٠٣–١٧٨٧م) ولد في اقليم نجد وتلقى تعليمه الاولي على يد والده في المذهب الحنبلي ثم انتقل الى البصرة ودرس على علمائها واتصل بعلماء الحنابلة في دمشق واستفاد من الاطلاع على مؤلفاتهم وخاصة مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وعاد الى بلدته الدرعية يجتذب الناس اليه من أهله وأبناء الدرعية وأحسن ابن سعود وفادته وأذن له في نشر تعاليمه فازدادت أنصاره واتسعت شهرته وذاعت دعوته بمعاونة محمد بن سعود اذ استغل نفوذه وسلطانه وتكاثر الوهابيون وصاروا جندا كبيرا .

(١٠) ابن تيمية : هو تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن محمد بن تيمية الحراني ، متكلم وفقيه ، ولد عام ٦٦١هـ / ١٢٦٣م في قرية بالقرب من دمشق . درس العلوم الدينية بدمشق. واخذ بالمذهب الحنبلي . برع في علوم القرآن والحديث والفقه والكلام وكان متشددا في محاربة البدع وزيارة القبور مما جلب له عداوة علماء المذاهب الاخرى . وفي القاهرة تعرض للسجن أكثر من مرة لاتهامه بمشايعة مذهب التجسيم . ورغم انه كان على المذهب الحنبلي الا انه كان يعتبر نفسه مجتهدا في المذهب وهو يصرح بأنه يتبع القرآن والحديث في جل مؤلفاته والتي بلغت نحو خمسمائة مؤلف منها سبعة وثلاثين كتابا . هاجم ابن تيمية بقلمه ولسانه كل الفرق الاسلامية وحارب المتصوفة كما حارب في حماس بالغ الفلسفة اليونانية ومنتجيها من المسلمين ولم يتفق علماء المسلمين في سنية ابن تيمية ولا زال الخلاف فيه الى يومنا هذا .

•قد هدفت الحركة الوهابية الى احياء السنة ومحاربـة الشرك والبدع وما اليها ، وهذا جعل من المتعذر أن تستقيم لهم الامور سنـين طويلة ؛ حتى تم لهم الامر بحد السيف وغلب السياسة • وعلى خـلاف هذا كان موقف السنوسية من الخلافة العثمانية ومن الاصلاح الديني• ومؤسس السنوسية هو السيد محمد بن علي السنوسي ، وهـو عـالم جزائري ، ولد حوالى عام ١٧٨٧ م وتتلمذ على السيد أحمد بن ادريس الفاسي في مكة ثم عاد الى شمال افريقيا سنة ١٨٤١ م وقد أسس عـددا من الزوايا أشهرها زواية الجغبوب واتنشرت طريقته في واحات الصحراء الكبرى وسلطنات افريقيا الوسطى • فالسيد محمد بن علي السنوسي ما كان يريد غير العبادة واقتفاء أثر السلف الصالح ودعوة اخوانه ومريديه الى الدين القويم الصحيح وارشاد عباد الله لما فيه سعادتهم في الدارين ولا ينشر دعـوته بحـد السيف بـل طريقه الى ذلك التعليم والهداية والارشاد (١١) •

(١١) الدكتور محمد فؤاد شكري : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٨

بعث فكرة المهدية

في السودان

لم يكن لهذه الحركات أثر مباشر في المجتمع الاسلامي في السودان، والذي كان واقعا تحت سيطرة الافكار الصوفية ومفهومها للمهدية الواردة في المصادر الاسلامية التي تكلمت عن المهدي المنتظر وعن الاتصال بغيرهم من المسلمين في البلاد الاخرى عن طريق الحج والتجارة كما ان حركة الجهاد العقلاني والتي كانت تبشر بقرب ظهور المهدي المنتظر بالشرق، روجت فكرة المهدية بالسودان وهاجر كثير من قبائل الفلاته الى السودان لمقابلة المهدي المنتظر وبالفعل اشترك عدد كبير منهم في حركة المهدية السودانية . هذا مما دفع بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن فكرة المهدية جاءت الى السودان من غرب افريقيا وان الخليفة عبدالله لعب دورا كبيرا في اقناع محمد أحمد بن عبدالله لاعلان المهدية وهذا الاعتقاد لا يقيم وزنا كبيرا لخلفية كل من المهدي وعثمان دان فوديو ولا يتعمق في الاختلافات بين قيام الحركتين ، كما يجب أن نفرق بين استيراد الفكرة وبين المؤثرات التي مهدت الارضية لسرعة انتشار حركة المهدية.

وقد كان أثر الجهاد الفلاني اقوى في دارفور وكردفان منه في اقاليم السودان الاخرى . اذ ان دارفور كانت متصلة بالسطنات الاسلامية الممتدة على طول نطاق السافنا ، بين الصحراء الكبرى في الشمال وبين الغابات الاستوائية في الجنوب . وفي شرق اقليم دارفور سلسلة عريضة

من التلال الرملية ، تعرف بالاقــوان اما من الناحية الغربية فلا تــوجد حواجز جغرافية بينها وبين المساحات المتدة غربا مثل واداي ، بحرص ومنطقة تشاد (١٢) .

بالرغم من ان سلسلة تلال الرمال الحاجزة بين دارفور وكردفان كانت تحد مــن الاتصال فــانها لم تمنــع تــدفق الهجرات البشرية ففي خلال القرن التاسع عشر زادت حركة الحجيج عبر السودان بشكل ملحوظ ، بينما خفت الحركة في طريق الصحراء بين طرابلس ومصر وفي نفس الوقت فان عملية البحث عن المهدي المنتظر ، زادت مع قرب نهاية القرن الهجري (١٣) فالى أي مدى أثرت هذه الهجرات في تبلور وقيام حركة المهدية فــي السودان ؟ وهل كان قيام المهدية في السودان نتيجة للاعتقاد الشائع في بلاد السودان الكبير بظهور المهدي في السودان الشرقي ؟

ان بعض الباحثين يقولون بأن المهدية السودانية نتاج للحركة التي نشأت في نيجيريا بقيــادة عثمان دان فوديو (١٤) وهم يستدلون على ذلك بأن ما كتب عن المهدية في بلاد السودان الغربي وجد طريقه الى السودان

(١٢) الدكتور مصطفى محمد مسعد : سلطنة دارفور ، المجلة التاريخيــة المصرية ، المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ ص ١٥

(١٣) Al-Hajj, M. A. : The Mahdist Tradition in Northern Nigeria (Unpublished) P. 101 .

(١٤) عثمان دان فودي (١٧٥٤ ــ ١٨١٧) من قبيلة الفــلاني التي كانت تتالف من عدة قبائل رعوية صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية في اقليم مملكة الهوسا الوثنية ، واعتنقت الاسلام في وقت مبكر . وفي بداية القرن التاسع عشر قام الشيخ عثمان بحركة اصلاح دينية كانت تهدف الى محاربة الشرك والبدع والخرافات التي ترجع الى اصول وثنية وقاد حركة الجهاد الفلاني ضد مملكة الهوسا وانشأ امبراطورية اسلامية في اقاليم نيجيريا وما حولها ولقب بأمير المؤمنين وفي أواخر حياته تفرغ للعلم واسند شؤون الامبراطورية لاخيه عبدالله وابنه محمد بيلو .

الشرقي وأسهم في خلق المناخ الثقافي الذي قامت فيه المهدية السودانية وبأن محمد المهدي بن عبدالله لم يعلن دعوته الا بعد مقابلته للخليفة عبدالله في المسلمية والذي كان في المقام الاول متأثرا بأفكار بلاد السودان الكبير عن المهدية (١٥) .

وليست لدينا وثائق توضح دور الخليفة عبدالله في تسيير حركة المهدية في أطوارها الاولى ، وهذا لا يمنع تأثيره في التحركات الاستراتيجية، على خلاف النواحي الثقافية أو القلمية ، ويلاحظ ان المهدي لم يشر في منشوراته الى آراء علماء وفقهاء السودان الغربي عن المهدية وانما أشار الى آراء وأفكار علماء آخرين من أمثال محيي الدين بن عربي وأحمد بن ادريس . ولم يسهم أهالي بلاد السودان الغربي في الحركة الفكرية في المهدية السودانية فقد كان معظم الكتاب والمحررين من أبناء المناطق النيلية ، كما ان كل من كتبوا عن المهدي كانوا من السودان الشرقي .

ان فكرة المهدية اذن لها جذور في السودان بحكم أن السودان جزء من العالم الاسلامي وباعتبار انه يتأثر كثيرا بالتيارات الفكرية التي تنتشر في العالم الاسلامي وقد ذكرنا كيف ان الفكر السوداني قد تلون ببعض أفكار الشيعة وكيف ان جهاد الفلاني كان يؤثر في الافكار الدينية وخاصة في دارفور وكردفان واضافة الى ذلك نقول ان ود ضيف الله في طبقاته ذكر بأن الشيخ الترابي قد أعلن نفسه مهديا ، ورغم ان حركته لم تنجح ورغم انه يمكن ان يقال ان مصدر الهام الترابي كان راجعا الى الحجاز أكثر من كونه راجعا الى السودان فان الحادثة تعني وجود الفكرة بين علماء وفقهاء السودان . ويذكر السيد محمد عثمان الميرغني الاكبر، مؤسس الطريقة الختمية ذات التأثير البالغ في السودان المهدي المنتظر في

(١٥) Al-Hajj, M. A. : The Mahdist Tradition in Northern Nigeria (Un-published) P. 101 .

معرض كلامه عن الختم ويقول بأن مرتبة المهدي تقع بين الرسول ومرتبة الختم . وقد ذكر المهدي صراحة في خطابه الى محمد عثمان الميرغني الثاني بأن أباه السيد الحسن الميرغني كان يتكلم في معرض دروسه عن المهدي المنتظر وان زمانه قد قرب .

لقد اختلف بعض علماء السودان وأغلب علماء مصر مع المهدي لانهم كانوا يرون ان فكرة المهدية التي قرأوا عنها في الكتب من ناحية الاوصاف والعلامات الاجمالية للمهدية وقد كانت فكرة المهدية معروفة في السودان ، عن طريق الطرق الصوفية وعن طريق حركة الجهاد الفلاني، التي بشرت بظهور المهدي المنتظر ،والملاحظ ان حركة المهدية في السودان، تختلف اختلافا تاما عن الحركات السابقة . فهي ليست امتدادا لحركات الشيعة ، كما انها اختلفت في طريق الدعوة حسب مفهوم المهدي وحسب الاوضاع السياسية والاجتماعية في السودان . فدعوة المهدية التي أعلنها محمد المهدي بن عبدالله تختلف عن كل الدعوات السابقة ، فهي لا تستمد أصولها من الشيعة أو من المتصوفة ، وانما هي خليط من كل الدعوات السابقة والتي لا يشير اليها . فهو في المقام الاول يعتبر دعوته أمرا من الله ورسوله وهي عبارة عن رسالة كلف بها . فهو تارة يصفها بالامامة ومرة أخرى بالخلافة الكبرى وانه المهدي المنتظر ويشير الى نسبه الشريف (١٦) . ويلاحظ انه لم يناقش الاحاديث النبوية التي وردت عن المهدي واحتج بها العلماء في محاولاتهم لابطال دعوته . وأوضح ان الهدف من دعوته احياء السنّة وليس الغرض منها التجديد ، وان حركته، حركة بعثية سلفية ، ترمي الى اعادة الاسلام الى أيامه الاولى وعدم الاهتمام بالاعمال الدنيوية ، مما جعله يهمل مطالب اتباعه ويلغي عامل الزمن .

---

(١٦) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، منشورات المهدية (بيروت ١٩٦٩) ، ص ٢٤ .

وبعبارة أخرى استطاع محمد المهدي بن عبدالله أن يكوّن لنفسه مفهوما دينيا معيّنا ، تجاوز مفهوم العلماء والفقهاء المعاصرين له ولم يأبه للحجج التي قدموها لمعارضة دعوته . المتصوفة اعتقدوا ان محمد المهدي ابن عبدالله لم يصل الى مرتبة المهدية بعد ، والعلماء والفقهاء أفتوا بعدم مطابقة العلامات الاجمالية عليه ولكن محمد المهدي بن عبدالله لم يلتفت لهذه العلامات والشروط وانما أعلن دعوته على أساس انها أمر من الله ورسوله لاحياء الدين . وأضفى على نفسه لقب خليفة رسول الله ونقشها على خاتمه .

وفي بعض منشوراته ذكر بأنه المهدي المنتظر ، وانه تقلد الخلافة الكبرى ، وانه مؤيد بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والاموات من يوم آدم الى زمانه ذلك وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر وأعطي سيف النصر من حضرة رسول الله وأعلم انه لا ينصر عليه أحد ولو كان من الثقلين الانس والجن (١٧) .

ومن الصعوبة بمكان تحديد المكانة الدينية التي وضع نفسه فيها ، فهو خليفة رسول الله وفي نفس الوقت عيّن أكبر أعوانه في منصب خليفة الصدّيق . ومن المعلوم ان أبا بكر الصدّيق لم يدّع لنفسه الالهام الالهي وانما انقطع الوحي بوفاة الرسول ولكن محمد المهدي ذهب الى الحد الذي ذكر فيه انه تلقّى التحية من قبل الله ، أي ان التأييد الالهي الذي يلقاه في دعوته بصفة خاصة تجعل من الاتصال الالهي المباشر امرا طبيعيا في دعوته . تصور خلافته مماثلة للدور الذي من أجله أرسل الله رسوله ، وهو اظهار الدين الاسلامي ورسم لهذه الخلافة تشريعاتها الخاصة بها المستمدة من الالهام الالهي والتي لا يحق نقضها بل يجب الاقتداء

---

(١٧) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم : منشورات المهدية ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

بها من جميع المؤمنين ، وفي مقدمتهم رسول الله نفسه ما دام لا يملك غير تنفيذ الارادة الالهية التي قام بابلاغها شخصيا [١٨] .

بمثل هذا المفهوم تصور محمد المهدي بن عبدالله مكانته الدينية، وأوضح مكانة خليفته الاول في المنشور المشهور، أوضح ان خلافته أمر من الله ورسوله أي ان الرسول أورثه مكانة الصدّيق ، وان اعماله المخالفة للظاهر يجب أن تحمل على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن، أي انه مؤيد بعلم الباطن . وورد في الحديث النبوي ان لكل آية ظاهرا وباطنا ومطلعا الى أبطن سبعة والى سبعين . فالظاهر هو المعقول المقبول من العلوم النافعة التي تكون بها الاعمال الصالحة ، والباطن هو المعارف الالهيه ، والمطلع هو معنى يتحد فيه الظاهر والباطن والحد ، فيكون طريقا الى الشهود الكلي الذاتي وهكذا يقول ابن عربي [١٩] .

انتقلت حركة المهدية من مرتبة الدعوة الى مرتبة العمل ودخلت في معارك حربية مع الحكومة . فلم يعد محتاجا للدعاية الدينية الا في اطار الرد على رسائل العلماء والتي حررت لبطلان دعوته كما سنبين في جانب آخر من هذا البحث .

ان الانتصارات الحربية أثرت في تطور الدعوة الديني [٢٠] فانضم عدد من الشخصيات والقبائل لمنفعتها وأغراضها الخاصة ، فلما نجحت الحركة طفقت هذه العناصر تبحث عن المطالب التي كانت تسعى اليها فاتخذت موقفا معاديا من الحركة . ومن جهة أخرى انتقلت الدعوة من الاطار النظري الى الواقع المعاش الى أن وصلت الى مرحلة التناقض

---

(١٨) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في بصيحة العوام (١٩٧١) ، ص ١٥٥ .

(١٩) احمد توفيق عياد : التصوف الاسلامي ، ص ١٨ .

(٢٠) د. مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٧٠ .

فحدث رد فعل كان تنيجته سلسلة من الصراع والتنافس في حياة المهدي وانتقل في عهد الخليفة عبدالله الى المجاهرة بالعصيان ، مما كلف الخليفة عبدالله كثيرا من الجهد والمعاناة .

وبعبارة أخرى فان دخول جماعات وفئات أخرى في حركة المهدية أدى الى نوع من الخروج على الدعوة وتعطيلها ، ساهمت هذه الجماعات في تأييد الحركة في مراحلها الاولى ثم انقلبت عليها وانخرطت هذه الجماعات في سلك الحركة لدوافع سياسية واقتصادية واجتماعية . وحكمت العلاقة بين جموع السودانيين وسلطات الادارة التركية المصرية منذ عام ١٨٢٠ ، وتطلعت وسط أحداثها الى منقذ يقودها الى طريق النصر في الثورة فكان المهدي المنتظر ، التجسيد الذي علق بالاذهان (٢١) .

فالحركة المهدية ثورة دينية تختلف عن غيرها من حركات الشيعة وأهل السنة . والصلة ضعيفة بين مهدية محمد المهدي ابن عبدالله وبين الشيعة فالمهدي لم يطالب بالخلافة لانه من نسل علي أو فاطمة بنت الرسول كما انه لم يتعرض للخلافة الاسلامية على أساس الانقلاب عليها وانما اعتبر دعوته رسالة كلف بها من جانب الله ورسوله لاحياء الدين وازالة كل المعوقات التي تقف في طريق الاصلاح سواء ان كانت الخلافة العثمانية أو غيرها واعتبر العالم الاسلامي في حالة جاهلية .

وتتفاوت درجات الجانب الديني بين القيادة « المهدي » وبين القاعدة الجماهيرية فالثورة جانبان : أحدهما تمثله جموع السودانيين التي قامت على أكتافهم الثورة وتطلعت اليها قبل اعلان المهدية ، وثانيها يمثله محمد المهدي وحواريه لقيامهم بالتصدي لقيادة الثورة وتفجرها وقد تلاقى

---

(٢١) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

المفهومان عند هدف محاربة الترك والقضاء على الادارة المصرية كـإطار لنفوذهم وحكمهم والتمرد على الولاء الروحي والسياسي لخليفتهم(٢٢).

ومن الاهمية بمكان أن نفرق هنا بين الخلافة العثمانيـة والادارة التركية المصرية في السودان . فالواقع ان الصلة بين مقر الخلافة العثمانية والسودان كانت اسمية ولم يكن الحكم في السودان يجري على النظام الاسلامي وتعين عدد من الاوروبيين المسيحيين للعمل في ادارةالسودان.

دعوة المهدي كانت مبنية على أساس ديني ، بينما جموع السودانيين انخرط بعضها في الحركة بدافع ديني وبعض آخر لمنافع شخصية ،وانضم آخرون بعد أن بدا لهم زوال الحكم التركي المصري في السودان بعد وقوع السودان في قبضة المهدية وبوفاة المهدي المبكرة انخفض الحماس الديني ، كما ان القبائل التي كانت تسعى في الحصول على مكاسبهـا والتي من أجلها ناصرت الدعوة ، وجدت ان آمالها ذهبت أدراج الرياح فعملت على مقاومة المهدية والوقوف ضدها .

أمـا صلة مهدية محمد المهدي بن عبدالله بالحركات السلفية فـي الاسلام فهي تتفق معها في حركة الاصلاح والعودة بالاسلام الى أيامـه الاولى ، ولكنها تختلف عنها من ناحية الفكرة والاسلوب . والواضح من منشورات المهدي انه كان متأثرا بتعاليم السنة ولا صلة له بتعاليم الشيعة . وترد هذه العبارات ذات المشرب السني في كثير من منشوراته « ... فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ... » « وأنتم أيها المؤمنون الذين بظن بكم المعاونة على تقويم السنة ... » « لا يخفى عزيز علمكم ان المؤمن لا عناية له الا فيما يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على

(٢٢) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجـه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

السنة والكتاب ...» [٢٣] .

وثمة ملاحظة أخرى وهي ان العلامات التي أوردها المهدي استطرادا في منشوراته ، تتطابق مع الاحاديث التي وردت في كتب الاحاديث لائمة أهل السنة بخلاف الصحيحين مثال ذلك ما جاء في حديث أبي داوود «لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي » . فقد ذكر المهدي انه من نسل الرسول وغيّر اسمه من محمد أحمد عبدالله الى محمد المهدي بن عبدالله . وفي جانب آخر تأثر بتعاليم الصوفية وتعمّق في الفيبيان واستند على علم الباطن الذي لا يقبل المناقشة ولكنه يصطدم مع واقع الحال . واستعان بالحضرات النبوية في تبرير أفعاله التي كانت في معظمها ناجحة بسبب الظروف المحيطة به، على خلاف فترة الخليفة عبدالله الذي حاول أن يستدل على معرفته بعلم الباطن في كثير من الاجراءات التي كان يتخذها في ادارة جهاز دولته كما حاول أن يستغل الحضرات النبوية في تقوية مركزه الديني .

ومن جهة أخرى كانت فترة المهدي قصيرة ومزدحمة بالانتصارات المتتالية والتي حدثت بصفة مسلسلة ، ورد فعل للاحداث . أما فترة الخليفة عبدالله فكانت أطول من فترة المهدي بالاضافة الى انها كانت مليئة بالمشاكل والمصاعب وقد وصلت حركة المهدية الى قمة انتصاراتها في نصف هذه الفترة ولم يعد هناك مجال لانتصارات حربية تحافظ على ديناميكية الثورة وتشغل الناس عن التفكير في المسائل الفكرية والعقائدية للحركة .

---

(٢٣) الدكتور ابراهيم حسن شحاته : مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام الاسكندرية (١٩٧١) ، ص ١٢٢ .

تمثل فكرة المهدية الاطار النظري للدعوة ، بعد أن تحدثنا عـن تطور هذه الفكرة وتبلورها على النحو الذي بشر به محمد المهدي بـن عبدالله ، سنتحدث عن التربة التي غرست فيها هذه الـدعوة وهـذا يستدعي الكلام عن أسباب قيام حركة المهدية وانتشارها ورد الفعل الذي أحدثته في المجتمع السوداني •

اسباب قيام الثورة المهدية وانتشارها
وسقوطها ومصاعبها الموضوعية

برجع بعض المؤرخين قيام حركة المهدية ونجاحها وانتشارها لسببين أساسيين ، أولهما عدم رضاء السودانيين عن الاوضاع التي كانت سائدة من قبل ، والسبب الثاني مقدرة المهدي كقائد للاستفادة من ذلك السخط العام [٢٤] . ويضيف بعضهم سببا ثالثا ألا وهو ضعف السلطة الحاكمة في السودان ، وهي المسؤولة عن السخط العام وتفاقم أمره ، الى أن ظهر المهدي ووظف هذا السخط العام لالتفاف الجماهير حوله تحت شعار دعوة دينية ، وعندما آلت اليه الامور لم يلتفت الى مسببات السخط العام ولم يضع لها حسابا في برامج دعوته فعاد السخط العام بصورة أخرى ، متمثلا في المعارضة التي شنتها القبائل التي ناصرت الدعوة المهدية في أيامها الاولى .

فالمهدي وحواريره يمثلون الجانب الديني والقيادة ، وجماهير السودانيين تمثل الجانب الدنيوي والذي ساعد كثيرا في نجاح الحركة . وبعد نجاح الحركة أصبح الصراع حتميا . والتناقض قد نسي أمره في حلبة الصراع ضد الحكم التركي المصري ولكنه عاد الى الظهور بعد

---

(٢٤) John Obert Voll : A History of the Khatmiyya in the Sudan , (Unpublished) P. 266 .

نجاح الثورة . وعدد الحواريين قليل اذا ما قيس بأعداد الجماهير الهائلة التي انضمت للحركة بعد واقعة ابا . فهذه الجموع كانت لها أسباب أخرى دفعتها للانضمام للحركة ، عندما بدأت تباشير نجاحها تبرز للعيان .

درج المؤرخون على التعميم عند ذكرهم لاسباب الحركة المهدية والشاهد ان قوة هذه الاسباب وضعفها تتفاوت من اقليم الى اقليم في السودان حسب ظروفه . وهذا يدل على عبقرية المهدي القيادية في اختيار جنوب كردفان مقرا لدعوته . ومن المحتمل ان المهدي لو انتقل بحركته الى أي مكان آخر غير منطقة جنوب كردفان لكان مصيرها الفشل .

وهذا السخط العام نتج من عدة أسباب ، عزاها بعضهم الى القهر وسوء الادارة الذي لازم القيادة التركية المصرية في السودان منذ حملات الدفتردار الانتقامية لمقتل اسماعيل باشا في شندى وفداحة الضرائب والفظاظة التي تصحب جمعها مما اضطر الاهالي للهجرة لاطراف البلاد [٢٥] . في السنوات الاخيرة من الحكم التركي المصري ازداد سخط السودانيين بسبب جباية الضرائب . ففي عام ١٨٧٩م كتب محمد رؤوف باشا الى القاهرة يطلب منها تخفيض الضرائب ، الا ان طلبه رفض من جانب سلطات القاهرة . وفي الجانب الاجتماعي لم يكن السلوك الخاص للحكام .. يرضي العامة ، حيث انهم كانوا لا يتقيدون بالتعاليم الاسلامية، يشربون الخمر جهارا ويرتادون الاماكن المشبوهة وأصبح الحكام الذين يعرفون بالترك في عداد الكفار وأصبحت كلمتا الكفر والترك مترادفتين في المعنى ، واستعان الحكام ببعض القبائل الكبيرة والطوائف الدينية، مما جعل الجانب الآخر من القبائل والطوائف تسخط على الحكم التركي المصري وأصبحت لها مظالم جعلتها مستعدة للوقوف ضد الحكومة ،

---

(٢٥) علي عبدالله ابراهيم : الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ١٥ .

فالقبائل التي تعمل بتحالف مع الحكومة استغلت نفوذها في التضييق على القبائل المنافسة لها ، فقد سام الشكرية مثلا البطاحين العذاب مما دفع البطاحين الى الاسراع لتلبية دعوة المهدية وبالاضافة الى ذلك فـان عدم النظام والتسلط الذي كان يفرضه الجند على القبائل كان سببا قويا ليجعل بعض القبائل تنضم للمهدية كمسألة الهدندوة (٢٦) .

وقد أدى تعيين السودانيين في الحكم الى وجود أعداء للحكومة بسبب عزلهم وتولية غيرهم ومثال ذلك المنافسة بين عائلة مادبو وعائلة عجيل الجنقاوي على زعامة الرزيقات . ومثال آخر المنافسة بين الياس باشا أم برير وأحمد بك دفع الله في الابيض . وقد أسهم كل من مادبو علي والياس باشا أم برير في اشعـال وانجاح حركة المهـدية في غرب السودان . أسهم مادبو بنصيب وافر في محاربة حاميات الحكومة بجنوب دارفور . ويعزى نجاح الثورة في دارفور الى الحملات الحربية التي قام بها مادبو وأعوانه . أما الياس أم برير فقد لعب دورا كبيرا في سقـوط الابيض .

ومن الاسباب التي أدت الى السخط العام ، تغافل الحكام لاهمية الرقيق في حياة المجتمع السوداني ، ومنعهم تجارته في قسوة ، فأثر ذلك على حياة الناس بدرجات متفاوتة ، وتأثر تجار الرقيق أكثر من غيرهم ، فقد كانت لهم جيوش خاصة وخاضوا بها معـارك ومغامرات ضـد الحكومة وأصبحت لديهم خبرة بالحروب . وكانوا يستعينون بقبـائل البقارة في جنوب دارفور ، وأسهمت هذه المنطقة بنصيب وافر في اشعال الحركة والتضييق على حـاميات الحكومـة وارتبطت مسألة منع تجارة

---

(٢٦) John Obert Voll : A History of the Khatmiyya in the Sudan , P. 273 .

الرقيــق ، بتعيين الاوروبيين في مناصب كبيرة في ادارة السودان ولـم يكونوا صادقي النية نحو مصر وقد انتهزوا فرصة أوامر الحكومة بمنع تجارة الرقيق ، فحاربوا هذه التجارة بكل عنف وقسوة مع علمهم بـأن هذه الحرب تثير كراهية فريق كبير من الاهلين وتدفعهم الى مقـاومة الحكومة (٢٧) •

وقد أدى ضعف السلطة الحاكمة في السودان الى نجاح الحركـة وسرعة انتشارها ، استخفت بالحركة في بادىء أمرها حتى عظم شأنها • وهبّ عرابي بثورته في القاهرة فشغل الحكومة المصرية عن أمر السودان• وكانت الحاميات العسكرية بالسودان ضعيفة • وكان عدد العساكر يقل عن الخمسين ألف جندي موزعين على خمسة عشر حامية في مدن وأقاليم السودان المختلفة وظهر ضعف الحكومة في سياسة التردد ولم تتخـذ سياسة ثابتة نافذة في اخماد الحركة بل أظهرت احيانا التردد والارتباك في مكان الحزم والعزم ، ففقدت جميع حامياتها الواحدة تلو الاخرى (٢٨)•

ومع ذلك يبدو ان ضعف الحكومة وسوء معالجتها للموقف يعتبر من الاسباب الاساسية لنجاح الحركة اذ ان ضعف الحكومة اعطى المهدي الفرصة للضربة الاولى وقد ساعدته على ذلك المكانة الدينية التي عرفها له الناس بالاضافة الى مقدرته القيادية في الاستفادة مـن الظروف التي كانت محيطة به فاستطاع أن يجمع الناس حوله وحسم موقف المترددين، كما ان ضعف الحكومة أدى الى خذلان القبائل والطوائف الدينية الموالية لها • إذ ان السخط العام على الحكومة السابقة لم يكن بمستوى واحد في جميع أرجاء السودان واستطاع المهدي أن يختار منطقة مناسبة لاعلان

---

(٢٧) عبد الرحمن الرافعي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، ص ١١٠ •

(٢٨) نعوم شقير : جغرافية تاريخ السودان ، ص ٦٣٥ •

حركته فيها . ولئن وجد الحكمدار رؤوف باشا عذرا في انه استأنس برأي بعض العلماء الذين رأوا بأن المهدي قد حصل له حزب سماوي من انعكافه على الزهد والعبادة وان هذا نفسه لا يعفيه من المسؤولية لان هؤلاء العلماء أشاروا جميعا بوجوب القبض عليه (٢٩) .

فهذا يعني ان رؤوف باشا ، الذي كتب الى القاهرة في عام ١٨٧٩ م طالبا تخفيض الضرائب لم يستطع ان يربط بين الحالة الاقتصادية السيئة والتي عرضها وحاول حلها وبين حركة المهدي التي ستجد تجاوبا من قطاعات المجتمع المتأثرة بسوء الاحوال الاقتصادية .

اما حركات العصيان والثورة التي قام بها مندوبو وعمال المهدي في انحاء السودان الاخرى فتختلف أسباب قيامها في كل منطقة عن الاخرى. فمثلا منطقة الجزيرة هي اول منطقة شبت فيها الثورة الا انه لم يحالفها الحظ في النصر كما حدث في الوقائع التي قام بها المهدي . ففي المقام الاول لم يكن لقادتها المكانة التي كانت للمهدي والحماس الذي ملأ قلوب اتباعه وثانيا البيئة الجغرافية ، فمنطقة الجزيرة قريبة من الخرطوم وتتكون من مدن وقرى يسهل التنقل فيها ولم يقم اهل الجزيرة قومة رجل واحد فبعثرت جهودهم .

فعندما سار أحمد المكاشفي للمهدي مهاجرا القت السلطات في سنار القبض على اخيه عامر وزوجته في السجن وحملته ما لا يطيق وقيل انه افتدى نفسه بمال وخرج الى قبائل رفاعة الهوى واستنفرهم باسم المهدي فلبوا نداءه . وهجموا على سنار ودخلوا الا ان رصاصة اصابت عامرا في فخذه ، فأخذه أصحابه الى غابة الكبوش . واستنجدت سنار

---

(٢٩) عبدالله علي ابراهيم : الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ١٢ .

بالخرطوم وأصدر جيكلر [٣٠] أمرا الى صالح الملك [٣١] فأتاه ورفع الحصار عنها بعد كفاح شديد .

وفي شرق النيل الازرق بين ابي حراز ورفاعه ، اعلن الشريف أحمد ثله ، وهو من مشائخ السمانية ، الثورة ، والتفت حوله الجموع من قبائل البطاحين وبعض الشكرية والجعليين وغيرهم من سكان تلك المنطقة ولقرب المنطقة من الخرطوم استطاع جيكلر ان يجهز جيشا وسير الشكرية وراءهم الى أن وصلوا حلة الشريف واحرقوها وقتل الشريف وعددا كبيرا من اعوانه ، ومن سنار ايضا توجهت القوات وقضت على حركة محمد زين وفرقت جموع عامر المكاشفي في واقعة تيقو واستطاع عبد القادر حلمي باشا [٣٢] ان يهزم الثوار في عدة معارك في ارض الجزيرة .

---

(٣٠) جيكلر باشا Gicler المانى الجنسية التحق بخدمة الحكومة المصرية في وظيفة مهندس للغراف وكان غردون باشا معجبا به ، عينه نائبا للحكمدار في عام ١٨٨٠ . قاد حملات ضد انصار المهدي بالجزيرة واشرف على عمليات الانسحاب بكرسكو ولا يعرف عنه شيء بعد مغادرته السودان لمصر .

(٣١) صالح الملك (١٨٢٨ ــ ١٨٩٠) ولد بمدينة مروي ، التحق بالجيش المصري في فرقة الشايقية غير النظامية وتدرج في الجيش الى ان وصل الى رتبة لواء . اشترك في اخماد حركة المهدية في الجزيرة ورفع الحصار عن سنار في عام ١٨٨٢ م حاصر محمد الطيب البصير في المسلمية . سجنه غردون باشا في الخرطوم . اطلق سراحه المهدي وعينه في مهمة جمع الشايقية ، توفي بالقطينه في عام ١٨٩٠ م .

(٣٢) عبد القادر حلمي باشا (١٨٣٧ ــ ١٩٠٨) ولد بمدينة حمص وتلقى تعليمه بالقاهرة ودرس الطب في فينا الا انه لم يعمل بمهنة الطب . التحق بسلاح المهندسين بالجيش السوري وتدرج في الرتب العسكرية الى ان وصل الى رتبة فريق في عام ١٨٧٨ م . عين حكمدارا عاما للسودان في عام ١٨٨٢ اثر فشل رؤوف باشا في اخماد حركة المهدية . بذل جهدا في بناء استحكامات الخرطوم ومطاردة انصار جيوش المهدية في الجزيرة . استدعي الى مصر في ظروف غامضة وعين بدلا عنه علاء الدين باشا . تقاعد عن خدمة الحكومة المصرية في عام ١٨٨٧ .
ــ انظر عبد الرحمن زكي ــ أعلام الجيش ــ القاهرة ، ١٩٤٧ وانظر أيضا : رتشارد هل ــ ص ٨١٣ .

وتختلف ظروف حركة المهدية في دارفور عن الجزيرة فدارفور لم يمض على انضمامها للحكومة التركية الا سبع سنوات ولم يزل ابناء سلاطين الفور يحاولون استعادة سلطنتهم وتسبب بعد دارفور عن الخرطوم في عدم وصول الامدادات والذخائر للسلطات في الفاشر كما ان نشوء الثورة الام في كردفان قطع الطريق بين دارفور والحكومة المركزيه في الخرطوم وادى سقوط الابيض ، وهزيمة هكس في شيكان الى سقوط دارفور . وفي جنوب دارفور حمل لواء الثورة مادبو علي ، زعيم الرزيقات بعد أن بايع المهدي في قدير وأبلى بلاء حسنا في واقعة الشلالي ، وكان مادبو علي ناقما على الادارة التركية المصرية في السودان بسبب عزله من رئاسة الرزيقات واستجاب البقارة عموما والرزيقات خصوصا لدعوة مادبو بسبب الاضرار التي لحقتهم من منع تجارة الرقيق وطمعا في التخلص من دفع الضرائب .(٣٣)

اما في شمال وشرق السودان فقد شبت الثورة لاسباب تختلف عن بقية جهات السودان الاخرى . ففي شرق السودان انضمت قبائل الهدندوة لعثمان دقنة حبا في التخلص من دفع الضرائب واستفاد عثمان دقنه من التنافس الطائفي في المنطقة بين طريقتي الختمية والمجذوبية ، اذ أيد مشائخ المجذوبية عثمان دقنه بينما ناصبه زعماء الختمية العداء بقيادة شيخهم محمد عثمان الميرغني . كما ان بعض القبائل المتاخمة لسواكن كانت تجني فوائد اقتصادية بسبب تعاملها مع السلطات في سواكن وظلت على ولائها للحكومة التركية المصرية .(٣٤)

وقد استطاع عثمان دقنه الاستيلاء على سنكات وقطع طريق المواصلات بين سواكن وبربر ولكن سواكن استعصت عليه . وفي جهات

(٣٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٤٥ .
(٣٤) مذكرات عثمان دقنه ، الدكتور أبو سليم ، ص ٧٣ .

ساند الختمية واتباعهم من قبائل الحلنقة والبني عامر حامية كسلا
زحف المهدوي وكانت حامية كسلا آخر حامية تسلم ، بعد حامية

ﻓﻲ شمال السودان كانت القبائل الكبيرة كالجعليين والشايقية ،
قاة والسكوت والمحس ، تنتمي الى طريقة الختمية وقد تعاون بعض
هذه القبائل مع الجيش الفاتح . وبالاضافة الى العامل الديني
نهم مصالح اقتصادية هددتها الثورة ولم تقدم لهم البديل . ولم
ـ السكان في حركة المهدية ، الا بعد ان اعلنت سياسة الاخلاء بل
سقوط الخرطوم . أتى محمد الخير عبدالله خوجلي ، عاملا من
لهدي على بربر ودنقله ومن قبله اعطيت امارة دنقله لمصطفى ياور
، كان يخادع المهدي وقضى على الشيخ الهدى ومحمود ود الحاج في
كورتي . والمهم ان اهالي تلك المنطقة لم يكونوا متحمسين للثورة
افة الا انهم كانوا في طريق الجيش المنسحب ولم يقطعوا عليه الطريق
نوا مع الجيش الفاتح فيما بعد وهاجرت اعداد كبيرة من سكان
ة الى مصر في أيام حكم الخليفة عبد الله .

نكتفي في هذا المقام بالقول بان اسباب قيام الثورة المهدية كانت
ـ من اقليم الى اقليم ومن المحتمل ان الثورة لو لم ترتكز على
ـ كردفان بعد نشوبها في النيل الابيض ، لكان مصيرها الفشل .
وسط شمال وشرق السودان كانت الطرق الصوفية مسيطرة على
اتباعها كما كان يوجد بهذه المنطقة عدد من العلماء ممن لم يؤمن
ة المهدي بالاضافة الى ان السلطة الحاكمة كانت متركزة في هذه
ة وطرق المواصلات سهلة نسبيا كما وكان لقبائل هذه المنطقة مصالح
ادية تربطهم بمصر . وان النظرة الفاحصة والامعان الدقيق في تصور
، نفوذ العناصر المناوئة لحركة المهدية ، تجعلنا نميل الى الاعتقاد بان

المهدي اختار منطقة جنوب كردفان دارا لهجرته لخلوئها من هذه العناصر وذلك بالاضافة الى موقعها الجغرافي النائي • وصعوبة وسائل المواصلات بها نسبة لانها منطقة جبلية وعرة • ويبدو ان الاختيار على منطقة جبل قدير لتكون دارا للهجرة لم يتم الا بعد دراسة وافية قام بها المهدي بعد زياراته الميدانية الى بعض جهات السودان • وخاصة كردفان ، اذ كان يقوم بزيارات لبعض المناطق يعظ فيها الناس ، ويدعوهم الى اصلاح دينهم • قام في عام ١٢٩٧/١٨٨٠م بزيارة الى مدينة الابيض واتصل برجال الدين والاعيان • وفي طريق عودته من الابيض ؛ مر على قدير ووقع عليها الاختيار لتكون دارا لهجرته واخذ العهود والمواثيق من ملوك جبال النوبة وخاصة الملك ادم ام وبالو ، ووجد عندهم ترحيبا عظيما • (٣٥)

وهذا يعني ان المهدي كان يعد في خططه لتنفيذ الثورة وفق ما يتطلبه قيام الثورة من ايدولوجية وجو ملائم لقبول الدعوة وأرض حصينة للانطلاق بالثورة ، على خلاف الحكمدار محمد رؤوف الذي كان خالي الذهن عن خطورة الحركة ، فان الاجراءات التي اتخذها في القبض كانت غير سليمة من الناحية الادارية ، فعندما ارسل ابا السعود لاستدراج « المهدي » الى الخرطوم كان يمكنه اعطاءه اوامر محددة ، واستعدادات كافية للقبض على « المهدي » في حالة عدم الانصياع للحضور الى الخرطوم بدلا من ان يعود اليه ابو السعود ويتلقى اوامر جديدة اذ في هذه الفترة استعد المهدي للمقاومة وانتصر على القوة التي ارسلت لاحضاره بالقوة للخرطوم • وبطريقة غير مباشرة اشعل محمد رؤوف فتيلة الثورة فلولا تدخل محمد رؤوف لقام المهدي بهجرة عادية مع حواريه فقط ، ولكن الانتصار الذي حققه على قوات الحكومة في ابا اعطت الحركة دفعة قوية ودعاية واسعة انتشرت في جميع ارجاء البلاد

---

(٣٥) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ص١٧ .

وصارت القبائل القاطنة في منطقة مسيرة هجرة المهدي تنضم اليه • وفي قدير انتصر في موقعتين فاكتسبت الحركة دعاية اكبر وصارت الوفود تتجه الى قدير لمبايعة المهدي ويعود الزعماء البارزون لاوطانهم لاشعال الثورة ونشطت قبائل دارفور وكردفان والجزيرة بصفة خاصة • ومهدت مسيرة المهدي نحو الابيض وبسقوط الابيض وهزيمة جيش هكس عند شيكان ، سقطت كردفان باجمعها في يد المهدي وتبعتها دارفور واصبح الطريق ممهدا نحو الخرطوم التي سقطت قبل وصول حملة الانقاذ التي ارسلتها الحكومة البريطانية لانقاذ غردون وهكذا اصبح السودان في يد حكومة المهدية ما عدا حاميتي سنار وكسلا وسواكن • سلمت كسلا وسقطت سنار ولكن سواكن استعصت على عثمان دقنه وظلت خارج دائرة نفوذ المهدية •

وبعد هذا العرض السريع لاسباب نجاح حركة المهدية ونجاحها وانتشارها ، نستطيع تحليل هذه الاسباب من الجانب الآخر وبعبارة اخرى ، الى اي مدى استطاعت حركة المهدية الاستفادة من هذه‌الاسباب وعملت على ازالتها فلم يكن كافيا زوال الحكومة التركية ــ المصرية فان الجماهير كانت تتوقع تحقيقا لمطالبها ، المتمثلة في الضرائب الباهظة والقسوة في طريقة جبايتها ، كانت بعض القبائل تسعى الى نوع من الاستغلال الذاتي والحرية المطلقة في ادارة شئون قبيلتها على النحو الذي الفته ايام سلطنة سنار او سلطنة الفور والشاهد ان الزكاة حلت محل الضرائب وحل امناء بيت المال محل جباة الضرائب وحل الجهادية محل الباشبوزق ، بالاضافة الى تكاليف اخرى جديدة مثل الهجرة والجهاد ولجأت حكومة المهدية الى اساليب مركزية اقوى مما كانت عليه أيام الاتراك • وهذا يعني ان السخط العام عاد مرة اخرى في صورة اخرى ولكن في هذه المرة ضد سلطة جديدة قوية ، تستطيع القيام بمصادرة الاموال وتنفيذ الهجرة الجماعية والاخضاع بالقوة المسلحة ولم يكن

للانتفاضات التي قامت ضد دولة المهدية قيادة موحدة تجمع شتات قوتها وانما كانت انتفاضات فردية لم تستطيع الصمود امام حزم وقسوة الخليفة عبد اللـه .

وبوفاة المهدي فقدت حركة المهدية ، القيادة الملهمة ، وفي نفس الوقت كانت الحركة قد وصلت إلى قمة انتصاراتها داخل السودان ولـم يكن باستطاعتها الخروج عن السياج الذي فرضته القوة الخارجية خارج حدود السودان ويبدو ان المهدي كان يريد التوجه نحو مصر ولكن المرء ليحتار كيف كان المهدي سيستطيع إعاشة جيوشه المتوجهة نحو مصر في تلـك الاماكن الفقيرة التي عجزت عن توفير القوت لجيش النجومي ؟ .

وبعبارة أخرى فقدت حركة المهدية قيادتها الملهمة واستراتيجيتهـا وزوال القيادة الملهمة فتح باب الصراع بين القوى التي قامت على اكتافها الثورة وجدد مسار سياسة القيادة الجديدة المتمثلة في الخليفة عبداللـه وشيعته من ابناء الراية الزرقاء ورغم ان الخليفة عبدالله كان امـير جيش المهدية في حياة المهدي الا انه لم يكتسب ولاء الرايات الاخرى بسبـب قيادته المباشرة للراية الزرقاء وبسبب وجود رايات يترأسها محمد شريف من ابناء عمومة المهدي ــ الى جانب ان الرايات قسمت على نمط اقليمي ذات صبغة قبلية وعندما آلت مقاليد الامور الى الخليفة عبداللـه وتولى قيادة الحركة المهدية ، لم يعين شخصا آخرا في منصب امير جيش المهدية كما لم يعين شخصا لقيادة الراية الزرقاء التي كان يتولاها بصفته مثوليا مرتبة خلافة الصديق وكان اخوه يعقوب وكيلا له على الراية الزرقاء أي نائبا له وظل يمارس قيادة الراية الزرقاء رغم انه لا يتمتع بمرتبة خليفـة كقادة الرايتين الاخريين وبقاء الخليفة عبدالله في أم درمان ، فقد قيـادة الرايات عملهم الاساسي وهو قيادة الجيوش التي تحت رايتهم وتدريجيا انتقلت اعباء وظيفة امارة الجيوش الى يعقوب بن محمد ، دون ان يكون

له مرتبة دينية تؤهله للقيام بهذا العمل ، واصبحت سلطات يعقوب ونفوذه اقوى من الخليفتين اللذين فقدا نفوذهما ومكانتهما وبطريقة عملية اصبحت وظيفة امير جيش المهدية وظيفة ادارية اكثر منها وظيفة حربية .

ان عدم ثقة الخليفة عبدالله في الخليفتين الآخرين جعله يركز كل السلطات في يد يعقوب الذي اصبح شبيها برئيس الوزراء ويشرف على تنفيذ السياسة التي يضعها الخليفة عبدالله بل كان يشارك في وضعها . وكان يعقوب حلقة الوصل بين الخليفة والعمال في الاقاليم والذين اصبحوا جميعا من ابناء الغرب ما عدا عثمان دقنه في خلال سنة من حكم الخليفة عبدالله وسنعود الى مناقشة هذه المسألة في جانب آخر من هذا البحث .

والاسباب التي دفعت الخليفة عبدالله الى المبالغة في الاعتماد على اخوته وابناء عشيرته ترجع الى تخوفه من طموح الاشراف وعدم ثقته في ابناء النيل وكان الخليفة عبدالله مهتما بامر تأمين خلافته وفي الوقت ذاته كان مهتما بالمحافظة على ديناميكية الحركة والمتمثلة في نشر الدعوة وما يستلزم ذلك من عمليات الهجرة والجهاد . وبوصول حركة المهدية الى أم درمان لم يعد الجهاد محببا لافراد القبائل المحاربة والتي كانت في مراحل الجهاد الاولى تهاجم حاميات الحكومة وتتوقع الغنائم والاسلاب أما بعد ذلك فليس أمامهم حامية يحاولون القضاء عليها وبعدوا عن اوطانهم وبعيد عن تصورهم الوصول الى مصر والسفر الى خارج البلاد لعمليات الجهاد والاماكن مجهولة لديهم . وقد كانت المعارك الاولى متصلة بحيث ان المحاربين كانوا يجدون ما يكفيهم من بيت المال الذي امتلأ بالغنائم أما بعد انتهاء هذه المعارك فلم يعد هناك أسلاب توزع على المحاربين وبسبب الهجرات الجماعية اقفرت القرى من اهلها ولم يعد هنالك من يقوم بأمر الزراعة . والتجار تعرضوا الى كثير من المشاكل كما

ان التجارة الخارجية كانت تمارس في نطاق ضيق وفي كثير من الحالات كان الخليفة عبدالله يقفل طريق التجارة بحجة منع التجسس وتعرضت العملة الى التدهور وفقدت قيمتها .

وخلاصة القول ان حركة المهدية اهتمت بالجانب الديني ولم تلتفت الى الجانب الدنيوي مما أدى الـى مقاومتها من بعض فئات المجتمـع السوداني وسنتحدث عن جذور وتطور هذه المقاومة في فترة كـل من المهدي والخليفة عبدالله في الفصول التالية .

الفصل الثاني

تاريخ المهدية — فترة المهدي

حياته الاولى
بعثة ابي السعود
واقعة ابا
الهجرة
واقعة قدير الاولى
واقعة قدير الثانية
واقعة الجمعة وسقوط الابيض
واقعة شيكان
التوجه الى الخرطوم

الفصل الثاني : المهدية ــ عرض تاريخي

اولا : فترة المهدي

حياته الاولى

تميزت فترة حكم المهدية بنوع من الطراز الاوتوقراطي أي الحكم القائم على القيادة الفردية . ففي السنوات الاولى من حكم المهدية كانت الكلمة الاولى للمهدي بصفته الامام وبصفته المنتظر والمنقذ لحركة المهدية . وكان الخليفة عبدالله بمثابة الساعد الايمن له . وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية مواتية لحركة المهدية وساعدت في انتشارها ونجاحها . وعلى خلاف هذا كان موقف الخليفة عبدالله ، الذي تسلم القيادة في ظروف صعبة بالاضافة الى الاختلاف في مقومات شخصيته عن شخصية المهدي ، مما دفع الى الاعتقاد بانالخليفة عبدالله كان اسير زمانه ولكي تتضح لنا هذه الصورة يجدر بنا ان لتناول بالدراسة خلفية كل منهما وأثرها في تطور حركة المهدية .

ولد محمد أحمد بن عبدالله « المهدي » حوالي سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م باحدى جزر الاشراف باقليم دنقلا ومن قديم عرفت العائلة التي ينتمي اليها المهدي بالاشراف لقولهم بانهم من ذرية رجل يدعى حاج شريف ، ولهم شجرة أنساب تصل بهم ــ على حد قولهم ــ الى الحسن

الفصل الثاني : المهدية ــ عرض تاريخي

اولا : فترة المهدي

حياته الاولى

تميزت فترة حكم المهدية بنوع من الطراز الاوتوقراطي أي الحكم القائم على القيادة الفردية . ففي السنوات الاولى من حكم المهدية كانت الكلمة الاولى للمهدي بصفته الامام وبصفته المنتظر والمنقذ لحركة المهدية . وكان الخليفة عبدالله بمثابة الساعد الايمن له . وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية مواتية لحركة المهدية وساعدت في انتشارها ونجاحها . وعلى خلاف هذا كان موقف الخليفة عبدالله ، الذي تسلم القيادة في ظروف صعبة بالاضافة الى الاختلاف في مقومات شخصيته عن شخصية المهدي ، مما دفع الى الاعتقاد بان الخليفة عبدالله كان اسير زمانه ولكي تتضح لنا هذه الصورة يجدر بنا ان نتناول بالدراسة خلفية كل منهما وأثرها في تطور حركة المهدية .

ولد محمد أحمد بن عبدالله « المهدي » حوالي سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م باحدى جزر الاشراف باقليم دنقلا ومن قديم عرفت العائلة التي ينتمي اليها المهدي بالاشراف لقولهم بانهم من ذرية رجل يدعى حاج شريف ، ولهم شجرة أنساب تصل بهم ــ على حد قولهم ــ الى الحسن

ابن علي بن أبي طالب [1] . وبحكم نشأة هذه الاسرة في اقليم دنقلا ، فانهم تظاهروا مع سكان المنطقة واكتسبوا صفات وعادات اهلها ، وكان اهل دنقلا والمناطق الشمالية عموما قد اخذوا يهاجرون الى اواسط السودان منذ بداية العهد التركي تحت ضغط ظروف بلادهم الطاردة وتحت ضغط الضرائب التي فرضت عليهم ، فانتشروا في اغلب مدن واقاليم السودان خاصة حول النيل الابيض واعالي النيل حيث عمل عدد كبير منهم في تجارة الرقيق .

وقد كان والد محمد أحمد يعمل بصناعة المراكب ، وبعد ولادته بقليل ، اضطر الى الهجرة الى داخل السودان ، بحثا عن الاخشاب اللازمة لصناعة المراكب ، فوصل جهات كرري شمالي الخرطوم ولم تطل اقامته بتلك المنطقة اذ ادركه الموت ثم لحقت به زوجته بعد فترة قصيرة . لقد شب محمد أحمد يتيما ، وكانت نفسه تميل منذ صغره الى طلب العلم والتدين ، على خلاف اخوته الذين استمروا في ممارسة صناعة المراكب وبالفعل انصرف محمد أحمد الى تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في خلاوي كرري والخرطوم ، ثم درس علم الفقه على الشيخ الامين الصويلح . ولم يكتف بما نال من علم في تلك المنطقة ، وكان يرجو المزيد . وكان في نيته ان يذهب الى مصر للالتحاق بالازهر ولكنه عندما سمع عن خلوة الشيخ محمد الضكير بحلة الغبش غرب بربر قرر ان يلتحق بها . وهنا اخذ العلوم النقلية على الشيخ محمد الضكير والذي اصبح فيما بعد احد اتباعه الكبار وعامله على عموم بربر ودنقلا . [2]

---

(1) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٢ .

(2) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٢ .

وقد اشتهر حتى في تلك الفترة بالزهد والتعبد والتعفف من أكل الطعام الذي كان يقدمه الشيخ لطلابه لاعتقاده بأن ذلك الطعام كان يصنع من الذرة الذي تقدمه الحكومة للمشائخ مساعدة لهم في نشر التعليم وكان من رأيه ان مال الميري حرام لانه يؤخذ عنوة من المواطنين وبوجه غير الوجه الشرعي . وقيل ان محمد الضكير عندما علم بعزوف محمد أحمد عن تناول هذا الطعام أمر بأن يقدم له الطعام من الذرة المجلوب من مزارعه الخاصة [٣] . كما قيل بأن محمد أحمد كان يعتمد في غذائه على الاسماك التي يصطادها من النيل .

وبعد ان اكمل محمد أحمد تعليمه في العلوم النقلية ، مالت نفسه الى التصوف على عادة اترابه في ذلك الوقت وقد وقع اختياره على الطريقة السمانية وكان ذلك في سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦١ م . وهنا تجدر الاشارة الى الانقسام الذي حدث في طائفة السمانية وتفرعها الى ثلاثة أقسام ، القسم الاول بزعامة الشيخ محمد شريف نور الدائم والقسم الثاني بزعامة الشيخ القرشي ود الزين والقسم الثالث بزعامة الطيب البصير ، وفيما بعد سنوضح كيف ان هذا الانقسام افاد محمد أحمد في الخروج من مأزق الولاء والبيعة لشيخ الطريقة ولكن المهم هنا هو ان محمد أحمد التحق بفرع الشيخ محمد شريف . وقد واصل محمد أحمد تفانيه في الزهد والتقوى والمجاهدة في العبادة والولاء لطريقة السمانية وبالغ في الولاء لشيخه حتى نزل عنده منزلة عظيمة فأعطاه اجازة الخلافة السمانية في سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥/ ١٨٧١ م ورفع له راية واذن له بالتجول في البلاد لاعطاء العهود وقبول المريدين [٤] .

انتقل محمد أحمد واخوته الى الجزيرة ابا في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٩م

---

(٣) الدكتور مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، بيروت ١٩٦٤ ص ٢٥٠ .
(٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ص ٦٣٨ .

وقد انشأ بها خلوة للتدريس وغارا للتعبد ومسجدا للصلاة واصبح له اتباع كثيرون واكتسب شهرة عظيمة لا بسبب انتمائه لطريقة السمانية وانما بسبب مكانته الشخصية وشهرته في مجال الزهد والصلاح. ويبدو ان الشيخ محمد شريف غار من تلك المكانة التي وصل اليها تلميذه فاراد ان يحد من نفوذه فانشأ مركزا لطريقة السمانية بجهة العرويب القريبة من الجزيرة ابا وولى عليها خليفة يدعى الشيخ رضوان ولربما خشي محمد شريف نور الدائم من تكرار تجربة الانقسام في طريقة السمانية (٥) ويستقل محمد احمد بقسم رائع فيها . ومهما يكن من امر فان طموح محمد احمد كان اكبر من مشيخة طريقة . وبطريقة غير مباشرة دفعه محمد شريف نور الدائم الى السير بخطوات سريعة في اعلان دعوة المهدية .

ويبدو بأن محمد أحمد تحدث مع شيخه في أمر المهدية حسب الرواية التي اوردها نعوم شقير عن محمد شريف نور الدائم ورغم ان الرواية ذكرت بعد سقوط المهدية الا انها فيما يبدو محتملة الوقوع: ذكر محمد شريف بان محمد أحمد لما كثرت انصاره ومريدوه كبرت نفسه وسول له شيطان الغرور انه اعظم من في الارض وانه المهدي المنتظر قال محمد شريف فأسر الي بدعواه ورغب ان اكون له وزيرا ومستشارا فيجعل الامر كله في يدي وذلك في سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م فزجرته ونهيته مرارا ولما لم ينته عقدت معه مجلسا في ابا جمعت اليه القضاة والنظار وبعض الأخيار كعبد الرحيم اللبيح ناظر اللحويين واحمد جفون ناظر الشانخاب ويوسف أبي جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة وغيرهم من اكابر ابا وأمرته بالرجوع عن ضلاله واشهدت الله ورسوله والحاضرين

---

(٥) الدكتور ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ، ١٩٧٠ ، ص ١٥ .

الى أن رجع شاطرته لنصف ما ملكت يدي من مال وعقار فخرج من المجلس لمشاهدة من معه من الاصحاب فلم يرجع ، ومن ذلك الوقت نفيت من الطريقة وقلت لاصحابي أن يضربوه اذا جاءهم ونصحت لقائمقام الكوه بوجوب القبض عليه وزجه في السجن خوفا من تجسم الامر فلم يفعل وقال انه رجل صالح وصاحب الخضر فلا يمسه بسوء [٦] .

ولم يشر محمد شريف الى الاسباب الاخرى التي دفعت محمد أحمد لانتقاده علنا .

ويبدو ان النزاع بين محمد أحمد ومحمد شريف قد اوضح له بأن الوصول الى مرتبة المهدية لا يمكن ان يتحقق عن طريق شيخ الطريقة واصبح محمد أحمد في صراع نفسي بين الولاء لشيخه وبين الاستمرار في تنفيذ مخططه لاعلان دعوة المهدية .

هذه المعاناة دفعته الى نقد شيخه علنا رغم ما كان يتمتع به الشيخ من قداسة وهيبة وقد سعى محمد أحمد الى طلب العفو والنصح من شيخه ورجع اليه تائبا واضعا الشعبة على عنقه دليلا على الندم ومعاقبة النفس ولكن الشيخ لم يقبل توبته وطرده من الطريقة وكان رد الفعل قاسيا على محمد أحمد مما اذكى نيران ثورته وتذمره . ولم يخرج عن نفوذ دائرة الطريقة في هذه المرحلة ، ووجد في الشيخ القرشي ولد الزين فرصة للانضمام الى فرع من فروع الطريقة السمانية . وهذا يدل على نفوذ الطرق الصوفية وأثرها في المجتمع السوداني . وتشاء الصدف ان يكون شيخ المهدي الجديد كبيرا في السن ، وان يكون اكبر ابنائه صغيرا في السن ، وتوفي الشيخ القرشي في اواخر سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م وأتى محمد

---

(٦) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٦٣٩ — ٦٤٠ .

أحمد وحواريره في أوائل سنة ١٢٩٨ / ١٨٨٠ الـى ارض الحلاويـن وشرعوا يبنون قبة فوق قبره على عادة اهل الطرق الصوفية • وبمـوت الشيخ القرشي لم يعد لمحمد أحمد شيخ يأتمر بأمره ويدين له بالولاء ، وليس هناك اي دليل يثبت بان القرشي اسند المشيخة الى محمد أحمد او الى ابنه الصغير عبد الرحمن او الى اي شخص آخر (٧) • ومن المحتمل ان محمـد أحمـد شعـر فـي هـذه المـرحلـة بـأنـه ليس فـي حاجة الى شيخ وانه قد وصل الى المرتبة التي يأخذ فيها عـن الرسول مباشرة •

في هذه المرحلة حدثت مقابلة عبدالله بن محمد لمحمد أحمـد والتي حدثت في وقت اصبح فيه محمد أحمد حرا في تصرفاته ولم يعد يتلقى الارشاد والتوجيه من شيخ واصبح مهيئا لاعلان دعوته وبعبارة اخـرى ان عبدالله بن محمد انضم الى محمد أحمد في فترة تبلور فكرة المهدية في ذهنه وقد كان محمد أحمد قبل هذه الفترة يقـوم بحركـات تبشير لاصلاح العقيدة عن طريق الوعظ المباشر في الجولات التي كان يقوم بها في البلاد •

ويبدو بانه قد تيقن بان هذه الاساليب في الوعظ لا تجدي وأخـذ يخطط لقيام مجتمع جديد في مكان منعزل وفي منتصف عام ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ قام بزيارة موفقة الى كردفان ووثق صلاته ببعض الزعمـاء ورجال الدين ، ويذكر أحمد الازهري في رسالته المشهورة بان « محمد أحمـد المذكور فانه حضر عندنا بكردفان في مدينة الابيض مركز المديرية وحضر عندنا بجامعنا زائرا لنا وجلس مجلسنا ونحن نقرأ وقتئذ درس الحديث

---

(٧) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكريةفي المهدية،الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٦ .

في الشمائل الترمذية وهو بالمجلس الى ان فرغنا من الدرس وانه زارنا وطلب منا الدعاء وتوجه الى منزله . ولم نر فيه شيئا من تلك الاوصاف بل انما هو عند جلوسه بمجلسنا لم نر فيه الا الرزانةوالخضوع والصمت وكان اذ ذاك في الربيع الاول ثم رجع الى جزيرة أبا واقام فيها اشهرا ثم بلغنا انه تفوه بتلك الدعوة . » [8] .

وفي طريق عودته من الابيض وثق صلاته بزعماء القبائل الذين قابلهم ووجد عندهم ترحيبا وقبولا [9] .

وفي ربيع الثاني ١٢٩٨ هـ / مارس ١٨٨١ م كتب المهدي الى كثير من معارفه والى من يثق فيهم مبشرا اياهم بمهديته فردَّ عليه البعض بالتأييد والبعض الآخر أنكر الدعوة . وقام محمد أحمد بزيارة ثانيةالى كردفان وجدد صلاته بالزعماء ورجال الدين وفي أثناء عودته منالابيض مر على قدير ووقع عليها الاختيار لتكون مقرا لدار هجرته .

وفي أول شعبان ١٢٩٨ هـ أخطر محمد أحمد أصحابه بأن النبي قد باشر تنصيبه مهديا وكاتب المؤيدين لدعوته بالحضور الى جزيرة ابا للقيام في أول رمضان .

---

(٨) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ١٩٦٧ ،ص ٩٦٤ .
(٩) الدكتور بو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٧ .

بعثة ابي السعود

لم يهتم الحكمدار محمد رؤوف باشا (١٠) بأمر الخطابات التي كان يرسلها المهدي الى بعض كبار الفقهاء والاعيان في بادىء الامر ، ولكن عندما تواترت الاخبار ، وانتشرت قصة المنشورات ، رأى الحكمـــدار ضرورة استدعاء المهدي الى الخرطوم فأرسل معاونه أبا السعود الـــى الجزيرة ابا للقيام بهذه المهمة وقد بلغ أبو السعود الجزيرة أبـــا في ١١ رمضان ١٢٩٨هـ / ٧ أغسطس ١٨٨١ م وجرى بينه وبين المهدي حـــوار أدرك منه أبو السعود بأن المهدي مصمم على دعوته ، فعاد الى الخرطوم وأخبر الحكمدار بما جرى بينه وبين المهدي .

---

(١٠) محمد رؤوف باشا ولد في سنة ١٨٣١ وتوفي في ١٨٨٨ ، كان ضابطا بالجيش المصري . خدم في المديرية الاستوائية وبوغنده وبونيو رو . خلف غردون في عام ١٨٨٢ حكمدارا على السودان . فشل في التغلب على الثورة المهدية ورفع من منصبه .

واقعـة ابا

وعندما لم تجد الطرق السليمة في استدراج المهدي بالحضور الى الخرطوم ، قرر الحكمدار احضاره بالقوة ، فأرسل بلوكين بقيادة أبي السعود والذي وصل الى الجزيرة ابا في ١٦ رمضان وتوقع المهدي ارسال تلك القوة فأمر أصحابه وحواريه بالخروج الى شرق الحلة حيث كمنوا للبلوكين وانقضّوا عليهم بالسيوف والحراب والعصي ، ولم يتمكـن الجنود من التصويت لان الانصار دخلوا وسط صفوفهم وقتلوا منهم عددا كبيرا وفر الباقون الى الباخرة حيث كان ينتظرهم أبو السعـود والذي عاد الى الخرطوم بعد فشل مهمته .

ثم أرسل المهدي الى قبائل دغيم وكنانة والعمارنه فأتوه في اليـوم التالي ، وأخذوا البيعة على المهدية ، وعبر المهدي وأصحابه النيل الـى الغرب مهاجرين الى قدير عن طريق دار الاحامدة .

الهجـرة

لقد سبق أن ذكرنا بأن المهدي كان قد أسرّ الى المقربين له بدعوته وكاتب البعيدين عنه يطلب منهم الحضور للهجرة الى مكان يكون فيه قوام الدين وعدّل المهدي تاريخ الهجرة أكثر من مرة الى أن حدثت واقعة ابا والتي عجلت بتنفيذ الهجرة الى قدير . وأراحت المهدي من فترة القلق والحيرة والتردد والمعاناة وحسمت طريق الدعوة ، وجعلت له الاتباع وعندما وصل قدير كان عدد أتباعه قد بلغ ثمانية آلاف رجل .

والهجرة معروفة في تاريخ الحركات الدينية وهي في نظرهم حد فاصل بين عهد مضى وعهد قادم وتشبه عملية الخروج من الجاهلية الى الاسلام وبين الظلام والنور والكفر والايمان وهي عبارة عن هروب عملي من مواطن الكفر وتهيئة النفس للحياة الجديدة وبالنسبة للمهدي فانه تقليد للرسول بل انه ذكر انها أمر منه « ... وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأشار الي بمكاتبة المسلمين ودعوتهم الى الهجرة معنا ، فهي مطلوبة جدا ومن الامور التي لا يجوز مخالفتها ولا يلتفت في ذلك الى أحد ، فان اتبع الاهل بها ، والا فالصحابة تركوا أهلهم للهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم...» (١١) .

وقد وضعته الهجرة الى قدير على بعد من مراكز حاميات الحكومة

---

(١١) منشور الدعوة ، شعبان ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م .

وعن مناطق نفوذ الفقهاء ومشايخ الطرق الصوفية ووجد أرضا جديدة ليست بها انتماءات عقائدية سابقة وكانت الهجرة معدّة ومرتبة في ذهن المهدي ولم تكن حدثا عرضيا بعد واقعة ابا (١٣) ٠

ومن الناحية النظرية تبدو الهجرة وكأنها نوع من الاختبار يوضح مدى استعداد التابع للانخراط في الحركة ٠ قرر المهدي بأن الهجرة الى الله ، ومن يهاجر الى الله لا بد أن يتخلص من الخوف ويتصف بالتوكل في رزقه على الله وأن يتخلص من عواطفه الوجدانية نحو أسرته ٠ والشخص الذي يصل الى هذه المرحلة يتسم بالصفات التي تخرطه في سلك المجاهدين ٠

ومن الناحية العملية فان الهجرة تبدو عملية استراتيجية تعطي المؤيدين للحركة فرصة للانضمام واختبار الميدان للاصطدام بالعدو ٠

---

(١٢) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، منشورات المهدية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢ ٠

واقعة قدير الاولى

استطاع المهدي الوصول الى جبل قدير ، وحاول محمد سعيد باشا، مدير كردفان ، قطع الطريق على المهدي ومنعه من الوصول الى قدير ولكنه فشل في مهمته وعاد دون أن يبلغ شيئا بعد أن منعه الملك آدم ام دبالوا من الدخول الى جبل قدير [١٣] .

وفي ذلك الوقت كان راشد أيمن بك مديرا على مديرية فاشورة وقد قرر أن يفاجىء المهدي ويقضي عليه ورغم ان الحكمدار محمد رؤوف لم يأذن له بذلك فانه توجه الى قدير على رأس قوة يبلغ عددها نحو ٣٥٠ جنديا نظاميا و ٧٠ من الخطرية ونحو الالف رجل من قبيلة الشلك تحت قيادة ملكهم كيكون . أجهد راشد جيشه بالسير المستمر أملا في مباغتة المهدي والذي علم بمجيئه واستعد للقائه ، ووصلت جنود راشد الى قدير ، منهوكة القوى ، وهجم عليهم المشاة من الانصار ، ودخلوا وسطهم ، ففرطوا عقد القلعة ، وتلقى الخيالة من الانصار الفارين من جند راشد ، وأعملوا فيهم السيف ، وانتهت المعركة بنصر حاسم للمهدي ، وقتل معظم الجيش وعلى رأسهم راشد وكيكون ملك الشلك، وبوصول الانباء للخرطوم ، شعر رؤوف بالخطر واتصل بمصر طالبا المدد من القوات . وختمت سنة ١٨٨١ بهذه الموقعة وطار صيت المهدي وجاءته الوفود تأخذ البيعة وانضمت الى صفوف حركته [١٤] .

---

(١٣) الدكتور مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٨ .

(١٤) الدكتور مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦٤ .

واقعة قدير الثانية

لم تستجب الحكومة المصرية لطلبات رؤوف باشا بالامدادات التي طلبها بل قررت رفعه عن الحمدارية وعينت بدلا عنه عبد القادر حلمي باشا وتولى جيكلر باشا الحكمدارية وقرر ارسال حملة للقضاء على المهدي بقيادة يوسف حسن الشلالي ، مكونة من ثلاثة عشر بلوكا من الجند النظامي وألف وخمسمائة رجل من الخطرية التقى الجيشان في معركة طاحنة انتهت بانقراض جيش الشلالي . ولم يعد المهدي بعدها محتاجا الى التزام خطة دفاعية في قدير وانما قرر التوجه نحو الابيض وترك الاسلحة النارية التي غنمها من جيش راشد والشلالي في قدير بدعوى انه ليس بحاجة اليها وولى على منطقة قدير ابن عمه محمود عبد القادر . وفي قدير وضع المهدي اللبنات الاولى في تأسيس دولته ، واعتبر يوم انهزام الشلالي بداية لتطبيق احكامه [١٥] .

ومن هنا بدأ المهدي في مواجهة مشكلات التنظيم ، والسيطرة على النظام والامن بين صفوف اتباعه الذين اصبحوا يعدون بالالاف . ولم يكن للمهدي ، أو أحد من اتباعه خبرة سابقة بالامور الادارية والعسكرية . ففي الجانب العسكري اتجه المهدي الى التصور الصوفي . فقسم الجيش

---

(١٥) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ٢٢ .

الى أربع رايات ، الراية البيضاء وهي خاصة به أي راية القيادة وكان يحملها اخوه محمد بن عبد الله والراية الثانية هي الراية الزرقاء (السوداء) بقيادة الخليفة عبد الله وجل اتباعها من أهل الغرب اما الراية الخضراء فكانت تحت قيادة الخليفة علي ود حلو واتباعها من قبائل دغيم وكنانه والحسنات والعمارنة اما الراية الحمراء فكانت تحت قيادة الخليفة محمد شريف واتباعها من أهل النيل . ورغم ان هذا التقسيم أخذ طابعا اقليميا بصفة عامة ، الا ان كل راية كانت مقسمة الى رايات فرعية حسب القبائل وبالاضافة الى ذلك لم يكن عدد افراد كل راية متساويا واصبحت الراية الزرقاء اكبر الرايات عددا بسبب وجود الجيش الرئيسي في منطقة الغرب وهذا مما مكن الخليفة عبد الله من السيطرة على الجيش بصفة خاصة والسيطرة على دولة المهدية فيما بعد .

والمشكلة الثانية التي واجهت المهدي هي مشكلة السيطرة على المحاربين ومنعهم من السلب والنهب والفلول في الغنائم وقد انشأ المهدي جهازا للمالية اسماه بيت مال المسلمين وولى عليه احمد سليمان ، واصدر المنشورات المشددة في التحذير من الفلول في الغنائم من جانب الافراد والقبائل التي لم تنضم للحركة بسبب دوافع دينية وانما كانت تسعى لمصالح دينوية وعندما نجحت الحركة طفقت هذه العناصر تبحث عن المطامع التي كانت تسعى اليها فاتخذت موقفا معاديا من الحركة . ومن جهة اخرى انتقلت الدعوة من الاطار النظري الى الواقع المعاش الى ان وصلت الى مرحلة التناقض فحدث رد فعل كان نتيجته سلسلة من الصراع والتنافس في حياة المهدي وانتقل في عهد الخليفة الى المجاهرة بالعصيان مما كلف الخليفة عبد الله كثيرا من الجهد والمعاناة .

التوجه نحو الابيض

اقام المهدي بقية شهر رجب وشعبان في جبل قدير ، حيث اجرى بعض التنظيمات في جهاز دولته الجديد وفي رمضان ١٢٩٩ هـ زحف نحو الابيض وكان الطريق امامه ممهدا ،بفضل الارتباطات والمواثيق التي كان قد عقدها مع الزعماء ورجال الدين بمدينةالابيض بالاضافة الى ان دعاته قد اشعلوا الثورة في الاماكن التي بها حاميات حكومية ، مثل قرية اسحف والتياره ولما بلغ المهدي تخوم الابيض ارسل انذارا الى اهليها وعلى أثره خـرج الياس وحزبه ولحقوا بالمهدي بينما تحزب الباقون ودخلوا في المنطقـة المحصنة من المدينة •

واقعة الجمعة ٢٤ شوال ١٢٩٩ هـ / ٨ سبتمبر ١٨٨٢ م.

ان اول حادثة اصطدمت فيها النظرية المثالية بالواقع العملي هي واقعة الجمعة (١٦) . إعتمد المهدي في حروبه السابقة ضد قوات الحكومة على الحراب والسيوف وجريا على ذلك ترك الاسلحة النارية التي غنمها في الكواليب بجبل قدير وذكر بانه ليس بحاجة لها . والشاهد ان المعارك التي خاضها المهدي ضد جيش الكومة كانت في العراء وقد استفاد المهدي فيها من مباغته الجيش والدخول في وسطه مما يجعل استعمال الاسلحة النارية متعذرا . اما الابيض فمدينة محصنة . استطاع الحكام تحصينها بخندقين حول المدينة ونصبوا المدافع على أسطح المنازل وأصبح المهاجمون من الانصار فريسة لنيران المدافع ولم يتمكنوا من دخول المدينة والالتحام مع الجند كما كانوا يرغبون . وفي صباح الجمعة المشهورة قام الانصار بهجوم كبير على المدينة ولكنهم اصطدموا ولاول مرة بمناعة الاستحكامات وقد خسروا في ساعات قليلة نحو عشرة آلاف من الرجال وعلى الاثر انسحبوا من المعركة . وقد ظهر نتيجة للصدمة رأي يقول بالتقهقر الى قدير ، ولكن الياس أم برير وقف ضده بشدة ونصح بمواصلة القتال ، لان مستقبله كان متوقفا على استيلاء المهدي على

---

(١٦) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ، ١٩٦٧ ص ٦٩٤ .
(١٧) الدكتور ابراهيم شحاته حسن ، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام ، الاسكندرية ، ص ١٦٣ .

الابيض (١٧) . ونحن نستبعد حدوث ذلك لان محمد سعيد باشا ، مدير كردفان ، لم يطارد المهدي والذي لم يكن في حاجة الى التقهقر . والمهم ان المهدي التجأ الى اسلوب الحصار والذي استخدمه في القضاء على الخرطوم بعد ان اخذ الـدرس في الابيض . وهذه الحادثة اوضحت للمهدي ان الاسلحة النارية لا يمكن الاستغناء عنها رغم انها من موروثات الترك . ومن هذه الحادثة اهتم المهدي بأمر الجهادية وهم الجنودالسود المدربين على استعمال الاسلحة النارية بواسطة الحكومة التركية المصرية. اقتنع المهدي باهمية الاسلحة النارية ، كما اهتم الخليفة عبدالله فيما بعد باسر البواخر النيلية والمطبعة الحجرية ومصنع الصابون ومصنع البارود والترسانة وصك النقود ، واستعان بالكتاب والمحاسبين في ادارة شئون دولته (١٨) . واكتفى المهدي بالغاء استعمال الرتب العسكرية وعدم استعمال الخط التركي في الكتابة واما الذين تشككوا في المهدية بعد واقعة الجمعة فقد اشار اليهم المهدي في احد منشوراته واعتبر هجرتهم مردودة وطالبهم بالتوبة وتصحيح ايمانهم (١٩) .

وقد ظلت جيوش المهدية محاصرة لمدينة الابيض ، حتى ضاق الحال باهلها مما اضطر محمد سعيد باشا بالتسليم للمهدي وهكذا اسقطت مدينة الابيض في ١٨ يناير ١٨٨٣ ودخلها المهدي منتصرا .

وبعد سقوط مدينة الابيض ، شرع المهدي في اعادة تنظيم دولته الجديدة على النمط الاسلامي . وهنا برز الصراع والتناقض بين الجوانب النظرية والواقع المعاش . ظهر التكالب على الرئاسة وجمع الغنائم مما اضطر المهدي لاصدار المنشورات المشددة في التحذير من الفلول في

---

(١٨) محمد محجوب مالك : النظام البيروقراطي في دولة المهدية ، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤-٤٨ .
(١٩) منشورات المهدي المطبوعة ، الجزء الثاني ، ص ٦٣ .

الغنائم • وفي هذه المرحلة ظهرت بوادر المقاومة لسلطة المهدي والتي على حسب اعتقاده لا تقبل المناقضة لانها صادرة بالهام إلهي • • اي ان الاتباع عليهم التزام الطاعة العمياء حسب بيعتهم له ومن الملاحظ ان عدم الاستجابة لاوامر المهدي جاء من جانب القبائل التي كانت تحارب تحت قيادة زعمائها وشنت الثورة على حاميات الحكومة بمفردها بعيدا عن الجيش الرئيسي الزاحف مع المهدي وقيل ان المنة اسماعيل ، زعيم الجوامعة ، كانت لديه الرغبة في لاستيلاء على مدينة الابيض ، قبل مجيء المهدي ونسب الى جماعة المنة اللجوء الى السلب والنهب • واستطاع المهدي القبض على المنة وكبار اعوانه ونفذ فيهم حكم القتل وقلمت اظافر جماعته •

لعب الجوامعة والحمر والحوازمة والفديات دورا بارزا في القضاء على حاميات كردفان في باره والتياره وقرية اسحق ومهدوا الطريق لجيش المهدي بالتقدم الى مدينة الابيض وكان هؤلاء العربان يتطلعون الى المكاسب من الغنائم الا ان المهدي حذرهم من الفلول فيها وعهد بأمر الغنائم الى امين بيت المال كما سبقت الاشارة •

ومن بين التعديلات والتنظيمات التي اجراها المهدي في جهاز دولته، نظام الخلافة ، مما اوجد نوعا من المنافسات بين كبار اتباعه ، كانت بمثابة بذور الفتنة والشقاق وصارت تنمو مع تطور الحركة ، بحيث صارت من اخطر العوامل التي عملت على هدم حركة المهدية وتطلع المهدي الى نشر دعوته خارج السودان فعرض احد مراتب الخلافة لمحمد المهدي السنوسي املا في اجتذاب اعوان السنوسي في مناطق غرب السودان ولم يستجب السنوسي لعرض المهدي وترتب على ذلك نوع من الحرج ، وظل كرسي خلافة عثمان شاغرا ، مما جعل بعض المناوئين لحركة المهدية يطالبون بهذا الكرسي الشاغر ويتخذونه مسوغا لمعارضة حركة المهدية •

بعد انتصارات المهدي في ابا وقدير ، صارت وفود القبائل تهاجر اليه والذي اعطى عددا كبيرا من زعماء القبائل ومشائخ الطرق البيعة والامارة لاشعال الثورة في مناطقهم كما اعطاهم الاذن باخذ البيعة نيابة عنه . واسرعت قبائل الجزيرة ، في أول الامر ، بالانضمام لحركة المهدية، واسهم مشائخ الطرق الصوفية بنصيب وافر في استنفار القبائل ، الى جانب تطلع القبائل الى التخلص من جباة الضرائب . التقى عدد كبير من البطاحين والشكرية والجعليين والدناقلة وغيرهم من سكان الجزيرة ، حول الشريف احمد طه ، وفي أبي شوكة التفت جموع كبيرة من عربان رفاعة الهوى علي فقيه من التكارنة يدعى محمد زين ومن الفقهاء الذين انضم اليهم عربان رفاعة الهوى ود الصليحابي وود يرجوب ويشير المهدي الى هؤلاء باحبابه ونوابه في اقامة الدين : الخليفة الشيخ عطا المنان الصليحابي والشيخ العركي والشيخ صالح الفوراوي والشيخ عبدالله يرجوب (٢٠) .

وكان أول من اشعل ثورة المهدية في الجزيرة ، عامر المكاشفي والذي قاد هجوما موفقا على مدينة سنار واوشك ان يحتلها لولا انه جرح واضطر الى الانسحاب وقد تبعتها حركات اخرى الا انها لم تفلح في طرد قوات الحكومة من المنطقة (٢١) .

وفي هذه الفترة كانت القوات البريطانية ، قد دخلت مصر ، وانتهت حركة عرابي ، وفرضت بريطانيا على مصر سياسة الاخلاء عن السودان ، وبالرغم من ذلك وافقت على اختيار هكس باشا ، وهو ضابط بريطاني متقاعد ، رئيسا لاركان حرب القوات المصرية بالسودان . واعدت الخطة للقضاء على المهدي في كردفان بحملة يقودها هكس باشا .

---

(٢٠) محفوظات درام : محفظة رقم ١٠٠ ملف ١/١ : رسالة من المهدي الى الشيخ عطا المنان الصليحابي بتاريخ ١٣٠٠ هـ.

(٢١) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ص ٢٤ .

واقعة شيكان
٤ محرم ١٣٠١ هـ ـ ٥ نوفمبر ١٨٨٣ م

عندما علم المهدي بتحرك حملة هكس من الخرطوم ، أرسل المنشورات الى القبائل التي تفرقت بعد سقوط الابيض ، وخرج من مسكنه في الابيض الى خارج المدينة حيث تجمع معسكر كبير حوله من القبائل ، وكان المهدي يشرف بنفسه على التدريبات وتأقلم الخيل على اصوات البنادق وأرسل الطلائع بقيادة محمد عثمان ابي قرجة وعبد الحليم مساعد وعمر الياس ام برير وصدرت التعليمات بمراقبة مسير حملة هكس دون الدخول معها في معركة حربية على ان يقوموا بردم آبار الماء وافساد المرعى والى غير ذلك من الاعمال التي تعطل سير الحملة وتخلق لها المصاعب والمشاكل •

وعندما وصلت حملة هكس الى منطقة شيكان ، وهي منطقة تكثر فيها الشجيرات ، بدأت قوات ابي عنجة منذ اليوم الثالث من شهر نوفمبر تمطر قوات هكس بالنيران الكثيفة المتقطعة طوال الليل واعيدت المناوشات في اليوم التالي وفي اليوم الخامس من نوفمبر اصدر المهدي اوامره بالهجوم العام على جيش هكس والذي اسفر عن ابادة كاملةلجيش هكس وقتل هكس وعلاء الدين باشا ولم ينج الا عدد قليل يعد على أصابع اليد •

وترتب على هذه الهزيمة ان اصبح غرب السودان خاضعا لنفوذ المهدي وقد ارسل المهدي قوة بقيادة محمد خالد زقل لضم دارفور وأرسل كرم الله كركساوي لاحتلال بحر الغزال واصبح الطريق ممهدا امام المهدي للزحف نحو الخرطوم •

التوجه الى الخرطوم

وفي هذه الفترة ركزت بريطانيا على سياسة الاخلاء ، وعـين غردون باشا حكمدارا للسودان للقيام بهذه المهمة ولكن الاحداث دفعته لتحدي المهدي والعمل على القضاء عليه ، فانقلبت الدائرة عليه • وبعـد مجيء غردون الى الخرطوم انتشرت الثورة في منطقة بربر ونواحيها بقيادة محمد الخير عبدالله خوجلي وفي شرق السودان ، اشعل ثورة المهدية عثمـان دقنة بمعاونة فقهاء المجاذيب فاحتل طوكر في عام ١٨٨٣ وسنكات في عام ١٨٨٤ وقطع الطريق بين سواكن وبربر واضحى من المستحيل ان ترسل القوات المصرية عن هذا الطريق (٢٢) •

تولى العبيد ود بدر امر محاصرة الخرطوم ، وتعرضت قواته الـى هزائم من جانب عساكر غردون ، فأرسل الى المهدي يطلب المدد ، فعـين المهدي محمد عثمان ابا قرجة قائدا عاما للجيوش المحاصرة للخرطـوم • وزحف المهدي بجيشه من الابيض في بطء وقد توقف في الرهد • امـا محمد عثمان ابو قرجة فقد توجه الى الخرطوم عن طريق الجزيرة ، حيث انضم اليه عدد كبير من الانصار وكان جيشه يزداد ضخامة كلما توغل في الجزيرة الـى ان وصل الجريف شرق الخرطوم وضرب حصارا حـول

---

(٢٢) الـدكتور ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الخرطوم ١٩٧٠ ، ص ١٧ •

الخرطوم . ثم أرسل المهدي عبد الرحمن النجومي وعبدالله النوربقوات فاحكموا الحصار ولما وصل الى جهات ابي سعد بالغرب من أم درمـــان أرسل بعض القوات لتدعيم الجيش المحاصر للخرطوم وأرسل فرقة لحصار نقطة أم درمان التي سلمت، بعد مقاومة شديدة .

وفي هذه الاثناء سمع المهدي باخبار حملة الانقاذ التي ارسلت الـــى غردون وقيل ان المهدي عقد مجلسا حربيا مع كبار أصحابه للتشاور في امر التوجه لقتال الحملة وتأجيل فتح الخرطوم ، فاستقر الرأي عـــلى الهجوم على الخرطوم وأرسال سرية من الجيش لمقاتلة حملة الانقـــاذ وفي صبيحة يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ صدرت الاوامر بالهجوم على الخرطوم وتم استلام المدينة وقتل غردون .

لم يشأ المهدي ان يتخذ الخرطوم عاصمة لدولته ، لانه كان ضد المدن والعواصم وقد استقر أمره على انشاء معسكر للهجرة في أم درمان لتتوجه منه الجيوش الى الشمال نحو مصر وقد اختار فيها مكانا للمسجد واقيمت حونه مدينة أم درمان وفي نفس الوقت بدأ المهدي يعيـــد النظر في تنظيم جهاز دولته وأرسل الجيش الى اخضاع جبال النوبة والى فتح مدينـــة سنار واستلام كسلا وامر محمد الخير عبدالله خوجلي بالزحف نحـــو دنقلا واستدعى النجومي بصفة مؤقتة للاشتراك في حصار سنار .

وفي بداية رمضان ١٣٠٢ هـ قرر المهدي اعتزال مباشرة اعمال الدولة وحذر اصحابه من شغله باعمال دنيوية والتي عين لها عددا مـــن الامناء للنظر فيها . وبعد ايام قليلة اصابه المرض وتوفي في يوم ٨ رمضان ١٣٠٢ هـ ٢٢ يونيو ١٨٨٥ وبذلك انتهت مرحلة هامة من تاريخ حركة المهديـــة وهذه الوفاة المبكرة المفاجئة ترتبت عليها نتائج خطيرة في الحركة مـــن ناحية فكرة المهدية ومن ناحية سير الاحداث في المرحلة الثانية مـــن حركة المهدية .

اما من ناحية الفكرة فان وفاة المهدي المبكرة وقبل ان يتم الفتوحات التي أعلن انها سوف تتم على يديه حتى الكوفة ومكة والمدينة ، قد زعزعت ثقة جمهرة من الناس في مهديته . وقد تنبه الخليفة عبدالله الى ذلك فلجأ الى القول بان عهده مكمل لعهد المهدي ومتدرج فيه وبان الفتوحات سوف تتم على يديه كما تمت الفتوحات الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين .

الفصل الثالث

تاريخ المهدية ـ فترة الخليفة عبد الله

تولي الخليفة عبدالله السلطة
تهجير البقارة
الجهادية
الخليفة عبدالله والجهاد
الثورات القبلية

ثانيا ــ فترة الخليفة عبد الله

الخليفة عبدالله ، هو عبدالله بن محمد بن آدم ، دخلت أسرته الى بلاد السودان عن طريق منطقة وادي ويرنو ، وليس لدينا مصادر عن خلفية هذه الاسرة ، التي تحتفظ بشجرة انساب تصل بها الى النسب الشريف ، ويذكرون بان جدهم الكبير هاجر من الجزيرة العربية الى بلاد تونس ومنها الى غرب افريقيا ثم دخلوا بلاد السودان في طريقهم الى الحجاز . ومن الثابت ان جد الخليفة عبدالله مدفون بجهة هجليجة [1] بجهات شكا وان والد عبدالله تزوج من قبيلة التعايشة ــ فرع الجبارات من بطن يقال له أبو صرة ، وكان والد عبدالله فقيها عالما بالرمل ، فنال حظوة كبيرة عند التعايشة واشتهر بعلم الغيب والتقوى [2] .

ويقال بان عبدالله لم يكن يهتم بتعليم القراءة والكتابة كشأن اخوته ، الذين كانوا يلحون عليه بالمواظبة على الدراسة ، فمنعهم والدهم من ذلك وقال لهم دعوه فانه سيكون له شأن عظيم ولقد روى كل من الزبير باشا رحمه والشيخ محمد نور الدائم بأن عبدالله عرض عليهما المهدية فنهياه عن ذلك ، وفي ايام ثورة السلطان هارون بدارفور ، هاجر عبدالله ووالده واخوته وتلامذة ابيه قاصدين الحجاز ، ونزلوا في ضيافة الشيخ عاكر

---

(١) رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد شيخ محمد كرقساوي ، بتاريخ ٦ جماد الآخر ١٣٠٤ هـ ، دفتر صادر ١٠ ص ١٣٤ .
(٢) الدكتور مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص ٣٨١ .

ابو كلام ، شيخ قبيلة الجمع ومات والد عبدالله في ابي ركبة ودفن هنـ
وتوجه عبدالله الى أرض الجزيرة فقابل (المهدي) في المسلمية وبايعه
المهدية ، وبذلك اصبح أول المصدقين بها .

ومن هذا السرد الموجز ، يتضح الاختلاف بين خليفة كل من المه
والخليفة عبدالله ، اختلاف في البيئة واختلاف في التربية الدينية والتـه
اثرى المهدي الدعوة بالفكرة والكتابة في الدعاية والعمل لهـا وأ
الخليفة عبدالله الحركة بالاخلاص في العمل وبتنمية القوى البشرية مـ
قبائل غرب السودان ، وكان كل منهما يكمل للآخر ، واستطاع الخليـ
عبدالله ان يجد لنفسه مكانة سامية عند المهدي واصبح الرجل الثانـ
الحركة ، وتغلب على كل خصومه ومنافسيه ، بفضل حنكته ، اذ ذ
مرتبة خلافة الصديق ، وامارة جيش المهدية ، وسيطر على اكبر رايـ
المهدية ، وهي الراية الزرقاء وجل اتباعها من اهل الغرب ، واستطـاع
يتولى خلافة المهدي بعد وفاته من دون اراقة دماء .

تولي الخليفة عبد الله السلطة

توفرت عدة اسباب لتولي الخليفة عبدالله خلافة المهدي ففي المقام الاول استطاع ان ينال مكانة مرموقة في حركة المهدية ، فهو من أول المصدقين بالمهدي ، ولازمه منذ اللحظة الاولى التي اعلن فيها مهديته وشهد كل المعارك ضد جند الحكومة واستطاع ان ينال لقب خليفة الصديق ، وأمير جيش المهدية . كما كان داهية ومراوغا في عمليةالتخلص من المنافسين له ولم يكن يسمح لاي قائد أو زعيم محاولة الخروج عن قبضته فقد تولى قيادة الجيش بعين ساهرة .

ويوم وفاة المهدي كان الموقف الحربي في أم درمان ، لصالح «الخليفة عبدالله » فقد كانت جميع قوات الراية الزرقاء ، بأم درمان ما عدا راية حمدان ابي عنجه ، الذي كان قد ارسله المهدي الى جبال النوبة لاخضاع اهلها الذين ارتدوا عن المهدية . وكان يوجد بأم درمان فرقة من الجهادية ، تحت قيادة فضل المولى صابون . وهذا يعني ان الراية الزرقاء كانت أقوى الرايات الموجودة بأم درمان ، وكان الخليفة عبدالله قد أوكل قيادتها الى اخيه يعقوب بن محمد ـ اما راية الخليفة علي ود حلو فقد كانت عبارة عن فرق رمزية والراية التي كان الخليفة عبدالله يخشى بأسها هي راية الخليفة شريف . ولكن كان معظم قادتها بجيوشهم خارج أم درمان . كان محمد عبد الكريم محاصرا لمدينة سنار كما ان عبد الرحمن النجومي وعدد من قادة الراية الحمراء توجهوا الى سنار لمساعدة محمد

عبد الكريم وكان محمد خالد بعيـــدا في دارفور وكرم الـــله كركساوي واخوته في بحر الغزال ومحمد الخير عبدالله خوجلي في عمالة دنقلا .

ويوم وفاة المهدي كان الامر في يد ، الخليفة عبدالله ، ولكنـــه لم يتسلم السلطة عن طريق القوة ، وانما لجأ الى اساليب الشورى، واستفاد كثيرا من تأييد جماعة المتدينين والتقاةمنالمؤمنين بدعوة المهدية الملتزمين ببيعتها وهم الخليفة علي ود حلو واحمد شرفي ، جد الاشراف ، والسيد المكي ويروي يوسف ميخاييل قصة بيعة الخلافة على النحو التالي : ـــ

« بعد دفن المهدي اجتمعت الاشراف لاجل الخلافة السيد محمـــد شريف خليفة الكرار وباقي الجموع عارضتهم فبذلك قالوا لهم الخلافة الى خليفة الصديق عبدالله بن السيد محمد علي حسب ترتيب الخلفـــاء واحتار القوم وظل الخليفة صامتا . ثم قام الفكي الداداري واخذالخليفة عبدالله التعايشي بيده وقال له بايعنا يا خليفة المهدي . وقام بعده أحمد شرفي ، جد الاشراف ، أخذ سيف المهدي والعمامة سلمها الخليفة عبدالله وقال له اعطينا البيعة وبعدهم تقدم خليفة الفاروق والسيد المكي واخذوا البيعة مثل السيد عبد القادر ساتي علي والسيد عبد الكريم حتى تقـــدم خليفة الكرار واخذ البيعة وبعد المغرب نصبو منبر عال له ثلاثة سلالـــم وحضر الخليفة وعلا الكرسي واجتمع كافة الانصار امام الكرسيواعطاهم البيعة وواقف الفكي الداداري امامه مع الخليفة علي ود حلو واخيهالامير يعقوب،بعد أخذ البيعة،مستعد بالسلاح والرجال[٣]» وتبين هذه الوقائع ان تولى عبدالله السلطة كان بمساندة مشائخ الصوفية ، علي بن محمد حلو ومحمد المكي ، وأحمد شرفي ضد رغبة الاشراف بالرغم من انأحمد شرفي كان منهم [٤] .

(٣) مذكرات يوسف ميخاييل ، ص ٦٨

(٤) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 120—121.

ويبدو بان الحركة التي قام بها الاشراف ، كان الغرض منها ، تأمين مركزهم والامتيازات التي تحصلوا عليها وذلك لان المهـدي قبل عشرة أيام من وفاته ، هاجم الاشراف وهاجم تكالبهـم على الدنيا في خطبـة الجمعة ، التي قدر لها ان تكون آخر خطبة يلقيها المهدي على اصحابه في المسجد وقد هاجم في هذه الخطبة الاشراف صراحة بقوله « ... قـد ورد لنا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلـم انه قال : اصحـاب المهدي كاصحابي ، لكن اصحابي اذا حصل عليهم جوع يجوعون سويا واذا حصلت عليهم ايام الشدة فعامة عليهم واما اصحابك فمنهم قحطـان ومنهم شبعان ، خصوصا الاشراف فقد اهلكهم احمد سليمان بالدنيا ــ اعاذنا الله من ذلك وسلك بنا وبكم مسلك النبي صلى الله عليه وسلـم واصحابه الكرام » (٥) .

ويبدو ان المهدي لم يكن راضيا عن سلوك الاشراف وانه بلـغ به الغضب الحد الذي وصل فيه الى مهاجمة الاشراف علنا واخراجهم مـن دائرة اصحابه الخلص واسناد ذلك الى خبر من رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ومهاجمته لاحمد سليمان، امين بيت المال ، لافساده الاشراف، تدل على ان أحمد سليمان كان منحازا الى جانب الاشراف وسهل عليهم عمليات الصرف من بيت المال سواء ان كانت نقودا او ذرة او غير ذلـك من الاشياء التي كانت تحت عهدته وهذا عـلى حساب القبائل الاخرى وخاصة قبائل اولاد العرب والتي كانت ترفع شكواها الى الخليفة عبدالله ويبدو ان يعقوب بن محمد وكيل الراية الزرقاء لم يكن قادرا على تحقيق مطالبة افراد رايته من أمين بيت المال وسنفسر في جانب آخر مـن هذا البحث ، اثر هذه المعاملات في تكييف سياسة الخليفة عبدالله وكيف خطط لابعاد الاشراف وأولاد البلد من مراكز السلطة .

---

(٥) دكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مخطوط توشكى ، ص ١٣٨ .

بعد ان تمت البيعة للخليفة عبدالله ، في أم درمان ، أرسل منشورا عاما الى جميع العمال في الاقاليم ، ينعي فيه خبر وفاة المهـدي ومبايعة الانصار له بالخلافة . كما ارسل الخليفتان علي بن محمد حلو والخليفة محمد شريف منشورا في نفس المعنى (٦) .

ومن هذا العرض الموجز ، تتضح الصورة التي تم فيها انتقال سلطة المهدي الى الخليفة عبدالله والذي لم يكتف بذلك وانما لجأ الى الاعمال الغيبية ، ليجد فيها سندا لخلافته وزعم بان خلافته مستمدة من حضرة نبوية رآها المهدي قبل وفاته . اعلم المهدي في تلك الحضرة بالانتقال من الدنيا وطلب منه الرسول (ص) ان يعين له وكيلا يقوم بالامر من بعده . فأوكل الخليفة عبد الله ووردت قصة هذه الحضرة في المنشور الـذي أرسله الخلفاء الى العمال يخبرونهم فيه بوفاة المهدي وثمة وثيقة اخرى كتبت في وقت مبكر من حكم الخليفة عبدالله تسمى بمنشور الشعرة . فحواه سلسلة من الحضرات والممارسات الصوفية للخليفة . ثلاث مـن هذه الحضرات لها ارتباط بادعائه الخلافة واردة في صورة حوار مـع الخضر نصها كالآتي : « قال لك المهدي ان الله جعلك هدية في الارض من شرقها الى غربها ويقول الحباك وتبع قولك قبل منا الهدية والـذي يقبل منا الهدية قبلناه وامن مكر الله والذي لم يحبك ولم يسمع قولك صار من الفاسقين والفاسق مأواه النار » . ثم يورد بعد ذلك قصة شعرة المهدي التي كان يحتفظ بها أحمد ود سليمان ، امين بيت المال وان نبي الله الخضر كان مخضرا عليها الا ان بلعها الخليفة عبدالله . ويبـدو ان استغلال الرؤى قد تناقص بعد الثلاث او الاربع سنوات الاولى من حكم الخليفة عبدالله ، أي الوقت الذي ابتكر فيه الخليفة عبدالله وسائل اخرى لتأكيد سلطته والذي أجبر فيه على التحقيق من ان معارضيه مـن بين الاشراف وأولاد البلد لا يكف التصالح معهم (٧) .

---

(٦) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهدية ، ص ٨١ـ٨٤ .

(٧) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 125.

وهذا يعني اضافة اعباء جديدة للخليفة عبدالله ، الذي كـان مطالبا بالاستمرار بدعوة المهدية رغم الصعوبات التي ورثها بسبب وفاة المهدي المبكره ومن أهم هذه الصعوبات مسألة العزوف عن المهدية ، ذلـك لان البعض كانوا يرون وفاة المهدي في تلك المرحلة المبكرة قبل دخوله الشام ومكة واخضاع العالم الاسلامي ، شرقه وغربه كما اعلن تعني ان مهديته ادعاء كاذب وبالتالي فان حركة المهدية فقـدت ركيزة هامة مـن ركائز الثورة وهي الاعتقاد في المهدي بانه « المهدي المنتظر » وهذا بدوره أثر في الجانب العقائدي من المهدية . ثم ان الحركة المهدية تركت ارضهـا الاصلية في غرب السودان ، وانتقلت الى أرض النيل ، أي نفس المنطقة التي لم يجد فيها المهـدي أذنا صاغية لدعوته في أيامها الاولى . وفـي الجانب العقائدي لجأ الخليفة عبدالله الى اصدار حضرات نبوية تثبت حقه في وراثة المهدي كقائد للدعوة والتنظيم وان خلافته استمرارللمهدية وان اعماله منسوبة للمهدي كما قام بعمل دعاية واسعة لراتب ومنشورات المهدي كما قام بطباعة بعض منشورات المهدي التي تدعم موقفه كالمنشور الوارد في حقه واستنسخ منه نسخا كثيرة بمطبعة الحجر وارسلها الـى الاقاليم .

لم تكن مسألة الخلافة هي المشكلة الوحيدة التي واجهت الخليفـة عبدالله في أول سني حكمه ، اذ ظهرت مشاكل اخرى من جانب القبائل التي كانت تنتظر جباية ثمر جهادها بعد ان دانت جميع مناطق السودان للمهدية ، كما عادت كثير من القبائل الى مواطنها وكان لا بد للخليفـة عبدالله من ان يعتمد على عصبيته من أولاد العرب فعمل على تهجيرهم الى أم درمان كرها .

تهجير البقـــارة

بعد انتقال مركز حركة المهدية الى أم درمان ووفاة المهدي بها ، لـــم يعد للعامل الديني نفس الحماس والتأثير في قوة الاندفاع الذي ايدت به الجموع حركة المهدية • رجع عدد كبير من افراد القبائل الى أوطـــانهم وخاصة قبائل البقارة الذين اعتمد عليهم الخليفة عبدالله في تقوية الراية الزرقاء ولذلك نجد ان الخليفة عبدالله كان مهتما بأمر تهجير قبائل البقارة بصفة خاصة وقبائل اولاد العرب بصفة عامة الى أم درمان وذلـــك لعدة اسباب • أولها انه لم يكن مطمئنا الى قبائل اولاد البلد وكان حريصا في أن يجعل كل أولاد العرب في مـــوقف أقوى من حيث العدد والاسلحة والذخيرة وتعيين العمال عليهم من ابناء جنسهم للتأكد من حسن المعاملة وارا‌حتهم في المآكل والملبس وثاني هذه الاسباب ان قبائل أولاد العرب اشتركت بنصيب كبير في وقائع المهدية الاولى ولم يكن لدى هذه القبائل ارتباطات سابقة بالطرق الصوفية مما يؤثر في عقيدتهم بعد وفاة المهدي • اي انه لم يكن لديهم التزام عقائدي سابق يجعلهم يهجرون دعوة المهدية وانما كان لديهم ولاء عقائدي وارتباط بالارض • حاول الخليفة عبدالله تكسير شوكة زعماء القبائل لكيلا يعوقوا مسيرة الهجرة •

والواقع ان اهتمام الخليفة عبدالله بأمر الهجرات الجماعية لقبائـــل اولاد العرب يرجع الى أيام المهدي ولكن الخليفـــة عبدالله استغل ذلك

لأغراض سياسية واضحة [8] . ففي أيام المهدي كان الغرض من تهجير قبائل الغرب هو تدعيم الجيش للاستمرار في عملية الجهاد ولا شك ان الخليفة عبدالله كان يخطط للاحتفاظ بميزان القوى في الجيش في يده ، حتى في أيام المهدي وبعد وفاته اصبح الإستمرار في عمليات تهجير أولاد العرب ضرورة سياسية ملحة أكثر من الهدف الأول من التهجير فقد كان الخليفة عبدالله يلح على محمد خالد زقل بالحضور بما معه من الجيوش للاشتراك في فتح الخرطوم ويحذره من التأخير بقوله « ... بوصول هذا اليكم قوموا واحضروا بكامل الجيوش التي معكم توافونا على عجل وتحضروا معنا فتح الخرطوم ، فانا نخشى اذا حصل لكم تأخير من الحضور بوجه العلة تنقطعوا عن المهدي عليه السلام فان الخرطوم اذا فتح سريعا نخشى أن يحصل اذن بالتوجه الى جهة اخرى ... » [9] وربما كان يقصد بالجهة الاخرى مصر . وطلب الخليفة عبدالله من محمد خالد أن يحضر معه رؤساء التعايشة والهبانية ، بعد القبض على الطاهر التجاني ، الذي كان يمنعهم من الهجرة وإن يكون احضارهم بالملاطفة والشفقة والرأفة عليهم لتجنيدهم في المهدية [10] . وأمر الخليفة عبدالله محمد خالد بعقاب الذين إعترضوا طريق المهاجرين من قبيلة المسيرية وقبائل الفلاتة . وبعد وفاة المهدي واصل الخليفة عبدالله ارسال المنشورات المتلاحقة الى محمد خالد للحضور بالهجرة ومعه قبائل الغرب وان وفاة المهدي يجب ان لا تثنيهم عن الحضور كما طالبهم بالحضور لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدي .

---

(8) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ص ٣٦

(9) مهدية ١/١٠ م ١ ص ٤٤ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد بتاريخ الحجة ١٣٠١ هـ .

(10) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٦٦ وانظر ايضا مهدية ١/١٠ م ١ ص ٥٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد خالد بتاريخ ربيع ١٣٠٢ هـ .

وهذا يدل على ان الخليفة عبد الله كان متهما بتدعيم حركة المهدية بالمحاربين من ابناء الغرب لادراكه بان ابناء النيل والجهات الاخرى لا يعول عليهم كثيرا في نصرة المهدية ، فاذا كان هذا شعور الخليفة عبدالله في حياة المهدي ، فبالتالي ان اهتمامه بهذا الامر — أي مسألة تهجير البقارة — تزداد أهمية بعد وفاة المهدي ولكن الاتجاه بحركة المهدية الى هذا المنحى ، حول الحركة من حركة قومية الى حركة عنصرية ولا يلام الخليفة عبدالله على أخذه بهذه السياسة،نسبة لان الاشراف واولاد البلد دفعوه دفعا للسير في هذا الخط والعداوة والتنافس بين الخليفة عبدالله والاشراف لها جذور عميقة ترجع الى ما قبل سقوط الابيض واستمرت الى وفاة المهدي وسنتعرض الى هذه المسألة في جانب آخر من هذا البحث.

ونكتفي في هذا المقام بان نذكر ان الخليفة عبدالله نجح في عمليات تهجير البقارة لتأمين مركزه ولكن هذا المركز تعرض للخطر من جانب آخر بسبب تهجير البقارة،فقد اهتز مركز الخليفة عبدالله بالمجاعة الكبرى كما اهتز بعمليات التضييق على السكان في عمليات جمع الزكاة وفي عمليات الاعتداء والنهب والتي كان يقوم بها بعض الانصار الجوعى على مناطق الاهاين مما سبب الكراهية بين سكان المناطق النيلية والانصار وأصبحت كراهية تقليدية الى الوقت الحاضر ولا زالت كثير من القصص [illegible]وى عن الاضرار التي كان يلحقها الانصار بالاهالي .

وكيفما كان الامر فان الخليفة عبدالله استطاع ان يسيطر على الموقف [illegible]سى نهائيا على تنافس الاشراف في عام ١٨٩١ ولكن اخذت حركة المهدية [illegible] عنصريا واصبح البقارة هم الانصار واما عداهم فليس مهدويا وكان [illegible]م لحكم المهدية بعامل القوة والبطش . وأصبح البقارة هم الطبقة [illegible]ـة ، ولو امتد العمر بالخليفة عبد الله لكان من المحتمل ان يحول [illegible]بة الى حكم وراثي داخل أسرته وبالفعل بدأ يخطط لذلك مما تدل

عليه قرائن الاحوال . فقد اسند الى ابنه شيخ الدين قيادة جيش الملازمية الذين ارتفع عددهم الى تسعة الاف شخص في عام ١٨٩٥ . ان مرحـلة ما بعد عام ١٨٩١ م شاهدت تركيزا كبيرا في السلطة وحلت التصفيـات الداخليـة ، محل صراع القوى القبلية أو المجموعات كالاشراف واولاد البلد [١١] .

---

(١١) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ص ٣٧

الجهـاديـة

وهناك قطاع آخر من المجتمع السوداني ، استطاع الخليفة عبد الله ان يضعه الى جانبه ، واعني بهذا القطاع ، الجهادية الذين اهتم المهدي عبدالله بامرهم بعد واقعة الجمعة لاجادتهم استعمال الاسلحة النـارية وجعل لهم رايات خاصة بهم واوكل امر قيادتهم الى حمدان ابي عنجـه وأخيه ابراهيم صابون وهم اشبه بالجنود المرتزقة ، ان اعتماد الخليفـة عبد الله عليهم يدل على نوع من التنازل لمعتقدات المهدية التي لا تهتم بأي عمل موروث من الترك • كما ان هؤلاء الجند المحترفين لم تكن لديهم ميول صادقة نحو التعصب للدين أي ان دورهم من الناحية العقائدية كان ثانويا وكان عملهم في جيش المهدية اشبه بعملية الاحتراف المعروفة فـي الوقت الحاضر •

الخليفة عبد الله والجهاد

استطاع الخليفة عبد الله ، تولية الامر بعد المهدي وأمن موقفه الداخلي على النحو الذي ذكرناه سابقا ولكن التزامه بالسير على سياسة المهدية في الاستمرار في الفتوحات جر عليه كثيرا من المصاعب ولم يكن في مقدوره الخروج عن الاطار النظري لدعوة المهدية والتمثل في نشر الدعوة في جميع مشارق الارض ومضاربها • واتفق المؤرخون في ان الخليفة عبد الله ورث تركة مثقلة بعد وفاة المهدي • فمن المعروف عن المهدي المنتظر انه يفتح الشام ويدخل مكة ويصلي بين الركن والمقام وان ادعاء الخليفة بان خلافته امتداد للمهدية مثل خلافة الخلفاء الراشدين للنبي الذين اتموا الفتوحات الاسلامية بعده ونسبت اليه لا يطابق الواقع فالرسول لم يعلن عن فتوحاته المسبقة ولم تذكر العلامات لنبؤته • ويروي الدكتور مكي شبيكة « بأن هناك أخبار وردت عن ثقاة عن المهدي يرى فيها ان المهدية وردت على نهج يختلف عما كان يرجوه لها فقد روي عن الشيخ محمد ود البصير انه قال ذات يوم بعد فتوح الخرطوم طلبني المهدي نصف النهار وقال لي ان أمر المهدية كان طويلا ، ولكن الاخوان غيروا وبدلوا ، ونحن اخترنا الآخرة فقلت كيف وانك وعدتني بفتوحات كبيرة فاجاب بانها كلها نسخت لانه لا يخفى ان القرآن ينزل من عند الله بواسطة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه الناسخ والمنسوخ » (١٢) •

---

(١٢) الدكتور مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٨٥ .

والشاهد ان المهدي أرسل منشورات الى والي مصر وعلمائها وتجارها وعمدها بتاريخ ٣ رمضان ١٣٠٢ هـ أي قبل خمسة ايام من وفاته،يدعوهم فيها الى التسليم بالمهدية ، وقد جاء في المنشور الذي وجهه الى والي مصر قوله « وقد حررت اليك هذا الكتاب وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هدايتك فارجو الله ان يشرح صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى فان بادرتني بالتسليم لامر المهديـة والانابة الى الله رب البرية فقد حزت السعادة الابدية وامنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجيب دعوتنا معك وان ابيت بعد هذا في الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن ادركته العناية والسلام على من اتبع الهدى » (١٣) .

وقد اوضح المهدي نواياه في التوجه لفتح مصر في اكثر من رسـالة وجهها الى بعض الاعيان في مصر والمغرب . كل هذه الرسائل تدل بوضوح على ان المهدي كان يعد العدة للتوجه الى مصر بعد ان يأخذ جيشه قسطا من الراحة في أم درمان والى حيث ان تنضم اليه جيوش محمد خالد والذي كان يلح عليه الحاحا شديدا في الحضور للحاق به . وربما يفسر لنا ذلك اهتمام المهدي بسرعة فتوح سنار اذ ارسل اليها مددا بقيادة عبد الرحمن النجومي وربما يفسر لنا ايضا امر المهدي بتخريب سنار لئلا يتعطل بهـا جيش محمد عبد الكريم المطلوب بالحضور الى أم درمان بعد فتح سنار مباشرة وربما كان الغرض من ذلك ان يتوجه المهدي بجيوشه الجرارة نحو مصر .

---

(١٣) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٣٨٣ ـ منشورات المهدي ، الانذارات (ب) ص ٢٧٧ .

قبل استكمال الخطة ، مرض المهدي وتوفى واصبح الخليفة عبدالله ملتزما بتنفيذ رغبات المهدي ولكن يلاحظ ان الخليفة عبد الله توقف عن قيادة الجيوش بنفسه وبقي في أم درمان . فهل يا ترى كان الخليفةعبدالله يدرك بان مهمة نشر دعوة المهدية انتهت بوفاة المهدي وبدأ يعمل علــى تأمين حدود السودان في جميع الجهات ويدير العمليات من أم درمان أم تراه كان ينتظر نجاح جيوشه في غزو مصر ويتحرك بعد ان تتوغل جيوشه في ريف مصر ؟ أم كان فقط يريد تأمين حدود دولته من الجهة الشمالية . وهي الجهة التي تم عن طريقها القضاء على دولة المهدية .

ويرى بعض المؤرخين ، انه لم يكن من الصواب ان يعلن الخليفةعبدالله الجهاد ضد مصر والحبشة ، في الوقت الذي كان يثبت فيه أركان حكومته، رغم ان استمرار بقائه كحاكم يتطلب الابقاء على الدينمايكية التي أورثها للحركة زعيمها ومؤسسها ، وترتب على الجهاد ضد مصر كارثة توشكى ، أما بالنسبة للحبشة فقد كان الانصار أوفر حظا (١٤) .

ويلاحظ ان الخليفة عبد الله ، وضع ثقلا كبيرا على جهات السودان الشرقي فقد زود المنطقة باعداد كبيرة من الجيوش وخصص لها كميات كبيرة من السلاح والذخيرة اكثر من الاستعدادات التي سخرها للجبهة الشمالية وربما يعود ذلك الى طول الجبهة الشرقية ، مما استدعى قيام ثلاثة معسكرات للجيوش المحاربة في تلك المنطقة ، ففي الجزء الشمالي حول سواكن كان القتال فيه مبارزة مطولة بين عثمان دقنه والقــوات الانجليزية المصرية . اما المعسكر الاوسط فكان حول كسلا ، التي صارت قلعة ضد الاحباش بعد سقوطها في ايدي انصار المهدي وكانت تحــرس السودان من الهجمات التي تأتي عن جهات ارتريا . اما المعسكر الجنوبي بين اعالي نهر عطبره واعالي النيل الازرق فهو يشمل ثلاثة مراكز رئيسية هي القضارف والقلابات والجيرة وكانت القلابات سوقا عظيما للتجــارة

(١٤) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 132.

مع الحبشة ومركزا لمستعمرة التكارير في السودان [١٥] .

ويبدو ان اهتمام الخليفة عبد الله بالجهة الشرقية جاء نتيجة الى ان هذه المنطقة هي مدخل للسودان من الدول المجاورة،وبالفعل فان الضربات التي اصابت دولة المهدية عن طريق سواكن وعن طريق احتلال طوكر وكسلا كان لها أثر عظيم ، في زوال سلطة المهدية من تلك الجهات .

اما في جهات غرب السودان فلم يكن الخليفة عبدالله مهددا بخطر اجنبي ، وانما كان مهددا باخطار داخلية زاد من قسوتها وحدتها انه لم يكن يثق بالعمال الذين عينهم المهدي في تلك المناطق وهم من اقاربه أي من طبقة الاشراف الذين ينافسون الخليفة عبد الله طوال مسيرة حركة المهدية من ابا الى أم درمان وكان المهدي يقف الى جانبه مدعما موقفه باعطائه مراتب دينية وقيادة الجيوش واصدر منشورا عن مكانته ، وعندما تولى خلافة المهدي لم يعاملوه كما كانوا يعاملون المهدي وينصاعون لاوامره وانما كانوا يسعون جاهدين ليعوضوا المكانة التي فقدوها بوفاة المهدي وليحافظوا على الامتيازات التي نالوها في حياة المهدي . والخليفة بدوره لم يكن يثق في الاشراف بل كان يتشكك في ولائهم لعقيدة المهدية فعمل على تصفية نفوذهم دون الالتفات الى المخاطر التي تمخضت عن التصفية .

ورغم ان الاوامر بتحرك عمال الاشراف من الغرب صدرت في أيام المهدي بغرض الاشتراك في الجهاد ، الا انه وجدت اسباب اخرى ليسحبهم من الغرب وهي مسألة الصراع بين الاشراف والخليفة عبد الله على السلطة وفي كلا الحالتين لم يكن من الحكمة في شيء أخلاء منطقة الغرب من قيادة قوية وسحب المحاربين منها ويبدو ان هذا العمل شجع الكبابيش للاستمرار في عصيانهم واعطى ابو حميرة الفرصة للتوغل في الغرب وتكوين حركة معارضة قوية لسلطة الخليفة عبدالله وسنتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الحركات في جانب آخر من هذا البحث .

(١٥) Holt, P. M. The Mahdist state in the Sudan, P. 147.

الثورات القبليـة

بعد نجاح حركة المهدية وزوال الادارة التركية ـ المصرية ووفـاة المهدي كان لا بد للخليفة عبدالله من ان يصطدم بزعماء القبائل • ففي المقام الاول ان المهدية دعوة دينية ، يعتقد قادتها بانهم قد انتصروا على كل القوى القديمة سواء كانت سلطة حاكمة أو زعامة قبلية أو مشيخة طريقة صوفية ، كما اعتقدوا بان الولاء اصبح للمهدية وحدها وان كل الاوامر التي تصدر من الخليفة عبدالله واجبة التنفيذ من قبل المؤمنين بالمهديـة واما عداهم فهم في عداد الكفار الواجب قتالهم حتى يؤمنوا بالمهدية •

اما الخليفة عبد الله فكان يعتقد بان زعماء العشائر جزء من النظام القديم ، يحبون الدنيا ويسعون الى الرئاسة ويصدون اتباعهم عن سواء السبيل وعلى حسب اعتقاده فان الزعامة والرئاسة في المهدية لا يقصد بها الدنيا وانما يقصد بها خدمة الدين ولذلك كان الخليفة عبدالله يسعى الى استدعاء زعماء القبائل والشخصيات الكبيرة الى أم درمان مهاجرين مع قبايلهم وفي بعض الحالات يطالبهم بالحضور شخصيا قبل هجرة القبيلة باجمعها وقصده من ذلك ان يفصل بين الزعماء وقبائلهم لئلا يصدوهم عن الهجرة وليتمكن من تربيتهم حسب تعاليم المهدية على حسب تعبيره وذلك باذلالهم وكسرة شوكة صلتهم وغرورهم • وقد لبى بعضهم امر الاستدعاء فبقي اسيرا في أم درمان اما الذين لم يلبوا نداءه وعصوا أمره فقدارسل اليهم الحملات التأديبية التي قضت عليهم وشتت جموع قبائلهم وهجرت البقية الباقية منهم الى أم درمان •

وليس من أقليم من اقاليم السودان ما لم تقم فيه ثورة ضد حركة المهدية ، ففي وسط دارفور تمرد الفور زعامة المطالبين بعرش الفور وحاولوا استعادة امجادهم السابقة • وفي جنوب دارفور حاول مادبو علي ، زعيم الرزيقات ، التخلص من قوة المهدية •

وفي كردفان عصا الكبابيش أمر المهدي والخليفة عبدالله بتنفيذ الهجرة وكان لهم موقف من المهدية اذ قتل زعيمهم التوم فضل الله والمهدي لم يزل بالابيض • وتولى أمر المقاومة والعصيان فضل الله صالح الذي نشط بعد مغادرة زقل لدارفور ولكن الخليفة عبدالله شن عليه الحملات من ثلاث جهات وقضى على حركته • وفي أرض البطانة تعرض الشكرية للتنكيل من جانب الخليفة عبدالله•في سنة ١٨٨٦ م أمر الخليفة عبدالله عوض الكريم أبو سن ، شيخ الشكرية بالحضور ومعه رؤساء قومه الى أم درمان ولكنهم لم يحضروا بل خرجوا عليه ، فقبض الخليفة على عوض الكريم وسجنه وجرّد حملات التأديب على الشكرية ونكل بهم •

وفي جنوب شرق الجزيرة تعرضت قبائل الحميدة وبني حسان والقواسحة والعقليين والعلاطين وكذلك البطاحين بحملات للانصار نتيجة لعدم انصياعهم لاوامر الخليفة برفض الهجرة الجماعية والمجاهرة بالعصيان لحركة المهدية •

والملاحظ ان هذه الثورات، كانت انتفاضات فردية ، تهدف الى التخلص من قبضة السلطة المركزية ولم يكن لها هدف للقضاء على حركة المهدية ولم يكن بين هذه القبائل تنسيق للعمل المشترك ضد المهدية اذا استثنينا حركة الكبابيش التي كانت محصورة في مثلث عبشا حاولت الخروج منه ، الى أن قضى الخليفة على حركتهم • وحتى الفور والرزيقات لم يستطيعوا التحالف فيما بينهم ضد حركة المهدية بسبب طمع الفور في التخلص من زعامة الرزيقات •

وخلاصة القول ان الخليفة عبدالله ، استطاع أن يقضي على المقاومة الداخلية لحكمه من جانب القبائل المعادية كما استطاع تنفيذ الهجـرة الجماعيه بالقوة واستمر في عمليات الجهاد التي لم تلق نجاحا الا في الجبهة الشرقية ، ضد الاحباش . وانشغلت اعداد كبيرة من جيوش المهدية في القضاء على الثورات الداخلية . ان هذه الحروب الداخلية والهجـرات الجماعيـة ، قضت على الزراعة التي كان بها قوام الاقتصاد السوداني وأقفرت أماكن كثيرة في أهلها اما بسبب الهجرة أو بأسباب عدم الاستقرار واعتداءات جيوش الانصار التي كانت منتشرة في جميع أنحاء السودان. وتعرضت البلاد لمجاعة كبرى اشتهرت بمجاعة سنة ستة (١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩/١٨٩٠م.) .

بعد أن قضى الخليفة عبدالله على الثورات الداخلية وعلى منافسيه من الاشراف وشيعتهم واستند على عصبية حاكمة من أهله البقارة ، صار يتبع سياسة لينة لارضاء الفئات الساخطة وعرض بعض المناصب على أهل البحر بقصد ارضائهم . وفي أم درمان أصبح البقارة هم السلطة الحاكمة وكل من يعمل ضد رغباتهم أو يقصر في تسهيل سبل الراحة عليهم يلقى مصرعه كما حدث لابراهيم عدلان ، امين بيت المال .

لم يكتف الخليفة بالاعتماد على وجود البقارة في أم درمان في تأمين مركزه وانما لجأ الى تقوية جيش الملازمين وهو حرسه الخاص ــ وفـي عام ١٨٩٣ جعل ابنه شيخ الدين قائدا لهذا الجيش حرصا في تأمين موقفه.

وهكذا نجد ان الخليفة عبدالله واجه صعوبات كثيرة في تسيير دفة حركة المهدية والمحافظة على الثورة ، فقد فقد الثقة في الاشراف بسبب تطلعهم الى الرئاسة والحصول على المكاسب المادية وفقد ثقة كثير مـن كبار زعماء القبائل كما وأن بعض المدعين قد تطلعوا الى ملء كرسي خلافة عثمان وسعى بعضهم الى ادعاء نبوءة عيسى . وقد شغلته هذه المسائل

عن التفرغ للعمل في بناء دولة على النهج الاسلامي الطبيعي من ناحية ، وأشعال روح الجهاد خارج حدود السودان من ناحية أخرى وحتى قبائل البقارة التي استعان بها في تقوية مركزه ، لم تكن متفهمة لدورها واخذت كثيرا من جهده في تلبس قيادتها للعمل من اجل الاهداف التي كان يحلم في تحقيقها ولم تعاونه قبائل البقارة في عمليات الموازنة في التقريب بين القبائل بل كان بعض قادة البقارة امثال مساعد قيدوم وأحمد علي ويونس الدكيم يخلقون له المشاكل ويعقدون له الامور .

وبالرغم من هذه المصاعب استطاع الخليفة عبدالله مواجهة هذا الموقف وقد اعلا من شأن الجهاد ، وشغل الناس به وضرب اعداءه بقوة وحاول ان يخلق نوعا من الموازنة بين القبائل والجماعات بحيث تكون كلها خاضعة له . وقد نجح في ذلك وان كان ذلك قد كلفه وكلف البلاد كثيرا من الضحايا .

الباب الثاني

معارضة الرأي

الفصل الرابع

معارضة الدولة

موقف الحكمدار محمد رؤوف
بعثة ابي السعود الى المهدي
الحوار بين المهدي والشلالي
الحوار بين المهـدي وغردون

لم تكن معارضة الدولة المهدية ترقى الى مستوى خطورة الدعوة ، ومستوى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها البلاد ، اذ ان تصرفات الحكمدار والمسئولين كانت دائما رد فعل لما يجري من جانب المهدي وانصاره فعندما تواترت الاخبار الى حكمدار السودان ، محمد رؤوف باشا ، عن دعوة احمد السرية بالمهدية ، لم يهتم بهذه الاخبار في بادىء الامر ، خاصة وان البلاغ الاول وصله من محمد شريف نور الدائم ، خصيم المهدي ، وظنها الحكمدار وشاية ووقيعة ، فلم يعر البلاغ اهتماما ، ولكن تعددت المصادر عن عزم محمد أحمد لاعلان دعوة المهدية . ولذلك أرسل الحكمدار خطابا الى محمد أحمد يستفسر فيه صحة ما نسب اليه وقد جاء الرد في برقية صدرت فيما يقول الدكتور ابو سليم ، في ١٠ شعبان ١٢٩٨ هـ ٧ أغسطس ١٨٨١ م [١] ونص البرقية كما يأتي : [٢]

« وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبدالله الى الحكمدارية وبعد فعلى مقتضى المكاتبة فالامر المطلوب كشفه ان دعائي الخلق على تقديم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . والاعلام باني المهدي المنتظر من سيد الوجود

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي الخرطوم ١٩٦٩ ص ١٢ .
(٢) اسماعيل عبد القادر الكردفاني : سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي تحقيق الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم (بيروت١٩٧٢) ص١٢٠–١٢١

صلى الله عليه وسلم مرارا عديدة مع الهواتف الالهية وعلامـات اخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذاله الله في الدارين وصده بقدرته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين . وأما المواعظ للمؤمنين فهي مبينة فمـن لم يصدق طهره السيف .

ولبكن المعلوم انه اتاني من الحضرتين ـ النبوية وحضرة الاقطاب ـ سيف واعلمت انه لا ينصر علي معه احد . واعلم صلى الله عليه وسلم ان من أتانا بالعداوة يأخذه الله اما بالخسف أو الغرق . وذلك اعلام منه صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لم افعل فيه شيء من نفسي ولا لغرضي وانما هو من الله والى الله . ومعلوم قوله تعالى : « ان تنصروا اللـه ينصركم » وقوله صلى الله عليه وسلم : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك والى غير ذلك من الادلة الظاهرية والباطنية ، وفيما ذكرته كفاية يكتفي بها اولو العناية والسلام [٣] .

ولما جاء هذا الاخطار بانه المهدي المنتظر فعلا وبان الامر بينـه وبين النظام هو الاحتكام الى السيف جمع الحكمدار عددا من العلماء وعقد مجلسا للتداول ، وكان اتجاه الحكمدار ان امر المهدي امر ديني وانـه يمكن حسمه عن طريق العلماء ، ولم يدر بخلده ان هذا الامر سيتحول الى ثـورة عـارمة تقضي على الادارة التركية ـ المصرية بالسودان .أما العلماء فلم ينصوروا ان هذا الفقير سيتحول الى ثائر يقضي على طبقتهم ويسفه آراءهم ، واعتقدوا بانه قد حصل له حزب سماوي من انكافه على الزهد والعبادة ولكنهم جميعا اشاروا بوجوب القبض عليه وتلافي الامر قبل اتساع الخرق [٤] .

---

(٣) منشورات المهدية المطبوعة ، الانذارات ب ص ١٣ ، انظر الدكتـور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٢ .
(٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٥٢ .

وهــذا اجراء أمن عادي ، لم يقم الحكمدار بتنفيــذه وانما ارسل معاونه محمد ابا السعود وبعضا من اقارب المهدي لاحضاره الىالخرطوم، واقناعه بالعدول عن هذه الدعوة ولكن المصادر تقفل دور هؤلاءالاقارب وتذكر الحوار الذي دار بين محمد ابي السعود والمهدي . وقــد اورد اسماعيل عبد القادر الكردفاني في كتابه سعادة المستهدي ما يمكــن ان يعتبر اقدم نص الا انه كتب اثناء حكم الخليفة عبدالله ، مما يدفعنا الى الشك في بعض جوانبه وخصوصا حين يتحدث عن دور الخليفة عبدالله في هذه المرحلة بشكل ضخم . واليك نص ما يورده الكردفاني :

« هذا فوصل ابو السعود بالوابور لجزيرة ابا محل المهــدي عليه السلام يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان عام ثمانية وتسعين بعد المائتين والالف هجرية وادخل عليه السلام في خلوته ومحل عبادته بعــد الاذن له بالدخول . فلما مثل بين يدي المهدي عليه السلام سلم عليه فرد عليه السلام وامره بالجلوس . فاستأذن المهدي عليه السلام بعد ما جلس في الكلام فقال له عليه السلام « تكلم » فقال له ان الباشا بلغه امر المهدية واستبشر بذلك والان يطلب حضورك معــي عنده بمدينة الخرطــوم لتأييدك والقيام معك واتباعك . هذا الذي ارسلني اليك هو ولي الامر الذي تجب طاعته . فقال له عليه السلام اما ما طلبته من الوصول معــك الى كبرائك فهذا مما لا سبيل اليه وانا ولي الامر الذي تجب طاعته على جميع الامة المحمدية والانقياد لما جئت به من الله تعالى . واقام لهالبراهين النيرة والحجج الباهرة الدالة على صدقه عليه السلام وانه المهدي المنتظر. ولين له القول ولاطفه على قدر ما يسعه عقله ويدله على طريق الرشاد . فانه عليه السلام يخاطب الناس على قدر عقولهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولما رأى المذكور حلم المهدي عليه السلام وصبره على الجفــوة في

منطقة كما هي الاخلاق النبوية تمادى في الكلام واظهر ما كان في ضميره وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولـم نر معك من يحارب الحكومة ويقاتلها . فقال له عليه السلام وهو يبتسم أنا اقاتلكم بهؤلاء واشار (للخليفة الاكبر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق وباقي الخلفاء ومن كان حاضرا معه في ذلك المجلس من اصحابه السابقين رضوان الله عليهم اجمعين) ثم ان المهدي عليه السلام قال مخاطبا لاصحابه الكرام اتم راضون بالموت في سبيل الله فبادر (خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله) نحن راضون بالموت في سبيل الله وباذلون أرواحنا في رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهديه عليه السلام وأجاب الباقون كذلك .فالتفت عليه السلام الى أبي السعود وقال له قد سمعت ما أجابوا به » [٥] .

ويمضي الكردفاني في التعليق على هذه الحادثة بقوله « ... ولـم تؤثر البراهين في رسول الترك المذكور آنفا تركه عليه السلام ولم يتعرض له بمكروه لكونه رسولا والرسل لا يتعرض لهم بسوء كما هـي عادة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والمهدي على ذلـك المنهـج المستقيم . [٦] ويلاحظ بان الكردفاني ركز على دور الخليفة عبدالله في المقابلة التي تمت بين المهدي وبين ابي السعود فافسد الرواية ، التي ترد على نسق آخر في كتاب جهاد في سبيل الله ونقتطف منه الفقرات التالية لاعطاء صورة للموقف . خاطب ابو السعود المهدي بقوله :

« ... لقد ورد جواب للحكمدار بانك زعمت انك المهدي المنتظر ولا يخفي ان المهدية لها دلائل وعلامات يعرفها العلماء . هذا والحكمدار

---

(٥) اسماعيل عبد القادر الكردفاني : سعادةالمستهدي بسيرة الامام المهدي تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، ص ١١٩ ، الخرطوم .
(٦) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

يطلب منك ان تحضر لطرفه ليناقشك العلماء ويقفوا على بينة من امرك ثم ترجع لموطنك » واجابه المهدي بقوله « اني انا عبد مأمور من الله ورسوله واتاني خبر باني المهدي المنتظر واني مؤيد من الله ورسوله ولا حاجة لي بتأييد العلماء وتأييد الحكمدار ولا حاجة لي في الذهاب للطرفين » (٧) فقال له ابو السعود « يا مولاي ان الحكمدار هو ولي الامر وطاعة ولي الامر واجبة » ورد عليه المهدي بقوله « انا ولي الامر في هذا الاوان على سائر الانس والجان » وطلب ابو السعود من المهدي ان يبرهن على مهديته بعلامات تؤكد صدق دعواه مثل جذب الوابور من النهر لموضع ليس فيه ماء أو أي علامات اخرى في نفسه . وأجابه المهدي بأنه ليس مأمورا بمثل هذا وحثه على الذهاب للحكمدار وابلاغه ما سمع وينبئه ان اراد الحرب ان يأتي مستعدا لها » (٨) .

ومهما يكن من امر فان ابا السعود لم يسطع اقناع المهدي ، بالحيلة أو بالتهديد للعدول عن دعواه وابرق الحكمدار من الكوه مخبرا اياه بما دار بينه وبين المهدي ولجأ الحكمدار الى اسلوب القوة وفشل فيه كما سبق ان اوضحنا في الباب السابق وحاول راشد مدير فاشوده استعمال القوة ففشل ايضا وتلاه الشلالي فمني بهزيمة نكراء ويهمنا في هذه النقطة المناظرة الفكرية التي دارت بين المهدي والشلالي وكان المهدي فيها متفوقا . ولقد ضاع الخطاب الذي ارسله الشلالي للمهدي كما ضاع خطاب المهدي الاول المرسل الى الشلالي ولم يبق من مراسلاتهما الاخطاب المهدي الثاني والذي يكشف عن بعض المسائل التي اثارها الشلالي في انذاره للمهدي وهي اتهامه للمهدي بانه قتل العساكر غدرا في واقعتي ابا وقدير لان الحكومة ارسلتهم لمراجعته والاطلاع على ما

---

(٧) علي المهدي . جهاد في سبيل الله . تحقيق عبدالله محمد احمد ص.١
(٨) علي المهدي ، جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبد الله محمد احمدص.٤

عنده من البراهين واتهامه بقتل المسلمين في قدير وأخذه عليه ارسال الطلائع مع ان المهدي مفروض فيه العلم بالغيب ثم رمى اتباع المهدي بانهم بتارة جهلاء مجوس وقد امر المهدي بالحضور اليه للتوجه الى محل الهدى بمكة المشرفة وحذره الاغترار بمساندة نواي ضيف الله ، شيخ الحوازمة واسماعيل الامين ، شيخ الفدييات . وكان رد المهدي على كل هذه المسائل قويا ومقنعا في المسألة الأولى اجاب المهدي بقوله : اما قولكم انا قتلنا العسكر غدرا في الوقعتين قبل ان يحاربونا فهذا كذب صريح لانهم في الوقعتين ابتدأونا بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم . وقولكم ان الحكومة ارسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الادلة باطل ايضا ضرورة لان الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لارسلت الصلحاء والعلماء أهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الاغبياء وتعطيهم الاسلحة . ويرد المهدي على تهمة قتل المسلمين بجبل الجرادة لانهم كذبوا بالمهدية وحاربوا الانصار واما قتل المسلمين العسكر فيدفعه بقول الدرديري في باب المحاربة على ان امراء مصر وجميع عساكرهم واتباعهم محاربون لاخذ اموال المسلمين كرها فيجوز قتلهم .

واما عن موضوع اذية الشلالي لطلائع المهدي فيرد عليه بقوله « انه قد أوذي قبلهم اصحاب رسول الله بالسجن والضرب والقتل ويضف قوله عن الطلائع بانها منافية للمهدية ، جهل بسيرة الرسول (ص) الذي كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني والزبير بن العوام ويوضح له بأن أتباع الرسل هم الضعفاء وأما الملوك والاغنياء وأهل القوة والترف فلم يتبعوهم الا بعد ان يخربوا ديارهم ويقتلوا اشرافهم ويملكوهم بالقهر . ويمضي المهدي في الرد على تساؤلات وتهكمات الشلالي بقوله :

« وقولكم : قم واحضر عندنا لتتوجه بنا الى محل الهدى مكة

المشرفة فاعلموا ان توجهنا انما يكون بامر رسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يريده الله ولسنا تحت امركم ، بل انتم ومن فوقكم تحت امرنا ، وانا ولي الامر في هذان الآن على سائر الانس والجان • وان خالفتم امرنا في هذه الايام فلا بد ان تقعوا في قبضتنا وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » • ويصف طلب الشلالي بارسال ملك من الملائكة بالجهل وكذلك قوله عن الاغترار بنواي واسماعيل الامين جهل ايضا لانه اي المهدي لا يعتمد الا على الله ولا ينتصر بغير الله •

وفي نهاية الخطاب يوجه المهدي الانذار للشلالي ويتحداه بقوله «وقد ذكرتم بانكم كاتبتمونا لان الخديوي الاعظم قال لكم : لا تحاربوه حتى يتعدى الحدود • فاعلموا انه ما أخركم عنا الا الخوف الشديد والجزع الذي ليس عليه من مزيد ، لاننا من حين كنا بجزيرة ابا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن بمثل هذا القول الذي لا ينشأ الا من ضعفاء العقول فسارعوا الى محاربتنا لتأخذوا مناصبكم التي غركم بها الشيطان ولا تجبنوا وتحرصوا وتتحيلوا ان كنتم كما زعمتم رجالا ابطالا اهل دراية بالحرب ، فانه ليس بيننا وبينكم الا السيف ولسنا محتاجين الى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • والحذر ، الحذر من المجاوبة ثاني مرة ، فانا لا نرد لكم جوابا ولو جاوبتمونا طوال السنين •وما دمتم منكرين فليس لكم الا الرمح الطعان والسيوف السنان [٩] • والتقى جيش الشلالي

(٩) رسالة من المهدي الى يوسف حسن الشلالي بتاريخ ٤ رجب ١٢٩٩ الموافق ٢٢ مايو ١٨٨٢ : انظر الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٦ ومما يدل على اهمية هذه الرسالة ورودها في خمسة عشر مصدرا من مصنفات منشورات المهدي •

بجيش المهدي في واقعة قدير الثانية ومني بهزيمة ساحقة حسبما اوضحنا في فصل سابق .

وبعد هذه الانتصارات التي حققها المهدي على جيوش الحكومة انتشر امر دعوته في السودان وخارجه وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب بغرض زيارته والوقوف على حاله . (١٠) وخشي السلطان عبد الحميدمن تأثير هذه الانتصارات في البلادالاسلامية فاصدر منشورا رسميا كذب فيه دعوى المهدي . ونشره في جميع البلاد الاسلامية وكذلك استفتى علماء الازهر في شأنه فافتوا بتكذيبه ونشر مجلس النظار منشورا بذلك . ولما أتى عبد القادر باشا واليا على السودان اوعز الى علماء الخرطوم بكتابة الرسائل في بطلان دعوة «محمد أحمد المهدي» وقام بطبعها بمطبعة الحجر في الخرطوم ووزعت في البلاد وسنتعرض الى هذه المسألة بالتفصيل في الباب التالي .

وبعد واقعة قدير الثانية اعد المهدي العدة للتوجه الى مدينة الابيض وكانت حاميات الحكومة في كل من بارة ونسحف والتيارة تعاني من من مرارة حرب العصابات التي كانت تشنها القبائل والتي مهدت الطريق للسهدي لغزو الابيض وقام محمد سعيد باشا مدير كردفان بعمل التحصينات اللازمة للمدينة بغرض المقاومة لحين وصول حملة هكس التي سحقت عند شيكان بعد سقوط الابيض ومن قبلها قام عبد القادر حلمي لتشتيت الثوار في الجزيرة وقام بعمل استحكامات لمدينة الخرطوم وفي ظروف غامضة استدعي عبد القادر حلمي الى القاهرة (١١) .

ويعود اسلوب المقاومة عن طريق الدعاية في عهد حكمدارية غردون

---

(١٠) الدكتور مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ، ص ٢٨٨ .
(١١) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

باشا الذي ارسل حكمدارا للسودان ليتولى عملية الاخلاء ولكنه تورط في الامر ودخل في عملية تحدي مع المهدي كانت نتيجتها مصرعه بالخرطوم . وقد كان غردون اوربيا ومسيحيا ، فلم يكن من الحكمة في شيء ارساله حكمدارا للسودان ليتولى عملية انقاذ الحاميات المصرية من بين انياب ثورة دينية [١٢] . ولم يتصور غردون قوة الحماس الديني التي ملأت قلوب المسلمين في السودان ولم يتدارك ان المجتمع السوداني تغير عن الحالة التي عرفها ايام حكمداريته الاولى .

وصل غردون القاهرة في ٢٥ يناير ١٨٨٤ وشرحت له المهمة التي من اجلها عين حكمدارا للسودان وأصدر الخديوي فرمانا بهذا التعيين جاء فيه « .. ان الغرض من ارسالكم الى السودان ارجاع الجنود والموظفين الملكيين والتجار الى مصر وذلك مع حفظ النظام في البلاد باعادتها الى سلالة الملوك الذين حكموها قبل الفتح المصري ولنا مزيد الثقة انكم تتخذون افضل الطرق لاتمام هذه المهمة طبق رغبتنا والسلام » [١٣] .

ولما وصل غردون الى مدينة اسيوط بمصر ارسل رسالة برقية الى حسين باشا خليفة [١٤] مدير بربر يأمره بابلاغ عمد البلاد وأعيانها بأنه عين واليا مفوضا للسودان وانه سيعزل جميع الموظفين الاتراك والمصريين ويولي حكاما من اهل البلاد ليعيد الحكم كما كان قبل الفتح وانه

---

(١٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٢ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٧٣٢ .

(١٤) حسين باشا خليفة (١٨٢٠ — ١٨٨٦) من اعيان عربان العبابدة صار مديرا لبربر ودنقله في عام ١٨٧١ — ١٨٧٣ . أعيد تعيينه مديرا في عام ١٨٣٣ . سلم مديرية بربر لمحمد الخير عبدالله خوجلي في يونيو ١٨٨٤ قابل المهدي في الرهد وعينه اميرا على العبابدة . هرب الى كرسكوا . ومثل امام مجلس عسكري لتسليمه مديرية بربر . افرج عنه وعين مفتشا بوزارة الداخلية المصرية واسندت اليه مهمة عربان الحدود.

اعفاهم من الاموال الاميرية المتأخرة حتى عام ١٨٨٣ ومن دفع الامـوال لمدة سنتين في المستقبل وانه خفض الضرائب الى نصف ما كانت عليـه والقى الاوامر الصادرة بمنع الرقيق واذن لهم في المعاملة بالرقيق وامـر حسين باشا بجمع الاعيان والعمد بالمديرية لحين وصوله بربر .

وعند وصوله كرسكو ارسل كتابا معنونا الى محمد أحمد «المهدي» مع رسول خاص مصحوبا بهدية وهي جبة بجوخ حمراء وقفطان حـرير احمر وطربوش احمر ومركوب احمر وقـام حسين باشا بارسالها الـى المهدي حسب تعليمات غردون . وعندما وصل غردون بربر عقد مجلسا من الاعيان والعمد وتلى عليهم خطاب تعيينه واختار اثني عشر عمـدة ليشكلوا مجلسا يعقد اجتماعاته كل يوم اثنين وخميس ليحكموا بالشورى وان لا يقوم مدير بربر باي امر الا بعد موافقة المجلس ثم عزل الحكـام الاتراك وعين عبد الماجد ابا ليكيلك ومحمد خشم الموس في وظيفة مأمور احداها على الوجه القبلي والاخر على الوجه البحري . وفي بربر اصدر منشورا شرح فيه بتسميته محمد أحمد « المهدي » سلطانا على كردفان وفتح الطريق بينه وبين بربر فصار الناس يهاجرون افواجا الـى المهدي خاصة بعد علمهم بسياسة اخلاء السودان .

ووصل غردون الخرطوم في ١٨ فبراير ١٨٨٤ حيث استقبله جميـع الجند وقناصل الدول ورؤساء الاديان والعلماء على الشاطيء وفي ديوان المديرية تلى على المجتمعين فرمان تعيين غردون باشا واليا مفـوضا على السودان وبعده تحدث غردون عن مهمته وهي النظر في مشاكـل البلاد وطمأن الأهالي من عدم اعتداءات الباشبوزق وانه سيعمل على راحتهـم وانساء ثروتهم وانجاح تجارتهم وزراعتهم واخطرهم بان الستيوارت باشا والذي كان واقفا الى جانبه ــ هو وكيله ومعتمده . وامر غردون بجمع دفاتر الضرائب على الاطيان في ساحة عمومية ووضعت فوقها السيـاط

وآلات الضرب واضرم فيها النار ثم زار السجن فاخلي سبيل الجميع ما عدا القلة [١٥] .

ووزع غردون منشورا على اهل الخرطوم وضواحيها جاء فيه « ... ان السودان قد فصل عن مصر فصلا تاما وقد جئتكم حاكما مفوضا عليه ، فجعلت محمد أحمد سلطانا على كردفان والغيت الاوامر الصادرة في منع الرقيق وأغضيت عن المتأخر من الضرائب لغاية ١٨٨٣ وعن ضرائب سنتين في المستقبل وسأجعل حكومة وطنية من اهل البلاد ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد ثبت الشيخ عوض الكريم ابا سن ليكون مديرا على الخرطوم [١٦] .

وفي هذا الاثناء وصل رسل المهدي يحملون ردا على خطاب غردون الذي كان قد ارسله الى المهدي في الابيض يخبره فيه عن تعيينه واليا على السودان باتفاق الحكومتين المصرية والانجليزية للنظر في احوال السودان وفتح طريق الحج ويطلب منه اطلاق سراح الاسرى المسيحيين ويعرض عليه سلطنة كردفان وان يرسل معتمدا من جانبه للتشاور في امر العلاقات فيما بينهما [١٧] .

اعاد المهدي هدية غردون ووصفها بزخرف الدنيا الذي لا يرجوه ولا يطمع فيه وأرسل بدلا عنها هدية عبارة عن لبس الانصار وهي الجبة المرقعة وسراويل وكرابة وعمامة ومركوب وأوضح له بانه لن يجد صعوبة في لبسها اذا أخلص في الانابة الى الله [١٨] .

---

(١٥) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٦٦ .
(١٦) المصدر السابق ، ص ٧٦٨ .
(١٧) رسالة من غردون الى المهدي بتاريخ ١٢ ربيع الاخر ١٣٠١-١ابريل ١٨٨٤ م - انظر دكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ص ١٢٧ وانظر ايضا نص الرسالة دكتور ابو سليم ، مخطوط توشكي ، ص ١٠٦ .
(١٨) دكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي، ص ١٢٩ .

وأوضح المهدي بان مهديته من الله ورسوله وانه ليس بمتحيل ولا يريد ماكا ولا جاها ولا مالا وانما هو عبد أحب المسكنة والمساكين ويكره الفخر وتعزز السلاطين ويعيدهم عن الحق المبين ولما حيلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين ، الذي صدهم عن سبيل الله ويمضي المهدي في ذم الدنيا وينصح لغردون بالزجوع الى الله والخضوع بحلاله وطلب عز الآخرة ويتعجب من كيفية قيام من هو على خلاف سكة رسول الله بفتح الطريق لزيارته وينصحه بالشفقة على نفسه قبل اشفاقه على المسلمين ، وان يخلصها من سخط خالقها .

ويكرر زهده في السلطنة بقوله « واعلم اني المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا في زخرفها . ويستمر المنشور في وعظ وارشاد غردون ، للتسليم والايمان بالمهدية [١٩] .

وقيل ان غردون لما ترجم له خطاب المهدي استشاط غضبا ودفع الهدية برجله وامر ابراهيم بك رشدي فاحرقها ثم اوعز اليه فكتب ردا الى المهدي وارسله مع رسولي المهدي في الابيض على النحو التالي :

« من غردون باشا والي السودان الى محمد أحمد المتمهدي وصلني كتابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبث طويتك وعن قريب ستبلى بجيوش لا طاقة لك بها وتكون انت المسئول امام الله عما يسفك من الدماء كما انك انت المسئول الآن عمن اعميت قلوبهم وغشيت بصائرهم ويتمت اطفالهم وخربت ديارهم وكنت لا أرى حاجة الى مخاطبة رجل مثلك جاحد النعمة عادم الذمة لكنني تعلقت باذيال

---

(١٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٧٨ – ٧٨٢ – رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٧ جماد الاول ١٣٠١ هـ ، ٥ مارس ١٨٨٤م

الامل راجيا من الله عز وجـل ان يتجلى على فكرتك الخامـدة فتلقى النصيحة بيد القبول وتعلو متن سلطنة مكنتك منها وكان دون ذلك خرط القتاد وها انا مستعد لقدومك ومعي رجال اقطع بهم انفاسك والعاقـل من تدبر والسلام » .

وكان غردون قد جمع العلماء في الخرطوم فكتبوا نصحا شرعيا بينوا فيه بطلان دعوى محمد أحمد وحكموا بتكذيبه فسلم غردون هذا النص والكتاب الى الرسولين واعادهما الى المهدي في الأبيض واخـذ يستعد للدفاع [٢٠] .

ولم ييأس المهدي من هداية غردون ودعوته الى الايمان بمهديتـه . وكتب اليه رسالة مطولة يعظه فيها ويدعوه الى عدم الركون الى الدنيا الفانية ويشير الى رسالته السابقة التي اوضح له فيها دعوته وانـه قد سمع عن حسناته واعماله الطيبة والتي لن تقبل عند الله الا بعد أسلامه . يطالبه بتزيين عمله بالايمان وان يطهره من دنس الكفر ويشكره عـلى اهتمامه بقوله « وقد تطلعت لاخبارنا سابقا بحيث انك خاطبتنا وارسلت الينا رسولا وطلبت رد الافادة فكان ذلك عندي دليلا على انك اعقـل اهل دولتك اذ لم يخاطبوني مثلك مع ان عليهم الاسلام دونـك . وقد كشف لي فيهم انهم اشد الناس كفرا وانهم سيهلكون على يدنا ثلة بعـد ثلة وقصدي لك النجاة من ذلك كي تفوز مع الفائزين .. [٢١] وفي فقرة من هذه الرسالة يشير المهدي الى الاجوبة التـي ارسلها غـردون الى الانصار المحاصرين للخرطوم بقوله « ان اجوبتك التي حررتهـا للفقراء المحاصرين وصلت الي والذي ذكرتموه بها مشعرا بانك اردت الاذعان

---

(٢٠) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٨٣ .
(٢١) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، مخطوط توشكى ، ص ١١٩ .

ولكن منعك توقف العلماء الذين معك وبهذا زادت شفقتي عليك وعليهم وعلى الضعفاء المحصورين عنا ورغبت لكم الهداية جميعا (٢٢) . ثم يطلب منه التسليم قبل مجيئه الى الخرطوم ويوضح بانه اعلم ابا قرجة بشروط التسليم (٢٣) .

ويبدو ان المهدي كان مهتما جدا بامر تسليم غردون من دون حرب وتقول بعض الروايات ان المهدي كان ينوي أن يفتدي به عرابي باشا أو لربما كان المهدي يعتقد بان غردون رجل صلاح ولو حسن اسلامه لكان فيه خير لنفسه ولغيره ، ومما يدل على اهتمام المهدي بأمر غردون الرسائل المتلاحقة التي ارسلها اليه يطلب منه التسليم . ويبصره بعاقبة امره والظروف المحيطة به وعندما هجم الانصار في ارض المناصير على الباخرة التي كانت مقلة لاستيوارت باشا وبعض القناصل ، قتلوا جميع من فيها وارسلوا الاوراق التي كانت معهم الى المهدي والذي كتب بدوره الى غردون يخبره بمصير الباخرة ويلوم غردون على اعتماده على غير الله ويخبره بحوادث سواكن وانه وصل الى أطراف أم درمان ويخيره بين الحرب والتسليم (٢٤) .

ويستمر المهدي في اسلوب مدارجته لغردون ويخطره بانه قد وصل الى أم درمان وان الجردة الانجليزية قد وصلت الى دنقلا وسوف يكون مصيرها مصير جردة الشلالي وهكس ويطلب منه التسليم (٢٥) .

---

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٢٣) الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١١٨ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢١٣ ــ رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ١ محرم ١٣٠١ هـ / ٢١ اكتوبر ١٨٨٤ م .

(٢٥) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٩ محرام ١٣٠٢ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٨٤ م ــ انظر الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٢٢١ ونعوم شقير ص ٢٨٠ .

وبعد شهرين من هذه الرسالة يلحقه برسالة أخرى يطلب منه التسليم وعدم الاعتماد على حملة الانقاذ اذ ان الطرق المؤدية الى الخرطوم قد اغلقت ويعده بالعفو ان بادر الى التسليم [٢٦] . وفي رسالة اخرى يفيده بوصول خطابه الدال على عدم اذعانه وتسليمه ويكرر له الدعوة بالتسليم [٢٧] وبعد خمسة أيام يرسل له خطابا آخرا يخيره بين التسليم وبين توصياته للحملة الانجليزية وينذره بقرب سقوط الخرطوم وينفي الاشاعة التي تقول بان الانكليز على استعداد لفداء غردون بمبلغ كبير من المال وانه مستعد لتوصيله بدون مقابل [٢٨] .

وفي رسالة اخيرة من المهدي الى غردون ينذره بانه لا بد من القضاء عليه حربا لا جوعا وان الانذارات لم تزده الا ضلالا وان تضليله لاهل الخرطوم عن النجدة لن يفيدهم شيئا [٢٩] .

وفي يناير وصلت الاخبار الى معسكر المهدي بموقعة ابي طليح بين الانصار وفرقة الصحراء وتعرض الانصار الى خسائر كبيرة في الارواح ولم يفلحوا في صد طابور الصحراء والذي واصل سيره الى المتمة . عقد المهدي مجلسا من كبار قواده واستقر رأيهم على مهاجمة الخرطوم ودخلها الانصار في فجر يوم ٢٦ ينائر ١٨٨٥ وقتل غردون . وفي يوم ٢٨ ينائر وصل ولسون قائد حملة الانقاذ مشارف الخرطوم ولكنه ما كاد

---

(٢٦) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٩ ربيع اول ١٣٠٢ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٨٤ ـ دكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٥٢ .

(٢٧) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٠ ربيع أول ١٣٠٢ هـ / ٨يناير ١٨٨٥ ـ دكتور ابو سليم ، المرشد ، ص ٢٥٢ .

(٢٨) رسالة من المهدي الى غردون بتاريخ ٢٥ ربيع ول ١٣٠٢ هـ / ١٣ يناير ١٨٨٥ ـ دكتور ابو سليم ، المرشد ص ٢٥٤ .

(٢٩) رسالة من المهدي الى غردون قبل ٩ ربيع ثاني ١٣٠٢ هـ / قبل ٢٧ يناير ١٨٨٠ ـ الدكتور ابو سليم ، المرشد ص ٢٦٤ .

يتأكد من سقوط المدينة ومقتل غردون حتى عاد ادراجه منسحبا الى القبة وارسل الى قيادته في كورتي طالبا التعليمات فاتاه الرد غامضا ، فاستفهم مرة أخرى طالبا تعليمات صريحة هل مهمته هي القضاء على المهدي أم لا؟ وأوضح بانه لا يمكن القيام بعمل حربي للزحف على الخرطوم الا في الخريف القادم وانه يمكن الاكتفاء باحتلال بربر وفتح طريق بربر — سواكن [30] .

واخيرا استقر رأي الحكومة الانجليزية على الجلاء من السودان ، وفي ١١ مايو ١٨٨٥ اصدر ولسون اوامره للحملة بالجلاء وبدأت الجنود الانجليزية تغادر دنقلا . وقد عمل غردون ضد السياسة البريطانية التي كانت تهدف الى اخلاء السودان حتى لا يسبب انهيارا ماليا واستنزافا للخزينة المصرية اكثر مما اصابها [33] . ورغم سياسة الاخلاء المعلنة فان الحكومة البريطانية لم تجد مناصا من التورط في اعمال حربية بشرق السودان لايقاف نشاط عثمان دقنه في تلك المنطقة ولحماية مدينة طوكر ومرفأ سواكن . أصدرت الحكومة البريطانية الاوامر بارسال اربعةآلاف جندي انكليزي بقيادة الجنرال جراهام ، اشتبكت في حروب مستمرة مع الانصار في النيل وطماي واحرزوا انتصارات بعد تحمل الضحايا .

أما ولسون فقد عاد الى القبة بعد أن تيقن من سقوط الخرطوم وأبرق قائده العام في كورتي بالخبر والذي بدوره ابرق حكومته طالبا تعليمات صريحة فأتاه الرد بان الحكومة عاقدة العزم على سحق المهدي وانها تترك له التصرف التام في تنفيذ المهمة الجديدة [32] .

---

(٣٠) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٦٠ .
(٣١) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٤١٩ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٦١

ارسل المهدي قائده عبد الرحمن النجومي لمطاردة الحملة الانكليزية الموجودة بالقبة . والتي انسحبت الى كورتي بعد ان ادركت صعوبة الاستمساك بمواقعها في المتمة وتعرضت لكثير من المصاعب والضحايا الى ان وصلت كورتي في ١٦ مارس ١٨٨٥ (٣٣) .

وكانت خطة ولسون عندما تلقى أوامر حكومته بسحق المهدي هي ان تعد بخريدة انجليزية من سواكن لبربر فقضى على قوة عثمان دقنة اولا وتحتل الجبال الشرقية لتمهد لمد خط حديدي من سواكن لبربر وبالفعل تعاقدت الحكومة الانجليزية مع شركة بريطانية وبدأت عملها . فذهب الجنرال جراهام الى سواكن مرة ثانية ونزلت قواته تباشرعملياتها وكالعادة نجحت في زحزحت الانصار عن النطاق الذي ضربوه حول سواكن ولكنهم ابناء الصحراء والجبال تقهقروا في اوديتها وشعابها ولم تنجح الحملة في ابادتهم كما كان ينتظر منها (٣٤) .

وبينما كان ولسون ينظم خطته واستعداداته للعمليات المقبلةفي مركز قيادته في القاهرة اخبرته حكومته في ٣ أبريل باحتمال اخلاء السودان وصرف النظر عن القيام بعمليات حربية في ٢١ منه أعلنت الحكومةعزمها في البرلمان على الجلاء والدافع الاول لذلك هو النزاع بين روسيا وبريطانيا في الافغان . فرأت الحكومة ان تتفرغ لمعالجة الموقف الافغاني وترك مسألة السودان بالرغم من احتجاج ولسونبأن مصر سوف تتعرض لخطر داهم ينبعث اليها من الجنوب ونزولا لاوامر الحكومة اصدر امره في ١١ مايو بالجلاء وبدأت الجنود الانجليزية تغادر دنقلا وتعرضتلتوبيخ الاهالي . وأيدت حكومة المحافظين سياسة الجلاء في أول يوليو ١٨٨٥ (٣٥) .

---

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٦١
(٣٤) د. مكي شبيكه ، السودان عبر القرون ، ص ٣٦٢
(٣٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٢

رجع عبد الرحمن النجومي من القبة عندما رأى الانجليز يخلونهـا ويتراجعون الى دنقلا فاسند المهـدي امر تعقبهم في دنقلا لعامـل بربر الاستاذ محمد الخير الذي ارسل ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي الذي احتلها بعد ان غادرها الانجليز .

وفي عام ١٨٨٩ انشىء قلم مخابرات الجيش المصري وكان من مهامه الحصول على الاخبار المختصة بالسودان وحدود مصر وفي ذات القطر المصري وكان مقر المكتب الرئيسي بوزارة الحربية المصرية بالقاهرة وله فرعان احدهما في سواكن والآخر في حلفا وكان هذا المكتب يقوم باعداد تقارير يومية ، واخرى شهرية فضلا عن التقارير السنوية التـي تلخص الموقف العام .

وكان من الطبيعي ان يشمل الاهتمام الاحوال الداخلية في السودان ورسائل الخليفة عبدالله وعلاقته بالقبائل والامراء وتحركات السرايـا والاسلحة التي في حوزتهم مع عمـل الرسوم التخطيطيـة والخرايـط الجغرافية [٣٦] . وقد لعب هذا المكتب دورا رئيسيا فيعمليات استرجاع السودان .

وخلاصة القول ان الحكمداريين لم يستطيعوا القضاء على حركـة المهدية لان تيار الحركة كان أقوى كما ان التدخل الانجليزي في شئون مصر زاد الموقف تعقيدا ، اذ فرضت الحكومة الانجليزية سياسةالاخلاء. وهناك قضايا تظل خافية علينا مهما حاولنا اما لان مؤلفيها ارادوها سرا واما لان اصحابها تحولوا تحولات شخصية غير محسوبة فنحن لا نعرف الاسباب الحقيقية وراء استدعاء عبد القادر حلمي باشا واقصائـه مـن

---

(٣٦) الدكتور محمد رفعت رمضان ، محفوظات الخرطوم ، حوليات كليات الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ٣٠٢

حكمدارية السودان رغم انه كان يقوم بمقاومة ناجحة لدعوة المهديــة في الجزيرة . كما لم تعرف الاسباب الحقيقية التــي دفعت غردون بــاشا للانحراف من مهمة الاخلاء الى مقاومة المهدي والحاجة في توريط بريطانيا بالتدخل في حرب المهدية بجيوش انكليزية . ويبدو ان عــدم استجابة المهدي لعرض غردون بقبول سلطنة كردفان واصراره في نشر الدعــوة ، أفسد خطة غردون التي كانت ترمي الى تعليق مسألة السودان واقامــة امارات صغيره من أبناء الاسر الحاكمة لتسهل عمليات القضاء عليها في الوقت المناسب . وليس مدروكا من واقع الوثائق فيما اذا كانت هــذه الخطة من مؤلفات غردون شخصيا او كانت خطة انجليزية لهــا أصول سياسية ولها ما وراءها . واذا كانت الوثائق متوفرة تقول بأن الحكومة البريطانية قد تركت لحكومة الخديوي ان تحدد مهمة غردون وتصدر في ذلك فرمانا وقبلنا ذلك فاننا نطلب ايضا جانبا آخر وهو ما عسى ان يكون موضع اتفاق بين غردون وبين حكومة بريطانيا ، والا فكيف قبل غردون مهمة عرضتها بريطانيا وكيف ارسلت بريطانيا رجلا من رجالها لمهمة في مصر . وهل يمكن ان يكون ذلك بغير هدف وبغير تحديد ؟.



الفصل الخامس

معارضة العلماء

رسائل العلماء
رسالة المفتي شاكر
رسالة أحمد الازهري
رسالة الامين الضرير
رسالة الحسن سعد العبادي
رسالة العوام
المضوي عبد الرحمن
اسماعيل عبد القادر الكردفاني

معارضة العلماء

الخلاف بين المهدي والعلماء امر طبيعي اذ ان المهدي ينتمي الى طبقة رجال الطرق الصوفية ذات العداء المتوارث مع العلماء وقد كانت الغلبة دائما لمشائخ الطرق الصوفية ، اذ انهم كانوا يؤثرون بطرق مباشرة على عقول الجماهير والحكام على السواء وكان الخاصة والعامة يعتقدون في صلاحهم وتقواهم ، والقوة الخارقة التي يملكونها بما يعتقد العامة ان ان فيها النفع والضرر للانسان كما يشاؤون وبسبب ذلك علت منزلتهم وصار الحكام يتقربون اليهم باقتطاعهم الاراضي الزراعية ويعفونهم من الضرائب ويقدمون لهم الهدايا الفاخرة طمعا في كسب رضائهم . ولا تنتهي مكانة الرجل الصالح بوفاته وانما يزداد بعدها جاها ورهبةوتنسب اليه الكرامات وتشيد لهم الاضرحة والقباب للاستمرار في عملية نيل الخيرات والبركات وبمثل هذه المفاهيم علت منزلة مشائخ الطرقوالاولياء بينما انحصر نفوذ العلماء والفقهاء في محيط ضيق . وكان هؤلاء يعتمدون على الكتاب والسنة وعلى موروث العلم النقلي وينكرونالباطن واسراره . وكان عددا من هؤلاء العلماء تلقى تعليمه بالازهر الشريف وعندما عادوا الى السودان صاروا يعلمون الناس في المساجد والخلاوي. وعادة كان نفوذ هؤلاء العلماء ينتهي بوفاتهم فلا تشيد لهم قباب أو اضرحة او مساجد تنسب اليهم ويتبرك عندها الناس وهذا على خلاف ابناء مشائخ الطرق والاولياء الذين كانوا يتولون المشيخة عن طريق

الوراثة بدون حصيلة علمية . واغلبهم كانوا جهلاء لا يعرفون من العلـم الا القليـل .

اهتمت الادارة التركية المصرية بالسودان بامر العلماء وعينتهـم في مناصب القضاء والافتاء وهي لم تهمل جانب مشائخ الطرق الصوفية لمـا لهم من مكانة وشعبية وسط الجماهير . وأصبح عدد من العلمـاء من موظفي الدوله ، وحين شبت الثورة المهدية لجأت الحكومة الى العلمـاء تطلب منهم المعاونة في تكذيب دعوة المهدي لغرض انفضاض الناس من حوله . اما مشائخ الطرق الصوفية فقد انحاز عدد كبير منهم الى المهدي بحسب مشربهم الديني واعتقادهم في ظهور المهدي المنتظر واندفع اتباع الطرق الصوفية وراء مشائخهم اما العلماء فلم يكن لهم اتباع بالاضافـه الى ان الكتب لا تؤثر في الجماهير وانما تؤثر في الصفوة الذين لم تكن طريقتهـم ذات أثر فعال في حالات الثـورة والاضطراب وحيـا اوعز الحكمدار عبد القادر حلمي للعلماء بكتابة الرسائل في تكذيب دعـوة المهـدي كانت الثورة قد استولت على جميع مديرية كردفـان وانتشرت اخبارها في جميع انحاء السودان وانتقلت الى العالم العربي والاسلامي .

والرسائل التي كتبها علماء الخرطوم من موظفي الادارة التركيـة المصرية لا تبدو انها كانت بذات أثر في حرب المهدية من الناحية العقائدية وكان العلماء مع الكفة المنهزمة بالاضافة الى ان المجتمع السوداني كـان واقعا تحت تأثير المتصوفة ولا يهتم بالعلماء ذوي التأهيل الازهري السني . وكان المهدي معتمد في دعايته لمخاطبة الوجدان الشعبي في جذب افئـدة جمهور السودان الذين ربتهم الطرق الصوفيه على نحو وتصميم ينتصر لمنحى الكشف الصوفي في المعرفة على منحى العلماء القائم على الظـاهر والاحتجاج بالنصوص والشواهد .[1] هذه التربية الصوفية التي اعانت

---

(١) عبدالله علي ابراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء ، ص ٣٣ .

المهدي في الانتصار على العلماء هــي أيضا أثرت في تفكــير جمهــور السودانيين عندما رفع المهدي المذاهب والغى الطرق الصوفيةوسنتعرض الى هده المسأله بشيء من التفصيل في الفصل التالي ٠

ان اعتماد المهدي على الكشف والالهام الالهي ، جعل العدواة بينــه وبين العلماء امرا طبيعيا فهم الذين يملكون المقدرة على مناظرته وهو لم يكن اميا حتى يصبح العلم اللدني بمثابة الكرامة له ودكر بان خليفتــه لديه معرفة بعلم الباطن ولم يعرف عن الخليفة عبدالله بانه تكلم في العلوم الدينية او قام بمحاولة لنشر تعاليم دينية او حتى قدم شروحاتلمنشورات المهدي وانما اعتمد على الحضرات النبويه التي كان ينشرها كلما جد امر من الامور واختصر العمل على الكتاب والسنة ومنشورات المهدي وقراءة راتبه صباح مساء كل يوم ٠

والحوار الذي دار بين المهدي والعلماء حول صحة وعدم صحــة دعوته آخذ خطين متناقضين ، تقدم العلماء بعدد من الاحاديث النبويــة الواردة عن ظهور المهدي المنتظر وبينوا عدم تطابقها على محمــد أحمد المهدي ، كما انهم حاولوا توضيح عدم استيفاء شروط ظهور المهــدي كانتشار الظلم وقرب قيام الساعة وغير ذلك من الشروط التي وردت في المصنفات التي تناولت موضوع موعد ظهور المهدي المنتظر ٠

اما المهدي فلم يتقدم بحــديث مباشر لاثبات دعوته ، كما انه لــم يناقش الاحاديث التي اوردها العلماء في مجال محاولاتهم لابطال دعوته ولكنه اشار الى امكانية التشكك في الاحاديث وفي مواضيع اخرى اشار الى علامات مهديته بالصيغة التي وردت في بعض الاحاديث ٠ أشار الى مسألة النسخ في الاحاديث النبوية بقوله « ٠٠٠ ومعلــوم ان الامــور تجري على عام الله ، وان الله لينسخ ما يشاء ، وعلم العباد لا يزن فــي

علم الله نقطة بالنسبة الى بحار الدنيا ، ولله المثل الاعلى ، كما قال الخضر لموسى عليه السلام . ولا سببا وعلم المهدي ، كعلم الساعة ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يوقت ولم يعين . وقال صلى الله عليه وسلم « كذب الوقاتون » وفيما ذكره محي الدين ابن العربي في تفسيره في هذا المعنى كفايه وقال الشيخ احمد بن ادريس « كذبت في المهدي اربعة عشر نسخة من نسخ اهل الله » وقال « يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حالة ينكرونها » . وفي منشور آخر يقول « ... ومعلوم ان الحديث الصحيح ينسخ الحديث الصحيح والآيات تنسخ الآيات ، والاحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف وغير ذلك كما لا يخفى ...»وتعرض في بعض المنشورات الى علامات مهديته والتي لم ترد في بعض الاحاديث مثل قوله : « ... وقد اعلمني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ان الله جعل لك على المهدية علامة وهي الخال على خدك الايمن وجعل علامة اخرى تخرج راية من نور فتكون امامي فيقول هذه راية النصر ، علامة اخرى لك على المهديه ، وتكون في يد عزرائيل عليه السلام بين يدك...» وأشار في بعض منشوراته الى نسبه الشريف ولعله أراد بذلك الاشارة الى الاحاديث التي تقول بان المهدي المنتظر من اهل البيت [٢] .

والخلاف بين المهدي والعلماء قديم ، فقد انكر على شيخه محمد الضكير ، قبول اعانات الحكومة ، وروى عنه انه لم يتناول الطعام المصنوع من الذرة الذي كانت تقدمه الحكومة اعانة للفقهاء ومساعدة لهم في اطعام تلامذتهم وبالتالي كان يعتبر مرتبات العلماء الذين كانوا يتولون القضاء والافتاء غير شرعية ، وعندما انكر العلماء مهديته هاجمهم

---

(٢) منشورات الدعوه ، بتاريخ ٥ شوال ١٢٩٨ هـ / ٢٨ اغسطس — ٢٥ سبتمبر ١٨٨٨ ، انظر الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهدية ، ص ٣٥ وانظر أيضا الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدى ، ص ٣٢٨ .

بعنف في كثير من منشوراته وقد افرد لهم منشورا جاء فيه :

« يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون وتدرسون ما لا تفعلون فما سوء ما تحكسون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى. وما يغني عنكم ان تنفوا جلودكم وقلوبكم دنسة . بحق اقول لكم . لا تكونوا كالنحل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة . كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم .

يا علماء السوء : كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم بصلاح دنياكم . فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة . فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ؟ ويلكم حين تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلات المنحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم . مهلا مهلا مادا يغني البيت المظلم ان يوصع السراج فوق ظهره وجوفه حشد معطل كذلك ما يغني عنكم ان يكون نور العلم في افواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة. يا عبيد الدنيا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم من اسولكم فتكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم الى الملك الديان حفاة عراة فيجزيكم بسوء اعمالكم » (٣) .

وقد اورد المهدي كثيرا من الاحاديث النبوية التي تحط من قدر العلماء الذين يتهالكون على الدنيا .

اما علماء الخرطوم فقد ركزوا في رسائلهم على بطلان دعوة محمد أحمد المهدي باعتباره خارجا على ولي الامر الذي تجب طاعته واوردوا الآية « واطيعوا الله ورسوله وولي الامر منكم » واستشهدوا ببعض الاحاديث النبوية الدالة على ذلك .. وتكلموا عن مكان مولد المهدي

---

(٣) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص٧٩

المنتظر ومكان خروجه ووقت خروجه ، واسباب خروجه الى غير ذلك من العلامات الاجمالية التي ذكرت عن المهدي المنتظر . والرسائل التيوضعها علمــاء الخرطوم ، وصل الينا منها ثلاث رسائل مفردة ومنشور باسم العلماء . والثلاث رسائل أعدها ثلاثة من موظفي الحكومة التركيةالمصريه كان احدهم مفتيا لمجلس استئناف السودان وهو المفتي شاكر الغــزي والرسالة الثانية وضعها السيد أحمد الازهري ، شيخ علماء عموم غرب السودان والثالثة للشيخ الامين الضرير شيخ علماء عموم شرق السودان.

رسالة المفتي شاكر في بطلان دعوى محمد احمد

هذه الرسالة مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة . المقدمة في وجوب طاعة السلطان وولاة الامور . ويعتقد المفتي بأن الدين والسلطان أخوان متلازمان ، فالدين هو الاساس والسلطان هو حافظه ومشيده ومـا لا حافظ له فضائع يعز تأييده . فلا دين الا بالسلطان . والسلطان ظل الله في أرضه وبه تقام شعائر سنّته وفرضه وهو خليفته على خلقه . وأشار الى الآية الكريمة الموجبة بطاعة ولي الامر وحديث الرسول الوارد في هذا المعنى وتحدث عن ضرورة الائتلاف ونبذ الخلاف والمنازعةوالعداوة وقرر ان من خرج عن الطاعة شبرا فقد عصى الله ومات ميتة جاهلية .

وتحدث في الفصل الاول عن بطلان دعوى محمد أحمد ، فذكر ان بعض العاماء قال بظهور المهدي في آخر الزمان واحتجوا لذلك بأحاديث خرجهـا الائمـة ، وبعض العلمـاء أنكرهـا وتكلمـوا فيهـا وربما عارضوها ببعض الاخبار . أما المتصوفة فلهم طريقة أخرى ورمزوا الى خروجه في ج ف، ج اشارة الى انه يخرج سنة ٦٨٣ ورمز بعضهم علـى خروجه في سنة ٧٠٠ وكسور وغير ذلك ولم يخرج . ويلاحظ بأن المفتي لم ينعمق في أفكار المتصوفة عن عقيدة المهدية وانما ركّز على زمـان ظهوره ثم ناقش أوصاف المهدي ومكان ظهوره وغير ذلك من العلامات الواردة عن المهدي المنتظر ليدلّك على عدم مطابقتها على محمـد أحمد المهدي . وفي الفصل الثاني تحدث في النهي عن اتباعه ونصيحة مناتبعه بابتعـاد عنه . وفي الخاتمـة تحـدث عن وجوب قتل الخوارج ونصر السلطان [٤] .

(٤) نعوم شقير ، جغرافيه وتاريخ السودان ، ص ٩٥٢ ـ ٩٦٠.

رسالة احمد الازهري
النصيحة العامة لاهل الاسلام
عن مخالفة الحكام والخروج عن طاعة الامام

يبدأ الازهري رسالته بمقدمة موضحا فيها وجوب تقديم النصيحة من الناحية الدينية ، ويصف دعوة المهدي بالبلوى التي ضاعت بسببها آلاف من دماء المسلمين خصوصا في جهات سنار وكردفان ويورد بأن المهدي أرسل له خطابا قبل مغادرته لكردفان ولكنه لم يقف عليه وتمنى لو تحصّل عليه لكي يبني عليه مخاطبة تشتمل ما لا بد منه من النصيحة وليوضح فيها ما يحتاج اليه من النصوص الصريحة ، على أمل اذا ما وصلت اليه وتليت بين يديه فانه لا يسعه الا الرجوع الى الحق ومقابلة أولي الامر بالسمع والطاعة .

ويوضح الازهري بأن عبد القادر باشا ، هو الذي أشار على العلماء للقيام بالامر والنهي عن المنكر والاجتهاد في بذل النصيحة ، ويورد الازهري في رسالته احد عشر دليلا تناقض دعوى المهدية من حيث مخالفة مكان المولد وعدم التطابق في الاوصاف الجسمانية وعدم خسوف القمر في أول رمضان وعدم كسوف الشمس في النصف منه ، وذكر قول الشعراني بأن رايات المهدي تخرج من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب . وأورد قول شهاب الدين أحمد بن حجر قد ذكر مما أخرجه ابن عسكر عن علي كرّم الله وجهه : « اذا قام قائم آل محمد (صلعم) جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء من أهل الكوفة

واما الابدال فمن أهل الشام »• ويورد أيضا قول الامام أحمد : «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » • والمعروف عن محمد أحمد بـأنه سلك الطريقة الخلوتية على يد الشيخ القرشي •

ويروى عن الحاكم في صحيحه : « يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم ، لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجـأ فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يحبه ساكن الارض وساكن السماء ••• الخ » ويقرر بأن حكومة الدولة العثمانية لم يحصل من حكامها البلاء وانما كل من وقع في قبضة محمد أحمد يسخط عليه لانه يقتل رجاله وينهب ماله •

ثم يورد قول محيي الدين عربي عن وزراء المهدي : قد استوزر طائفة خبا بهم في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكنهم لا يتكلمون الا العربية لهم حـافظ من جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء •

وأورد من الادلة على ظهور المهدي ، ما جاء في روايات المحققين انه ينادي عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه •وان الكنوز تفتح في زمن المهدي وانه من أهل البيت ويملك سبع سنين ويملأ الارض عدلا ويخرج مع عيسى ويساعده على قتل الدجال بباب له بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامة ويصلي عيسى خلفه •

ثم يناقش الازهري بعد ذلك أقوال المهدي بأنه تلقى الامـر من الرسول ويقرر الازهري بأن هذا الامر اذا أتى من الرسول في المنام، فلا يصح العمل به ، لانه مخالف لظاهر الشرع ، واذا كان عن طريق الكشف فلا يصح العمل به أيضا لانه مخالف لظاهر الشرع ويعلق على قول المهدي

بأن من شك في مهديته كفر ، بقوله : ان جميع الادلة الظاهرة التي أطبق عليها المحققون مناقضة لدعواه المذكورة . والمهديـة ليست بنبـوة ولا رسالة وغايتها خلافه ، فانكار أصل المهدية والشك فيها لا يوجب كفرا بمعنى الخروج عن الاسلام ، لما مال الـيه بعض العلماء في بعض طرق الحديث من قوله (ص): « لا يزداد الامر الا شدة ، ولا الدنيا الا ادبارا، ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة ولا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم » . وان أول بعض العلماء بأن معناه لا مهدي معصوم الا عيسى أو لا مهدي على الاطلاق سوى أن يأتي عيسى فضلا عـن مهدية انسان مخصوص ادعاها في زمن لم يتم دليل على حصولها فيه .

ويختتم الازهري رسالته بوصف سلطان الدولة العثمانية بـأنه الامام وانه امير المؤمنين وانه خليفة رسول الله (ص) ويخطب باسمـه في المنابر والخروج عن طاعته حرام على كل مسلم .

رسالة الامين الضرير
هدى المستهدي الى بيان المهدي والمتمهدي

هذه الرسالة مكونة من مقدمة وخمسة أبــواب وخاتمة وطبعت بمطبعة الحجر في عام ١٢٩٩ ﻫ تحدث الكاتب في المقدمه عن الخلاف الواقع في مقتضى دعوة المهدية ، وفي الباب الاول ناقش الاحاديث الواردة فــي ظهور المهدي ووصفها بالضعف لكثرتها ثم تكلم عن القول بظهور المهدي من جملة الخلفاء العادلين وفيها تثبت خلافة الخليفة الذي يقوم بأمــور المسلمين ثم نعرض المخلاف الواقع بين العلماء في ثبوت امامة المهــدي المنتظر . وفي البابين الثاني والثالث يقرر الشيخ الامين بأن السلطــان عبد الحميد هو الامام الشرعي ثم ينتهي من ذلك الى ان الخروج عــن طاعته حرام . وفي الباب يمدح الخديوي محمد توفيق . وفي البــاب الخامس يتحدث عن الرؤيا الصحيحة . وفي الختام يناقش الالتباس الذي وقع في سنة ظهور المهدي المنتظر [٥] .

وخلاصة رسائل العلماء انها اتفقت في شرعية امامة آل عثمان وان الخروج على الامام حرام وقالوا ببطلان دعوة محمد أحمد المهدي،وقد حاول غردون باشا الاستعانة بالعلماء فيتكذيب المهدي واصدر منشورات

(٥) دار الكتب المصريه ، الخزانة التيموريــة ، مطبوعات رقم ٢٥٦٠ ، المستهدي الى بيان امامة المهدي للشيخ الامين الضرير .

في هذا المعنى ؛ وكما سبقت الاشارة فلم تكن هذه الرسائل بذات جدوى في حرب المهدي الذي دعم دعوته بالانتصارات الحربية على جند الحكومة في أكثر من موقعة .

وقد قام العلماء ، من ذوي التأهيل الازهري ، الذين اشتركوا في حركة المهدية بالرد على اخوانهم في الجانب الآخر برسائل تقول بصحة دعوة المهدية وبطلان خلافة آل عثمان . ومن الملاحظ ان هذه الرسائل كتبت في حياة المهدي وانه أجازها بنفسه . وقام الخليفة عبدالله بطبعها بمطبعة الحجر بعد وفاة المهدي ، ولعله أراد أن يبرر موقفه ويحارب حملات التشكك في صحة دعوة المهدية .

رسالة الحسن سعيد العبادي
الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية

تتكـون هـذه الرسالة من خطبة ومقدمة وسبعة أبواب وخاتمة ، ومهّد العبادي لصحه دعوة المهدية بالتحذير من انكارها وتحدث عـن حقيقة الولي وشروطه وثبوت الكرامة لاولياء الله كما تحدث في ثبـوت رؤية النبي يقظة ولعله أراد بذلك ان يفند الآراء التي وردت في رسالـة الشيخ الامين الضرير وتحدث في الابواب الاخيرة عن فضائل المهـدي ونبذة عن كراماته . ويركز في الباب الاخير بالرد على الاعتراضات التي ذكرها بعض العلماء في بطلان دعوة محمد المهدي . وفي الخاتمـة أورد الادلة التي تدل على صحة الدعوة . ونادى العبادي بضرورة قيام المهدية لمقاومة الغزو الاوروبي المهدد لديار الاسلام (٦) .

---

(٦) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهديـة ، ص ١٩٧ ، انظر المهدية ٣/٨

رسالة الحسين زهراء
الآيات في ظهور مهدي الزمان وغاية الغايات

اختار الحسين زهيراء تسعا من العلامات التي وردت في الكتب عن ظهور المهدي . واختار منها ما يناسب المهدي على حسب اعتقـاده وهي تكامل الخلق ومطابقة الاسم والنسبة الى بيت رسول الله كما أشار الى وجود الخال على خد المهدي الايمن وطلوع النجم ذا الذنب وان راياته لا تهزم .

ويهاجم الزهراء العلماء المعادين للمهدي ويقرر بأنهم علماء غـير عاملين . وان الجاهل العادي أعلى مرتبة من عالم غير عامل .

وهاجم الزهراء فتاوى علماء مصر وأسقط ولاية آل عثمان وبطلان ولاية محمد علي وأولاده وهاجم محمد توفيق والي مصر لتفريطه واعطاء الانكليز الفرصة للاستيلاء على مصر التي هي باب طريقهم الـى الهند ومحاولاتهم الاستيلاء على السودان لانه البلاد المتوسطة بين مصر وأملاكهم الجنوبية الافريقية [٧] .

---

(٧) مهدية ٨/٣ ــ ب ٢

احمد العوام
نصيحة العوام للخاص والعام
من اخواني اهـل الايمان والاسلام

قرر فيها سقوط امامة آل عثمان وعدم شرعية ولاية الخديوي محمد توفيق في مصر مما يستوجب على المسلمين الخروج على سلطتهم ودعـا الى الوحدة بين المسلمين ومناصرة المهدي في محاربتـه للخديوي الذي استعان بغردون الاجنبي [٨] .

وأحمد العوام من خطباء الثورة العرابية ونفي الى الخرطوم وجاهر بعدائه للخديوي ومناصرة المهدية مما جعل غردون يلقي القبض عليه ثـم أفرج عنه وعيّنه معاونا في الحكمدارية ولكنه ظل على عدائه واتهـم بتحريض امرأة للقيام بحرق مخزن الـذخيرة وحوكم وأعدم في سنـة ١٨٨٤ م [٩] .

---

(٨) مهدية ٨/٣
(٩) الدكتور أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ص ٢٠٠

المضوي عبد الرحمن

وهناك طائفة من العلماء ، اخذت موقفا مترددا من دعوة المهدية ، بهرتهم انتصاراته المبكره فأيدوا دعوته ولكنهم ما لبثوا أن غيّروا رأيهم فيها مع تطور الاحداث . ومن أمثلة هؤلاء المضوي عبد الرحمن وهو من ذرية الشيخ ادريس ود الارباب . عاش حياته الاولى في جو صوفي وذهب الى مصر حيث اتم تعليمه في الازهر وعاد الى السودان وأقام حلقة التدريس واشتغل بالزراعة في جهة كركوج في أعالي النيل الازرق. وحسب الرواية التي ذكرها المضوي لنعوم شقير بعد هروبه من السودان فان موقفه المتردد يبدو واضحا رغم اننا ننظر بشيء من الحذر الى أقواله التي أدلى بها بعد أن ابتعد من مسرح الاحداث . يقول المضوي انه لم يحفل بدعوة المهدية في بادىء الامر ولكن انتصارات المهدي على أبي السعود وراشد وكثرة أقوال الناس عن عجائبه وكراماته ، دفعته بالهجرة الى قدير لمشاهدة المهدي والوقوف على حاله . ويذكر المضوي بأنه وجد عنده عددا كبيرا من العلماء ورجال الدين ، فريق منهم اعتقد أو تظاهر بالاعتقاد بأنه المهدي المنتظر وجميع العامة من رأي هؤلاء وفريق قالوا انه ساحر وانه انما فاز بالحرب بسحره لا بمهديته . وأورد المضوي أربعة أمور دفعته الى الارتياب في دعوة المهدي ، وهي إيثار المهدي لاقاربه وأصفيائه بالغنيمة ، سكوته على جرائم انصاره ، تكفير من ينكر مهديته، ولم ير فيه شيئا من العلامات الاجمالية التي يعرفها عن المهدي [١٠] ،

(١٠) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٧٧

وترتيب هذه الامور على هذا النحو يدل على عدم اهتمام المضوي بالجانب العقائدي من دعوة المهدية • وزعم المضوي بأنه تظاهر بالاعتقاد بغرض التخلص من المهدي وطلب منه الاذن بالعودة الى أهله لتحريضهم على اتباع المهدية والجهاد في سبيل الله ، وأجابه المهدي الى ذلك وعيّنه عاملا على جزيرة سنار وأصحبه أميرين من أهل الجزيرة ليساعداه على الجهاد ود الصليحابي وود برجوب • ولا يوجد في منشورات المهدي ما يؤيد هذا الزعم وانما تدل الرسائل الموجهة من المهدي الى كافة أهالي جبال الفونج عربها وعجمها الى ان العامل هو عطا المنان الصليحابي[11]• وقد تمكن المضوي من الهروب من منطقة جبال الفونج الى بلدته بالعيلفون بالقرب من الخرطوم وأخطر ود الصليحابي المهدي بسوقف المضوي • ونستدل على ذلك من رسالة من المهدي الى عطا المنان الصليحابي جاءت فيها الاشارة الى أن المضوي نكث العهد وقام هو ومحمد مالك ابو روف بعمليات نهب ويفيده بأنه كتب اليهما بالكف عن ذلك وارجاع ما أخذاه [12] • ويلاحظ ان المضوي لم يذكر لنعوم شقير دوره في حروب سنار •

أخذ المضوي عائلته وذهب الى أهله بقرية العيلفون بالقرب من الخرطوم وقابل عبد القادر باشا حلمي • وانضم مرة اخرى الى جانب المهدية بعد واقعة شيكان واشترك في حصار الخرطوم مع الشيخ العبيد ود بدر ووجه انذارا الى غردون باشا جاء فيه « ••• فاعلم ان جميع أهل السودان خاصتهم وعامتهم قد اتبعوا محمد أحمد قلبا وقالبا ودليل

---

(11) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ص١٤، رسالة من المهدي الى كافة جبال الفونج بتاريخ ٧ محرم ١٢٩٩ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨٨١ م•

(12) رسالة من المهدي الى عطا المنان الصليحابي وآخرين بتاريخ ١٣٠٠هـ/ اكتوبر / نوفمبر ١٨٨٣م ــ المرشد ، ص ٨١

ذلك بأ لهم أرواحهم بين يديه في الحروب ... » (١٣) .

وبعد سقوط الخرطوم لا يوجد في الوثائق ما يوضح العلاقة بين المهدي والمضوي ، ومن المحتمل ان المهدي عفا عنه فيما نسب اليه من الارتداد عن المهدية والنهب في سنار . وبعد وفاة المهدي هرب المضوي من السودان عن طريق بلاد الحبشة الى أن وصل الى مصر . ووجهة نظر الخليفة عبدالله في المضوي تتضح من الرسالة التالية التي وجهها الخليفة عبدالله الى عجيل عوض يستحثه الاجتهاد في القاء القبض على المضوي :

وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى المكرم عجيل عوض نعلمك ان الرجل المسمى مضوي عبد الرحمن معلوم انه كان من اصحاب المهدي عليه السلام بجهات قدير وشهد عدة وقائع ومحاربات في المهدية وما زال تابعا للمهدية من مدة قدير الى أن حضر المهدي عليه السلام بجهات البحر وهو مستمر في خدمة الدين الى ان توجه الى مدينة سنار من ضمن العمال وحاصر معهم الى ان فتحت وحضر عدة وقائع بها ثم حضر معهم سويا للبقعة حسب طلبنا وفضل بالبقعة ملازما للصلوات خلفا ومباشر للخدمات الى ان امرنا الانصار بالاستنفار للجهاد في سبيل الله تعالى والنزول الى جهات الريف، ووجهنا الحبيب عبد الرحمن النجومي وما معه من الجيوش ولا زالت السرايا تمشي متتابعة شيء فشيء للحوق به حتى خرج بالبوارق التي من ضمنها راية المذكور في البرازة تقصد السفر واستعدوا العملاء الذين معه وطلب الاذن بالتوجه الى جماعته فما نشعر وقد بلغنا انه هرب فلما سألنا اهاليه واقاربه عن السبب الذي اوجب الهروب

---

(١٣) نعوم شقير ، جغرافية السودان وتاريخه ، ص ٧٧٧

عرفونا بانه لما كان قد توجه لسنار وفتحت صادف منزل واحد من ابنـاء الدنيا الكبار وضبطه بواسطته ووجد فيه غنائم كثيرة جنيهات وغيرهـا ولا زال يجمع في الغنائم حتى اجتمعت عنده مبالغ عديدة بالجنيهات ولما امر بالسفر صعب عليه الامر في كيفية الجنيهات المذكورة لانه اذا كـان حملها معه نظهر عليه ويفتضح لانه كان مظهرا للمسكنة والتقشف ومـا امكنه تركها خافه فلا جل دلك غرته الدنيا وفتنته واخذت بمجامع قلبه واضلته فهرب وحسل الجنيهات وما معه من الدنيا على خرجين وتوجه لحال سبيله وقد بلغنا انه بجهتكم الآن وحيثما ان امره كما ذكرنا لكم وانتـم من اتباع المهدية فينبغي ان تجروا ضبطه وارساله بمخاصيص من طرفكم لغايه ما يوصلوه بطرفنا ويشاهدونا ويرجعوا لكم كما هو المظنـون في اتباع المهدية امثالكم ولا يكن في امره اهسال ولا مهاونة وجميع ما يطرفه من الدنيا استلسوه منه واصرفوه على الانصار الذين معكم فانكم مأذونين في ذالك وهو ارسلوه حكم ما اشرنا لكم فبذلك يعظم قدركم وتنالـوا الرضاء من الله ورسوله ومهديه ورضانا والظن بكم جميل ونرجو اللـه ان يوفقك لما يحبه ويرضاه ويجعلك من اهل الصدق والصفا انـه كريم مجيب والعاقل تكفيه الاشارة والسلام (١٤) •

ولم يتمكن عمال الخليفة عبدالله من القبض على المضوي • ويعطي موقف المضوي عبد الرحمن من دعوة المهدية صورة لموقف بعض العلماء الذين لم يؤمنوا بالدعوة من الناحية العقائـدية ولكنهم اضطروا الـى المدارة تقية ، ومثل هذا الموقف زاد من شك الخليفة عبدالله في العلماء ، ولم يستطيع بعضهم الهروب ، فتعرضوا لبطشه مثل اسماعيل عبد القادر الكردفاني والحسين زهرا رغم اسهامهما بالكتابة في دعوة المهدية •

(١٤) مهدية ، دفتر صادر ١١ رسالة من الخليفة عبدالله الى عجيل عوض بتاريخ ٣ الحجة ١٣٠٣ هـ / ٢ سبتمبر ١٨٨٧ م ، ص ٦٠

اسماعيل عبد القادر الكردفاني
(١٢٦٠ – ١٣١٦ هـ) (١٨٤٤ – ١٨٩٧ م)

تلقى اسماعيل عبد القادر تعليمه الاولي في خلـوة جده اسماعيل الولي بالأبيض ثم أخذه خاله أحمد الازهري الى مصر حيث التحـق بالازهر الشريف وقضى فيه بضع سنين واشتهر بالنجابة والذكاء وعـاد الى السودان وعينته الادارة التركية المصرية مفتيا لديار كردفان وعندما وصل المهدي الى جهة كابا بالقرب من الابيض خرج اسماعيل عبد القادر وانضم اليه ، ويورد الدكتور أبو سليم ثلاثة احتمالات لتحوله ،الاحتمال الاول برمه من النظام السياسي السائد والاحتمال الثاني ايمانه واعتقاده في المهدي والاحتمال الثالث موقف الضرورة باعتبار ان النظام التركـي آئل الى الزوال ويميل الدكتور ابو سليم الى الاحتمال الاخـير [١٥] . وكيف كان الامر فان اسماعيل عبد القادر وجد نفسه ملتزما لدعوة المهدية، واسندت اليه وظيفة في جهاز القضاء المهدوي وكان من المقربين الى الخليفة عبدالله والذي اشار عليه بتأليف سيرة في المهدية تكون جامعة لجميـع حوادثها وتطوراتها من يوم نشأتها الى فتوح الخرطوم [١٦] . وقد فرغ اسماعيل من كتابة السيرة في ٢ ربيع اول ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م . وفـي

---

(١٥) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامـام المهدي ، تحقيق الدكتور أبو سليم ، ص ١٨
(١٦) المصدر السابق ، ص ٤٢

نفس السنة وضع كتابا آخرا اسماه الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش ويعتبر امتدادا للكتاب الاول ، ولم يأمر الخليفة عبدالله بطبع هذين الكتابين وربما كان مرد ذلك لاسباب فنية تتعلق بامكانيات مطبعة الحجر ، والتي استفنذت مواد الطباعة التي ورثتها عن الادارة السابقة . وقام بعض الناقلين بنسخ هذين الكتابين امر الخليفة عبدالله بحرقها وسلمت نسخة واحدة من الاعدام وهي محفوظة بمكتبة بكلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة درام (١٧) .

اختلف المؤرخون في الاسباب التي أدت الى اسباب نقمة الخليفة عبدالله على المؤلف ، اهي الوشايات التي وشها الحاسدون لمكانة المؤلف عند الخليفة ونسبوا اليه اقوالا تدل على احتقاره للخليفة ، ام هي زهده بالمكانة التي وصل اليها عند الخليفة بحيث يصف علاقتهما بعلاقةاسماعيل المفتش بن الخديوي ام هي المغامز التي زعموا بان اسماعيل وشها في الكتاب والتجأ الى اسلوب المدح بما يشبه الذم ولربما كان المؤلف متعاطفا مع الاشراف (١٨) . ان شك الخليفة عبدالله في ولاء العلماء لدعوة المهدية كان كافيا لئن يجعله بصدق اي معلومات او وشاية في حق اي منهم وبصرف النظر عن الوشايات وتشكك الخليفة فان مهمة الكتابة عن سيرة المهدية في تلك الفترة الحرجة من تطورها كان امرا تحف به الخطورة من كل جوانبه ووفاة المهدي المبكرة كانت نقطة تحول كبيرة في تطور دعوة المهدية فالعلماء الذين كتبوا مؤيدين للدعوة في حياة المهدي لم يتعرضوا لهذا الاحراج ووقع فيه اسماعيل عبد القادر ، اذ كان لا بد له من انيدافع عن صحة الدعوة بالرغم من ان وفاة المهدي قبل ان يكمل فتوحاته كما

---

(١٧) درام محفوظات السودان ، صندوق رقم ٩٩ القطع ٦ و ٧

(١٨) الدكتور أبو سليم ، محمد ابراهيم ، مقدمة تحقيق سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، ص ٢٧

بشر بها وتفادى هذه النقطة باعتبار ان خلافة الخليفة عبدالله متسقة لدعوة المهدي ومندرجة فيها حسب اعتقاد الخليفة عبدالله وحاول اسماعيل عبد القادر ان يبرز دور الخليفة عبدالله في حياة المهـــدي بصورة ضخمــة وصلت الى حد المبالغة . كما تمادى في الاطراء والمديح للخليفة عبدالله في فترة توليه الخلافة ، والجانب المهم في كتابي الكردفاني هو التاريخ للوقائع والفتوحات التي تمت في عهد المهدية وان كان المؤلف يتفادى المـــواقف التي تعرض فيها الانصار للهزيمة .

وقيل ان الخليفة عبدالله سر سرورا عظيما من كتاب سيرة المهــدي وامر النساخ ان ينسخوا منها عدة نسخ وزعها على الامراء . وعندمـا غضب الخليفة عبدالله على الكردفاني امر بان تحرق كل النسخ من كتاب السيرة اينما وجدت وارسل الكردفاني الى الرجاف منفيا في عام ١٨٩٣ وبقي هناك في اشد العناء والضيق الى ان مات في اوائل سنـــة ١٨٩٧ . بالرغم من ان الخليفة عبدالله كان محتاجا لجهـــود العلمـــاء والكتـــاب والنساخ في عمليات الدعاية لنشر الدعوة المهدية الا أنه لم يكن يثق فيهم ولربما كان يعتقد بان ما تلقوه من العلم قبل المهدية لا يصلح بعدهــا ولا بد لهم من التربية على تعاليم المهدية المستمدة من الكشف والالهــام . وكان يجمعهم بأم درمان لهذا الغرض . احضر الخليفــة عبدالله علمــاء الجزيرة لام درمان للارشاد حسب تعبيره وارسل الى حمدان ابي عنجه يأمره بضبط علماء الابيض ومصادرة كتبهم وارسالهم الى ام درمــان ويسمى منهم أحمد ولد الفقه وعربي ولـــد أحمد عبد السلام ومحمــد الشايقي وولد الغزالي [١٩] وارسل خطابا مماثلا الى علي منير ، عامـــله بشأت ، يأمره بارسال الفقه امين الدين ومن معه من العلماء حيث انه قد

---

(١٩) مهدية ، دفتر صادر ١٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمــدان ابي عنجة بتاريخ ١٦ محرم ١٣٠٤ هـ.

بلغه انهم « ما زالوا على حالهم الاول ومنبطين عن الهجرة ويأمره بارسال كتبهم » [٢٠] . وقد استلزم رفع المهدي للمذاهب حرق الكتـب اذ ان المعلومات التي بها اصبحت غير ذات فائدة ونفع فماذا عساه ان يفعل مع العقول التي تحمل افكار هذه الكتب ؟ .

لم يكن الخليفة عبدالله في حاجة للرد على رسائل العلماء وافكارهم على النحو الذي فعله المهدي في منشوراته ولم تكن لديه وسيلة القضاء على معارضتهم سوى القوة ، فعمل على حفظ أكبر عدد منهم بأم درمان وتعرض عدد منهم للسجن والمـوت ولم يسلم من ذلـك رجال الطرق الصوفية الذين كانوا يلتقون مع المهدي والخليفة عبدالله في الايمان بعلم الباطن ولكنهم اختلفوا في تقييم الوصول الى المقامات التي بشر بها ائمة الصوفية وكانت كل طريقة تحاول ان تسبق اختها في عمليات التدرج في هذه المقامات .

---

(٢٠) المصدر السابق ، رساله من الخليفة عبدالله الى علي منير بتاريـخ ١٦ محرم ١٣٠٤ هـ.

الفصل السادس

معارضة رجال الطرق الصوفية

دخول الطرق الصوفية في السودان
طريقة القادرية
طريقة السمانية
طريقة التجانية
طريقة الختمية
ابطال العمل بالمذاهب وترك الطرق الصوفية

دخول الطرق الصوفية في السودان

دخلت الطرق الصوفية السودان على مرحلتين متميزتين ، الاولى في ايام حكم سلاطين الفونج ، والثانية على عهد الادارة التركية المصرية . تميزت طرق المرحلة الاولى باللامركزية ، فلم يكن لطريقة القادرية أو الشاذلية هيئة مركزية منظمة ، تسلسل من الشيخ الاكبر الى الخلفاء والمريدين ، بل كانت الطريقة تسار على يد شيوخ كثيرين ، منتشرين في انحاء البلاد ، كل منهم شيخ وخليفة ومريد في الوقت نفسه . ولم يدخل النظام على الطرق الصوفية الا في العهد المصري حيث تجمع مريدو كل طريقة حول شيخ الطريق الاكبر ، الذي كانت له الكلمة العليا والذي كان له خلفاء مجازون يمثلونه في جهات مختلفة ولهم الحق المفوض في تسليك المريدين [1] .

ان تاج الدين البهاري ، الذي ينسب اليه ادخال الطريقة القادريه في السودان مجهول الهوية ، فلم يعرف عنه شيء في طبقات مشائخ القادرية ولا يعرف شيء عن الهيئة التي كان ينتمي اليها ببغداد . كما ان الكيفية التي سلك بها الطريقة في سنار تدل على انه لم يكن تابعا لمنظمة معينة وانما كان عمله عملا فرديا بدليل انه لم يضع للطريقة نظاما وانما سلك الطريق لعدد من الشيوخ قيل انهم اثنان وقيل أربعة وقيل أربعين واستقل

---

(١) الدكتور عبد العزيز امين عبد المجيد ، التربية في السودان ، الجزء الاول ، ص ٢٤٥

كل منهم بمشيخته ولا رابطة بينهم والواقع أن كل أسرة دينية كـانت مستقلة بشيختها وبها عرفت كالصادقاب نسبة الى محمد الهميم بن عبد الصادق واليعقوباب نسبة الى يعقوب بن بـان النقا الضرير والعركيين نسبة الى عبدالله العركي والى يومنا هذا ظلت بعض الاسر الدينية تحتفظ بأسم الاسره وتتوارث فيها المشيخة وقد لمع كثير من هذه الاسر بحيث لم يعد من السهل معرفة الطريقة الصوفية التي تنتمي اليها الاسرة • وهناك عدد من المشائخ لمعت اسماؤهم في دنيا التصوف دون ان يكون لهم طريقة معينة من امثال ادريس ود الارباب وحسن ود حسونه كما تحول كثير من اضرحة الاولياء الى مراكز صوفية مستقلة وقائمة بذاتها •

اما الطريقة الشاذلية والتي دخلت السودان في عهد الفونج فلم يعرف لها ابدا تنظيم معين ويبدو انها كانت عملا فرديا اذ اشتهرت بهـا اسرة المجاذيب في الدامر وبسبب عدم ارتباطها بهيئة مركزية ، سرعان ما تحولت الى طريقة مستقلة ، عرفت بأسم الطريقة المجذوبية • وقد أسسها محمـد المجذوب الكبير في اوائل القرن الثامن عشر وقد تطورت الطريقة على يد محمد المجذوب الصغير المولود في المتمة في عام ١٧٩٦ • وفي ايام حملات الدفتردار على الجعليين • ابان مقتل اسماعيل باشا هاجر محمد المجذوب الى سواكن ثم الى مكة حيث مكث عشر سنوات تتلمذ فيها على السيـد أحمد بن ادريس الفاسي وكانت عودته الى السودان في عام ١٨٣٠ وقد ركز نشاطه في سواكن ونواحيها بين قبائل السودان الشرقي وقـد كان المجاذيب سندا قويا لحركة المهدية في شرق السودان[٢] •

ومن الطرق الصوفية المشهورة في السودان ، الطريقة السمانية والتي

---

(٢) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مذكرات عثمان دقنة ص ٩ ، وانظر ايضا :

Willis, C. A. Religious Cenfraternities of the Sudan, SNR, Vol.4, P.P. 175—194.

هي في الاصل احد فروع الطريقة الخلوتية والتي أسسها في الحجاز الشيخ محمد السمان المدفون في المدينة ، وقد دخلت السودان على يد الشيخ أحمد الطيب البشير المتوفي في عام ١٨٣٣ م . وفي الايام الاخيرة الحكم المصري في السودان ، انقسمت هذه الطريقة الى ثلاث طوائف ، الطائفة الام في أم مرح بشمال الخرطوم بزعامة محمد شريف نور الدائم استاذ المهدي الاول والطائفتان الثانية والثالثة بأرض الجزيرة ، احداهما بزعامة القرشي ود الزين ، والذي جدد على يده المهدي الطريقة بعد شجار مع محمد شريف نور الدائم اما الطائفة الثالثة فكان يتزعمها محمد الطيب البصير .

ومن الطرق التي اشتهرت في غرب السودان ، الطريقة التجانية والتي دخلت السودان في القرن التاسع عشر في اواخر الفتح المصري ، وجل اتباعها من اولئك المهاجرين الذين وفدوا على السودان من الغرب كالفلاتة والهوسا ولهم خلايا بمنطقة الجعليين وبربر ودار الشايقية ، وقد اشتهر منهم الشيخ الهدى الذي أيدالحركة المهدية وقتل فيموقعةكورتي .

وفي آخر سلطنة الفونج دخلت طريقة الختمية السودانعلى يد السيد محمد عثمان الميرغني الكبير ، المولود بقرية السلامة من ارض الطائف في عام ١٧٨٥م . توفيت والدته وهو يافع ورباه والده الى ان بلغ سن العاشرة ثم توفي والده فكفله عمه ياسين وكان من أجل العلماء يومئذ بمكة مشهورا بالصلاح والتقوى والزهد والورع وكان عقيما لا ولد له فاحتفل به وعلمه ما يحتاج اليه من العلوم كالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم ثم اتجه الى التصوف واخذه على عدد من مشائخ النقشبندية والقادرية والشاذلية بالاضافة الى الميرغنية طريقة جده عبدالله المحجوب واخيرا انضم الى مدرسة أحمد بن ادريس الفاسي بمكة ولا يعرف تاريخ انضمامه على درجة التحديد واستمرت العلاقة

بينهما الى وفاة أحمد بن ادريس في عام ١٨٣٧ م [٣] • واشتهر أحمد بن ادريس بالدعوة الى التجديد والتبشير وكان يرسل تلامذته الى خارج بلاد الحجاز القيام بهذا العمل • أرسل محمد عثمان الميرغني الى بلاد الحبشه ومحمد بن علي السنوسي الى بلاد اليمن وصحب معه محمد عثمان الميرغني في سياحة الى الريف المصري وفي عام ١٨١٧م امر محمد عثمان الميرغني بالتوجه الى السودان فقام بسياحة الى بلاد السودان عن طريق وادي حلفا الى دنقلا ومنها توجه غربا حتى وصل الابيض ومنها الى سنار ثم اتجه شمالا حتى وصل المتمة وشندي فالدامر • ولما كانت حملة اسماعيل باشا قد بلغت ابا حمد ، استبعد محمد عثمان الميرغني زيارة المناطق الشمالية واتجه الى الشرق وسار حتى استقر بالتاكا وانشا بقربها مدينة جديدة سماها السنية [٤] ثم سافر الى سواكن ومنها الى مكة • وفي حوالي عام ١٨٢٧ رحل مع استاذه أحمد بن ادريس الى بلدة العصير باليمن [٥] •

ان زياره محمد عثمان الميرغني الى بلاد السودان ، مهدت الطريق لنشر طريقة الختمية في السودان وخاصة في المناطق الشمالية والشرقية ولم تلق تعاليمه رواجا في وسط السودان وغربه رغم ان ابنه الحسن ولد في مدينة باره من ام سودانية ، من عائلة بادي التي هاجرت من شمال السودان • تلقى الحسن تعليمه بالحجاز واقام مع والده بمدينة سواكن لفترة قصيرة وعهد اليه والده بنشر الطريقة في داخل السودان وقام بزيارات الى كل من بربر والخرطوم وسنار • وخلف والده في زعامة

---

(٣) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية بمجلة الدراسات السودانية (١) ١٩٦٨ ، الصفحات ٣٦-٤٤

(٤) John O. Voll, A History of the Khatmiyyah Tariqah in the Sudan, P. 110.

(٥) op. cit., P. 112.

الطريقة في عام ١٨٥١ حيث توجه السيد محمد عثمان الكبير الى الطائف ومات بها في عام ١٨٥٣ ــ اما الحسن الميرغني فقد اقام بقرية الختمية بكسلا وتوفي بها في عام ١٨٦٩م وخلفه في مشيخة الطريقة محمد عثمان الصغير ويعرف بالاغرب وهو الذي عاصر دعوة المهدية وقاومها .

اما القبائل الموالية لطريقة الختمية فقد تفاوت صراعها منذ المهدية حسب الموقع الجغرافي لكل قبيلة وحسب تواجدها بالقرب من قيادة مشائخ الختمية . وقد ادى تفاوت الاسرة الميرغنية مع الحكومة التركية المصريه التي تعرضهم للنقد الموجه للحكومة نسبة لانهم كانوا يحصلون على امتيازات خاصة مما ادى الى حسد وكراهية زعماء بعض القبائل الاخرى [٦] .

هذا الوضع المميز للختمية واتباعهم خلف نوعا من الجفوة بين الختمية والمجموعات الاخرى وخاصة طريقة المجذوبية في شرق السودان . ان نشوب حركة المهدية بعيدا عن مناطق نفوذ الختمية جعلهم لا يحسون بخطر هذه الحركة الا بعد الانتصارات الاولى للمهدي وانتشار دعوته في مناطق نفوذ الختمية وخاصة شرق السودان ، قام محمد عثمان الميرغني الثاني بمحاولات كبيرة في شرق السودان ما بين عامي ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ لاقناع رجال القبائل بأن محمد أحمد المهدي ليس المهدي المنتظر وان عليهم ان يتعاونوا مع الحكومة لمحاربة دعوته وقام بالدعاية ضد المهدية في مصوع وسنكات وسواكن وكسلا .

هنالك اشخاص آخرون من عائلة الميرغني قاموا بحركة نشطة ضد المهدية . قامت نساء بيت محمد عثمان في شندي بتأليب الجعليين والشايقية ضد المهدية وحتى بعد سقوط مدينة شندي قام عبدالله بن محمد سر الختم بزيارة الى سواكن وجاء محمد سر الختم الثاني من القاهرة الى سواكن في ديسمبر ١٨٨٣ بناء على طلب الخديوي .

(٦) نعوم شقير ، تاريخ وجغرافية السودان ، ص ٩٠٦

اما محمد عثمان الميرغني فانه خاف على نفسه من ان يقبضه الانصار اذا بقي في كسلا فغادرها وهو يشكو من المرض في يناير ١٨٨٤ واستمر السيد بكري في عملية المقاومة في كسلا وهدد بالرحيل الى الحجاز اذا لم يقدم له الحاكم العام في سواكن امدادات لقيادة حركة المقاومة ولم يستجب لطلبه وبالرغم من ذلك بقي في كسلا الى ان جرح جرحا عميقا في احدى المعارك فاخذه اتباعه الى الساحل ورجع الى مكة حيث مات ٠

هذه الحوادث في كسلا نعكس صورة للمشاكل في شرق السودان ٠ كانت هنالك قبائل وقادة كثيرون معارضون لدعوة المهدية ومع ذلك فلم تكن هذه القوات المعارضة كافية لصد قوات المهدية ٠ فالبريطانيون لم يكونوا راغبين في المساعدة والمصريون لم يكونوا قادرين على الامداد بقوات اخرى لمساعدة خلفائهم المخلصين لهم ٠ نتيجة لذلك بدأت القبائل تدريجيا في عملية التحول من مساندة الحكومة الى الحياد او الى مسانده قوات المهدية ٠ اما محمد عثمان الميرغني وبكري وغيرهم من القادة فقد اجبروا على مغادرة مدينة كسلا او الموت بها ٠ وبهذا انهارت المقاومة ٠ استمر نشاط عائلة الميرغني في اثارة المعارضة وكسبها الى جانبهم٠ استمر عثمان تاج السر يدعو ضد المهدية في سواكن ٠ وقد عمل علي الميرغني كوسيط بين قبيلة بني عامر والحكومة ٠ وكتب السيد محمد عثمان الى حاكم طوكر وساعد في تنظيم اجتماع جمع بين شيوخ القبائل وحاكم عام سواكن في عام ١٨٨٧ ٠ وبالرغم من ان القبائل المحلية لم يكن فياستطاعتها اتخاذ عمل جماعي ضد عثمان دقنة فاننا نجد بنهاية عام ١٨٨٩ ان قوات عثمان دقنة قد تضعضعت وقد انتهى تهديد المهدية في شرق السودان باحتلال طوكر في عام ١٨٩١ من قبل قوات الحكومة ٠ وعلى امتداد هذه الفترة التي ضعفت فيها المهدية بالشرق كان لعائلة الميرغني نشاط واسع وكانت القبائل التي لها علاقة وطيدة مع الختمية تعمل بنشاط في محاربة عثمان دقنة ٠

ابطال العمل بالمذاهب وترك الطرق الصوفية

أوضح المهدي بان دعوته رسالة الهية وانه يتلقى الاشارة من الرسول (ص) فاذن ليس في حاجة الى الاقتداء بأئمة المذاهب ومشائخ الطرق الصوفية وفي غير حاجة الى الرجوع الى الكتب غير كتاب الله وسنة رسوله. وقد اضاف الى ذلك منشوراته وراتبه، وبالرغم من ان المصنفات التي تحدثت عن علامات المهدي وافعاله ذكرت بانه يبطل العمل بالمذاهب ويلغي الطرق ، فان اتباع الطرق الصوفية في السودان الذين أيدوا المهدية لم يهن عليهم التخلي عن المذاهب والطرق الصوفية ، مما جعل بعضهم يكتبون اليه مستفسرين عن صحة ابطال الطرق ومن الملاحظ ان المهدي لم يصدر منشورا مباشرا في النهي عن اتباع الطرق والمذاهب وانما كانت ترد الاشارة في الرد على رسائل المستفسرين ويبدو بانه كان يتوقع من الناس ان يعلموا ان مجرد ظهوره يعني انتهاء دور المذاهب والطرق وبالاضافة الى ذلك ان عددا من مشائخ الطرق الصوفية واتباعهم انضموا لحركة المهدية واشعلوا الثورة في مناطقهم فلم يكن من حسن السياسة اثارتهم بمنشور واضح في الغاء الطرق فقد كان العبيد ود بدر وابناؤه محاصرين لمدينة الخرطوم من جهة الشرق وفي منطقة الجزيرة تولى مشائخ الطرق قيادة الثورة وفي دار الشايقية قاد الحركة الشيخ الهدى وهو من مشائخ التجانية ورغم هذا الاسهام فان مشائخ الطرق لم يجدوا الفرصة لتولي مناصب هامة في دولة المهدية .

ومن العوامل النفسية التي جعلت المهدي يتجه الى الغاء الطرق

الصوفية ، صلته بطريقة السمانية ومما شاهده عند بعض السمانية من عدم الالتزام بالشرع الصحيح في بعض التصرفات وربما يفسر لنا ذلك الاحداث التي أدت الى شجاره مع محمد شريف ، فقد ذكر بعض الرواة ان المهدي انكر على شيخه السماح بعمل الرقص والمباهاة في مناسبة ختان انجاله وروى بعضهم انه انكر عليه مقابلة النساء في مجلسه ويبدو ان المهدي اقتنع بان الطرق الصوفية ليست التنظيم الديني الصحيح فبدأ يعمل بطريقته في الوعظ وارشاد الناس في السياحات التي كان يقوم بها ثم ادرك مرة ثانية بان الوعظ لا يجدي ولا بد من ازالة المنكر باليد . وبالاضافة الى ذلك كانت الطرق الصوفية مرتبطة بجهاز الحكومة التي كانت تقدم الهبات والهدايا للمشائخ وروى ان المهدي كان لا يقتات بالطعام الذي كان يقدم له في خلاوى الغبش نسبة لان الذرة من هبات الحكومة .

والعامل النفسي الآخر هو ان المهدي لم يلق تأييدا من مشائخ الطرق عندما كانت دعوة المهدية في مراحلها السرية والى هؤلاء يشير المهدي بقوله « ثم اني نبهت على بعض المشائخ وما ادركت من الامراء فلم يساعدني على ذلك احد حتى استعنت بالله وحده على اقامة الدين والسنن ووافقني على ذلك جمع من الفقراء الاتقياء الذين لا يعبأ بهم ولا يبالون بما لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهي ولا زال بحمد الله يزدادون وتحصل البيعة على ما ذكر حتى هجمت على الخلافة الكبرى من الله ورسوله واعلمني النبي صلى الله عليه وسلم باني المهدي المنتظر ... » (٧) .

ان احجام المشائخ عن المهدية في اطوارها الاولى ، جعل المهدي يبتعد عنهم روحيا كما ان توغله في الغرب مهاجرا باعد بينه وبين مناطق

---

(٧) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهدية ، ص ٢٤

اهل الطرق جسمانيا وبذلك فقد اهل الطرق فضل المرتبة الاولى في المهدية فلم يكونوا من بين انصار ابا ولا قدير وانما جاء دورهم بعد الانتصارات الحربية وعندما بدا لهم عجز الحكومة في القضاء على المهدي وبعد وفاة المهدي زاد شكهم في المهدية ولم يكن في مقدورهم الخروج عن سلطة الخليفه عبدالله . فظلوا مهدويين تقية وعاد الكثير منهم الى طرقهم السابقة ومن الطريف ان المدير ابراهيم ، كاتم سر الخليفة عبدالله — عاد الى ممارسة تعاليم طريقة التجانية بعد سقوط دولة المهدية .

لقد لقي مشائخ الطرق احتراما كبيرا من سلاطين الفونج ، وفي عهد الادارة التركية المصرية هبطت اسهمهم قليلا اذ ان الحكام كانوا يهتمون بطبقة العلماء ومنهم يعين القضاة والكتاب كما كانت الاعانات الكبيرة تقدم للمشائخ الذين يقومون بتعليم الصبيان ، وكان المشائخ يدبجون العرائض مطالبين بالاعانات لمجرد انهم مشائخ وسخط بعضهم على الادارة التركية المصرية لانها اهملتهم اما المهدية فقد قضت على هيبتهم ولحسن حظهم كانت فترة حكم المهدية قصيرة ولم تتمكن من القضاء على جذور الطائفية بصفة قاضية . ان العداء بين المهدية والطائفية ، جعل رجال الطرق يعملون في الخفاء لهدم حركة المهدية من الداخل اذ ان صلتهم باتباعهم لم تنقطع كما ان السلطات الحاكمة في مصر اعتمدت عليهم في تهيئة جمهور السودانيين لنقل سلطة الحكم الثنائي .

وكما سبقت الاشارة فان المهدي لم يصدر منشورا خاصا بالغاء والطرق وانما ترد بعض النصوص الدالة على ذلك في بعض خطاباته . يقول المهدي في خطابه الى جماعة المنة اسماعيل بانه يأخذ عليهم احتجاجهم بما في الكتب القديمة مع انها منسوخة ويقول في خطاب الى اهالي فاسي بانه يشترط العمل بالكتاب والسنة فقط وترك المذاهب وآراء الشيوخ وقد اكد في خطاب الى أحمد حمدان العركي ترك الكتب القديمة

والتصانيف . ولعل اصرح نص في عدم اتباع الطرق بعد ظهور المهدي ورد في خطاب من الخليفة عبدالله بن محمـــد خليفة الصديق وامـــير جيش المهدية الى كافة الاحباب وكما يقول الدكتور ابو سليم ان هذا الخطاب ورد في مصدر واحد بدون تاريخ ويرجح تاريـــخ صدوره في « اواسط ١٣٠١ هـ / اوائل ١٨٨٤ م » وفي هذه الحالة جاء رد الخليفه بصفتـــه خليفة الصديق وامير جيش المهديه ويرد نيابة عن المهدي ونورد فيما يلي بعض الفقرات الهامة التي توضح موقفالمهدية من احدى الطرقالصوفية:

« ... فالذي نعرفكم ايها الاحباب قد علمنا من جوابكم الى حضرة السيد الامام عليه السلام بان الاخوان الذين معكم امروكم بترك الطريقة التجانية وأخبروكم بأن الامـــام نفسه آمركم بذلك فما أصغينم لقولهم وتوقفتم عن تركها وذكرتم انكم تترددوا في مقالتهم ورغبتهم رد الافـــادة اليكم في خصوص ما سمعتوه منهم هل هو صحيح ام لا لآخر ما توضح بجوابكم لهم ... » ويرد على تساؤلهم بقوله « ... ولو معنتم نظركم في اول وهلـــة لعلمنم انه ما كان ينبغي لكم ذلك . لان الامر واضـــح كالشمس !! ان الامام المهدي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلـــم وخاتم الاولياء على الاطلاق عند اهل الظاهر والباطن ومعلوم عندكـــم وعند جميع اهل البصائر انه على نور من الله وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعود انه يرفع المذاهب ويطهر الارض مـــن الخلاف ويعمل بالسنة حتى لا يبقى الا الدين الخالص بحيث لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود لاقره على جميع افعاله لانه صلى الله عليه وسلم قال في حقه : من يقفو أثري لا يخطأ .« لا يخطىء » .

ويختتم رده بالفقرة التالية :

« ... فيا اخوتنا نبهوا « تنبهوا » وافتحوا عيون قلوبكم وتوقفوا عن جميع الطرق ونبهوا اخوانكم بذلك وتوسلوا جميعا بهـــذا الامـــام

المهدي عليه السلام فقط واعملوا بالسنة النبوية وعضوا عليها بالنواجذ وهي طريقة لا غيرها ... » [٨] .

ولم يرد لفظ اسم طريقة صوفية في السودان الا في هذا الخطاب . ويلاحظ ان المهدي لم يهاجم الطرق الصوفية ومشائخها على النحو الذي هاجم به العلماء ، كما يلاحظ ان مشائخ الطرق الصوفية لم يكتبوا رسائل في تكذيب دعوة المهدية ، ولم يصدر منهم شيء مكتوب في مهاجمة المهدية سوى قصيدة محمد شريف ، التي نظمها بايعاز من عبد القادر باشا حلمي ولم ينتقم المهدي من استاذه وانما تلقاه عندما جاءه بالاحترام وظل محمد شريف على قيد الحياة طيلة فترة المهدية واستأنف رئاسة مشيخة السمانية بعد الفتح . وباستثناء طريقة الختمية لم تقم اي طريقة صوفية في السودان بمقاومة حركة المهدية حربيا وانما كانت المقاومة ذات صيغة سلبية وظل بعض اتباع الطرق الصوفية يمارسون عباداتهم وقراءة اوراد مشائخهم سرا ويلاحظ بأن زعماء ومشائخ الطرق الصوفية من الذين آزروا حركة المهدية لم يجدوا اماكن قيادية في الحركة رغم اخلاصهم لها امثال محمد الطيب البصير وابناء العبيد بدر والسيد المكي الذي رغم انه كان يحظى بمكانة سامية عند الخليفة عبدالله الا انه لم تسند له احدى الوظائف الهامة بدولة المهدية .

وثمة ملاحظة أخرى وهي ان جماهير الطرق الصوفية التي ناصرت دعوة المهدية وخاصة في مناطق الجزيرة ، لم تجد وضعا مريحا في دولة المهدية فلقد تعرض هؤلاء لدفع الزكاة والهجرة الجماعية الجبرية ولم تكن لهم قيادة قوية ينضمون تحت لوائها مثل قيادة الراية الزرقاء التي كانت تشرف على مصالح ابناء البقارة بصفة خاصة وابناء العرب بصفة

---

(٨) الدكتور ابو سليم ، منشورات المهدية ، ص ٤٨ .

عامة . وقد ظل مشائخ الطرق الصوفية وانباعهم يشايعون المهدية تقية وما ان زالت دولة المهدية عادوا الى طرقهم السابقة ولم يلتزموا ببيعة المهدية وقد اهتمت سلطات الحكم الثنائي بامر الطرق الصوفية وقدمت لزعمائها المساعدات واعطتهم وضعا مميزا وفي نفس الوقت كانت تسعى لعدم تقوية الطرق الصوفية حتى لا يظهر من بينها مهدي آخر ولذلك كانت الادارة البريطانية في السودان تسعى الى تشجيع العلماء السنيين بسيادة التعليم الديني على تطرف المتصوفة . وسمحت للطرق الصوفية بممارسة نشاطها الديني ما عدا انصار المهدي فقد منعوا من التجمع وحرم عليهم قراءة الراتب وحددت اقامة عدد كبير منهم .

وبعبارة اخرى ظلت جماهير الطرق الصوفية محتفظة بولائها لمشائخ الطريقة ، بحيث انها عادت الى ممارسة نشاطها بعد زوال المهديه ، اي ان المهدية كعقيدة دينية لم تقض على الطرق الصوفية ، وان عدم اعتراف المهدي بالطرق الصوفية والغائها يعني بان الفرق الصوفية فقدت كينونتها في ايام المهدية كما ان زعماء الطرق الصوفية اصبحوا اشخاصا عاديين ولم يسمح لاي منهم بتولي منصب كبير في المهدية بحيث يصبح اتباعه في الطريق سندا له في حركة المهدية . ومن الملاحظ ان الاشخاص البارزين في حركة المهدية ، من اهل الطرق الصوفية ، ماتوا في معارك المهدية الاولى وخاصة في الجزيرة ، مات ابناء المكاشفي والشريف أحمد طاه ومحمد زين وود الصليحابي وود برجوب وعبدالباسط الجسري وفضل الله ود كريف والحاج أحمد عبد القفار ولم يستطع ابناء الطرق الصوفية تكوين طبقة او حزب يتكلم باسسهم . وعندما اخذ المهدي بنظام الخلافة في دولته لم يجعل احدا من رجال الطرق الصوفية خليفة وانما حصر الخلافة في ثلاثة من ابكار المهدية وجعلهم قادة لجيوش المهدية حسب التقسيم الاقليمي ، ومن الطريف ان خلافة عثمان عرضت على

زعيم طايفة صوفية خارج السودان ، وحرم منها فقيه سوداني ومن طريقة السمانية ، التي كان ينسي اليها المهدي قبل اعلان دعوته . والفقه السوداني هو المنة اسماعيل ، من زعماء قبيلة الجوامعة وله مكانته الدينية في تالك المنطقة بالاضافة الى الجهد الذي بذله في شن الثورة المهدية في كردفان . وقد احدث نظام الخلافة حركات مقاومة لدعوة المهدية .

وخلاصه القول ان دعوة المهدية رغم انها خرجت من صلب طريقة صوفية ، فانها لم نجد التأييد من كبار مشائخ تلك الطريقة من الناحية العقائديه واوضح المهدي صراحة في منشوراته بانه لم يلق قبولا من المشائخ عندما أسر لهم بدعوته ويبدو بانهم استهانوا بأمر الدعوة وظنوا ان الحكومة بما لديها من جند واسلحة ستقضي عليها وعندما اشتد ساعد الحركة وهزمت قوات الحكومة في أكثر من موقعة انضم بعض المشائخ الحركة واسهموا فيها ولسبب موقفهم المتأرجح من الدعوة لم يستطع اي من مشايخهم ايجاد مكانة قيادية في الحركة أو الوقوف ضدها ومن الناحية العقائديه ، ان المهدي يلغي الطرق ويرفع المذاهب والمهدية كحركة ثورية لا تقبل الانقسام بين صفوفها كما انها تعترض ان يكون الولاء لها وحدها . وقبول دعوة المهدية يعني التخلص من تعاليم وآداب الطرق السابقة وهذا لم يفعله مشايخ الطرق واتباعهم انتموا للدعوة خشية وتقية ثم ما لبثوا ان عادوا الى طرقهم الصوفية السابقة بعد زوال سلطة المهدية .

الباب الثالث

المعارضة من الداخل

الفصل السابع

الخلافة ومشاكلها
حركة عصيان المنه اسماعيل
ابراهيم أحمد مدعي خلافة عثمان
حركة ابي جميزة
ادعياء نبوءة عيسى

شعر المهدي بخطورة التنافس بين كبار اصحابه والذي أصبح يزداد خطوره كلما كبرت الحركة ، فلجأ الى المجتمع الاسلامي يستلهم منـه الحل الانضاء على هذا التنافس • وقاده تفكيره الى التفريق بين اصحابه، واعطائهم مراتب تحدد مكانة كل منهم في الحركة وليضع حدا للتنافس والتناحر حول الرئاسه • ومن الملاحظ ان الرسول لم يعين خلفاءه وانما تمت المبايعة لكل خليفة وفقا للظروف اثر وفاة كل خليفة وتعيين خلفه ، وقد كان لكل منهم منزلة رفيعة بين صحابة رسول الله ومن الملاحـظ ايضا ان المهدي اعلن نفسه خليفة لرسول الله ، بأمر منه ، وهو في هذه الحالة في منزلة موازيه لخلافة ابي بكر الصديق ولكن المهدي ذكر بان الرسول عين الخليفة عبدالله في كرسي خلافة الصديق وهـذا يعني ان خلافة المهدي للرسول تأخذ خطا آخرا موازيا لخلافة الخلفاء الراشدين، دون التدخل في التسلسل المرتبي أو الزمني • ومن الجلي الـواضح ان المهدي لم يقصد بالخلافة التتابع الزمني أي ان يتولى اصحابه الامر من بعده على نسق ما تم في عهد الخلفاء الراشدين (١) • ودليلنا على ذلـك ان التطور المسبق لرسالة المهدية ليس فيه أي تنبؤ لدور الخلفاء القيادي بعد وفاة المهدي وانما تروى القصة على أساس ان الدجال يظهر بعـد المهدي ثم تأتي مرحلة ظهور نبي الله عيسى ويمكننا ان نضيف الى ذلك

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مفهوم الخلافة وولاية العهـد في المهدية ، ص ٧

ان المهدي في تلك المرحلة المبكرة من دعوتـه وهو في قمة انتصاراته لا يمكن ان يفكر في نهاية عهده ويخطط للخلفاء الذين سيأتون من بعـده . ويلاحظ ايضا ان المهدي ، لم يشر ، في منشوراته ومجالسه ، الى ظهور الدجال وعيسى وخروج دابة الارض وغير ذلك من علامات الساعة .

ظهر نظام الخلافة في حركة المهدية نتيجة لنموها وتطورها ، ووفـق الظروف التي كانت محيطة بها في تلك الفترة التي اعلن فيها المهـدي مراتب الخلفاء . وقبل ذلك كان المهدي يشير الى كبار اصحابه الوزراء والاعوان والنواب . وفي رسالة الى محمد الطيب البصير يقول المهـدي « ... وحيث انك النايب عنا وكنفسنا في جميع الامور لازم تشجـع الاهل الى الهجرة الينا . وجميع من يصلنا فليبايعك ، وقد جعلت مبايعتك مبايعتي ، وانت الامين على حقوق الله تعالى ... » [٢] .

ويقول الدكتور ابو سليم ، ان وظيفة نائب المهدي هذه ، هي اقدم وظيفة في المهدية والغرض منها الانابة في المبايعة والتهجير والنظر فـي شئون الخلق في الاقاليم وقد الغي الاصطلاح واستبدل بالامير ثم العامل ومنذ فتوح الابيض ، صار هذا اللقب أي النائب ـ خاصا بالخليفـة عبدالله اذ كان يتولى كافة الامور المدنية والعسكرية والسياسية بصفته نائب المهدي وكان للمهدي نواب آخرون هم نواب حكام المهديـة أي القضاة [٣] .

وجاء في منشور المهدي الذي وجهه الى محمد المهدي ابـن الولي

---

(٢) رسالة من المهدي الى محمد الطيب البصير بتاريخ غرة شعبان ١٢٩٨هـ الموافق ٥ ـ ٣٠ يونيو ١٨٨١ م ـ انظر الدكتور ابو سليم ، منشورات المهدية ص ١٢ـ١٨

(٣) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد فـي المهدية ، ص ٢ .

السنوسي لفظ « الوزراء » وتدرجه الى الخلفاء حسب ما جاء في المنشور على النحو التالي . « ... وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لا زلنا ننتظرك حتى اعلمنا النبي الخضر عليه السلام باحوالكم وما انتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من اصحابي فجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق واحدهم على كرسي عمر واوقف كرسي عثمان وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتيكم بقرب او طول واجلس احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم اجمعين ... » [٤] .

وخلافة الصديق اعطيت للخليفة عبدالله وخلافة الفاروق اعطيت لعلي بن محمد حلو وخلافة الكرار اعطيت للخليفة محمد شريف ، والغرض السياسي من توزيع الخلافة على هذا النحو واضح فلقد اراد المهدي ارضاء قطاعات المجتمع السوداني المنضوية في حركته فجعل لاهل كل اقليم خليفة خاصا بهم كما عين لكل خليفة راية مميزة بلون معين فهذا التقسيم الذي قصد به القضاء على التنافس بتحديد مرتبة كل خليفة ساعد بطريقة غير مباشرة على خلق تكتلات اقليمية طغت الكتلة القوية على الكتل الاخرى واستبدت بالامر .

ويرى الدكتور ابو سليم ، ان فكرة الامامة والخلافة ، ليست مجرد ضرب من ضروب الحكم وانما هي اصل من اصول الدين وركن من اركان العقيدة الاساسية مثلها مثل البيعة والهجرة [٥] . وانه لمن الصعوبة بمكان التفريق بين الخلافة كركن من اركان العقيدة وكأداة من أدوات

(٤) رسالة من المهدى الى محمد المهدي بن السنوسي بتاريخ ٥ رجب ١٣٠٠ هـ .

(٥) الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم ، منشورات المهدية ، المقدمة ، ص : ز .

الحكم وبعبارة اخرى انه لا بد للخلافة ــ أي كان كنهها ــ ان تصطدم بالواقع المعاش ويصبح التنافس حولها معولا من معاول الهدم لحركه المهدية ولا سيما ان خلافة المهدية تعددت كراسيها وواحد من هذه الكراسي ظل شاغرا مما جعله هدفا لحركات المقاومة والعصيان لسلطة المهدية .

ومهما يكن من آمر فان نظام الخلافة ، اصبح من الدعامات الرئيسية في دعوه المهدية والتي تآتي بسببها معارضة حكم الخليفة عبدالله . فما هي الاسباب التي دفعت المهدي لايجاد هذا النظام؟ ان المهدي عادة لا يفسر أعماله بالوضع المباشر وانما يسندها الى حضرة نبوية ، وربما أراد المهدي أن ينظم مكانة ومسؤوليات أعوانه بالنسبة اليه حتى يضع حدا للمنافسات والطموح بين كبار أعوانه وجاء نظام تقسيم الخلافة متمشيا مع نظام الرايات .

ويأتي نظام الخلافة طبيعيا مع تطورات حركة المهدية ، فقبل واقعة ابا . كان الانصار يحملون رايات الصوفية المختلفة دون تمييز فلما أحس المهدي بدنو المعركة مع جيش أبي السعود أمر باحضار الرايات الخمسة وكان مكتوبا عليها كلها عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وكان على احداها الشيخ الجيلاني ولي الله وهي الراية الخضراء وعلى الثانية الشيخ أحمد الرفاعي ولي الله وهي الراية السوداء ، وعلى الراية الثالثة الشيخ الدسوقي ، ، والرابعة أحمد البدوي ولي الله وهي الراية الحمراء والخامسة لم يكن عليها شيء سوى الشهادة وهي الراية البيضاء . وأضاف المهدي الى كل منها في أعلاها عبارة « يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام » وفي أسفلها « محمد المهدي خليفة رسول الله » ورايات الاقطاب الاربعة معروفة . أما الراية الخامسة فالغالب انها كانت راية المهدي باعتباره قطبا من الاقطاب[٦] .

---

(٦) الدكتور ابراهيم حسن شحاته ، الادارة المهدية بالسودان ، ص ٦١

وبعد نجاح حركة المهدية في المواقع الحربية الاولى ، قرر المهدي ان عامة أصحابه في درجة عبد القادر الجيلاني ،ولعل ذلك كان تمهيداً لالغاء الطرق الصوفية وإبطال العمل بالمذاهب الاربعه . واذا كان عامه الانصار في مرتبة الجيلاني فليس هناك حرج في أن يكون خلفاء المهدي في مرتبه أعلى من الاقطاب الاربعة وأقرب مرتبة لهم هي مرتبة خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اختلف المؤرخون في تفسير معنى الخلافة التي كان يقصدها المهدي . هل كان يقصد بها التتابع الزمني لاعتلاء خلفائه امامة المهدية من بعده أم كان يقصد بها مراتب دينية للتمييز بين أصحابه ومكانتهم منه؟[٧] ويرى بعض المؤرخين ان الخلافة أمر مرتبي ديني وموضوعه على نمط مراتب المتصوفه ، فالمهدي يضع أتباعه في مراتب متفاوتة . أما هو نفسه فهو خليفة الرسول وأصحابه الاربعة الكبار هم خلفاء الخلفاء الراشدين [٨] .

وفكرة التتابع الزمني لم يظهر مدلولها الا بعد وفاة المهدي والتي لم تكن متوقعة قبل استكمال الفتوحات . ولذلك نجد ان المنافسات حول الخلافة في ايام المهدي لم يكن الغرض منها التمهيد والعمل على ولاية الامر بعده بقدر ما كان الغرض منها الحصول على مرتبة مميزة مع حركة المهدية وخاصة ان كرسي خلافة عثمان قد عرض لشخص لم يسهم في حركة المهدية ، فضلا عن انه لم يصل الى شيء يدل على ايمانه بالدعوة أو حتى العطف عليها .

وبالرغم من ان الخليفة عبدالله قد حظي بمرتبة خلافة الصدّيق ،

---

(٧) Holt, P. M. The Mahdist in the Sudan, P. 103.

(٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدية ، ص ٤ .

فان دلك لم يحمه من النقد والتشكك في الاجراءات التي كان ينخذها لادارة حركة المهدية . وبدأت المنافسات والصراعات الداخلية تندلع بعد تسليم حامية الابيض في ١٠ ربيع أول ١٣٠٠ هـ / ١٩ يناير ١٨٨٣ م اذ أجرى المهدي بعض التعديلات في جهاز نظامه وقد ركز كثيرا من السلطات في يد الخليفة عبدالله ، الامر الذي آثار حفيظه اتباع كثيرين ، وخلق خلافات كبيرة ، وقد تعمقت العداوة بين الخليفة عبدالله والاشراف اثر السلطات التي أعطيت له [٩] . هذه المنافسات دفعت المهدي الى اصدار منشور خاص بتاريخ ٧ ربيع أول ١٣٠٠ هـ / ١٦ يناير ١٨٨٣ م في فضل الخليفة عبدالله ومكانته في المهدية وان أفعاله بأمر من الله ورسوله أو باذن من المهدي وانه لا يعمل باجتهاد منه ، وانه خليفة الخلفاء وأمير جيش المهدية وانه خليفة المهدي في الدين بأمر من الرسول (ص) وانه مؤزر في الباطن بالخضر عليه السلام . وحذر المهدي اتباعه من التكلم في حقه لان ذلك يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان كما أخبر بأن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب ، لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب [١٠] .

لم يكن في مقدور الخليفة عبدالله تصفية المنافسين له من الاشراف في حياة المهدي فاستعمل الحكمة والعقل في كسب ثقة المهدي ، على خلاف الاشراف الذين تضايق منهم المهدي وشعر بالحرج لتكالبهم على الدنيا ولم يتورع من اداناتهم علنا في المسجد . وسنعالج موضوع الصراع بين الاشراف والخليفة عبدالله في فصل لاحق .

أما كرسي خلافة عثمان الشاغر ، فقد تطلع بعض أصحاب المهدي

---

(٩) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكرية في المهدية ، ص ٢٤

(١٠) منشور من المهدي الى كافة احبابه بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م .

الى الوصول اليه ، ومن أول المدعين لخلافةعشان شخص يدعىفخرالدين حسن المعلاوي الذي كتب اليه المهدي رسالتين عن موضوع ادعائه للخلافة . وجاء في احدى هذه الرسائل « ان أمر الخلافة من اللهورسوله ... ان الله جعل كل أحد خليفة في ابائه وكل قرن خليفة عن القرن السابق . أما الحضرة النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبدالله فهو ان عبدالله دال لجميع الخلق الى الله وهو خليفتنا على ذلك وأنتخليفة على أهالك وذريتك ... » (١١) .

وليس المهدي بالسذاجة التي يوزع بها أعباء دولته على كل من يدعي حضرة نبوية . ويلاحظ انه اشترط صحة الحضرة . وتمكنالخليفة عبدالله من القاء القبض على فخر الدين المذكور وبعضا من أتباعه (١٢).

أما حركات المطالبة بكرسي خلافة عثمان أو المطالبة بموقف متميز في المهدية ، فقد ظهرت ثلاث مرات : الاولى في أيام المهدي ، والثانية والثالثة في أيام الخليفة عبدالله . كانت الحركة الاولى بقيادة الفكي المنه اسماعيل ، زعيم الجوامعه ، وكاد أن يقود الى انقسام كبير في حركة المهدية لولا ان المهدي عالج الموقف بنوع من الحزم . وأما الحركة الثانية فكانت بأسباب دفع الزكاة ، تزعمها شخص يدعى ابراهيم أحمد وجمع حوله عربان رفاعة الهوى وقمعت حركته في مهدها (١٣) . أما الحركة الثالثة فهي الحركة التي كادت تعصف بهيبة حركة المهدية في غرب السودان ، لولا أن توفي قائدها بمرض الجدري قبل أن يصل الفاشر ، وسنحلل فيما يلي أسباب قيام كل حركة ونتائجها بالنسبة لظهور فكرة دعوة المهدية .

---

(١١) رسالة من المهدي الى فخر الدين حسن بتاريخ ٤ شوال ١٣٠١ هـ / ٢٨ يوليو ١٨٨٤ م .

(١٢) مهدية ١/١٠ م ١ ص ٣٩ ، رسالة بتاريخ شوال ١٣٠١ هـ.

(١٣) مهدية ١٢/٢ م ٢ ، ص ٧ رسالة من أحمد الصوفي الى الخليفة عبدالله بتاريخ ٧ ربيع آخر ١٣٠٧

Boltan, A.R.C. SNR, Vol. 17 (1934) P. 237.

حركة عصيان المنه اسماعيل

ينتمي المنه اسماعيل الى عائلة فقهاء من قبيلة الجسع ، وفد هاجرت القبيلة الى دار الجوامعة في حوالى منتصف القرن الثالث عشر وكان المنه ينتمي الى طريقة السمانية واكتسب شهرة عظيمة (١٤) . ويقال ان المهدي قابله قبل اعلان المهدية في قريته (ياسين) في عام ١٨٨٠ وأخذ معه العهود والمواثيق لنصرته عند اعلان دعوة المهدية . وتتضح صلة المهدي بالمنه اسماعيل قبل اعلان المهدية من رسالة وجهها المهدي الى الشيخ سليمان، بتاريخ ١٤ رجب ١٢٩٧ هـ / ٢٣ يونيو ١٨٨٠ م ويشير فيها المهدي الى وعد سليمان بالاجتماع معه في نصف شوال ويطلب منه أن يلحق به في جديد في نفس الميعاد أو أن يسبقه الى أبي دوم وأن يكاتب موسى الاحمر والشيخ المنه وغيره ويفيده بحضور محمد الطيب البصير ومعه عدد من مشائخ وعمد الحلاوين ودخولهم في العهد المعلوم (١٥) .

ومن هذه الرسالة يتضح بأن المنه اسماعيل كان له ضلع أو على الاقل كان لديه علم بدعوة المهدية ، وهي في مراحلها السرية ، وانه كان مناصرا للدعوه ودخل في حلف مع المهدي ولكن يلاحظ انه لم يتوجه الى قدير لمبابعة المهدي واكتفى باعلان الثورة في شمال كردفان ونسبة

---

(١٤) رسالة من محمد أحمد بن عبدالله (المهدي) الى الشيخ سليمان بتاريخ ١٤ رجب ١٣٩٧ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٠ م .

(١٥) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 43.

لمكانته الدينيه ونفوذه في تلك المنطقة . وقد استطاع أن يجمع حوله قوة قدر عددها بعشرين ألف رجل وزحف بهم نحو حامية النيارة وتمكن من الاسيلاء عليها عنوة في ٢١ رمضان ١٢٩٩ ﻫ / ٦ أغسطس ١٨٨٢ م ونقل الى المهدي أخبار انتصاراته كما قام بقطع خط التلغراف وطريق البوستة الحكومية بين الابيض والخرطوم (١٦) .

وكانت بعض القبائل قد أشعلت الثورة في هذه المنطقة تحت قيادة عبدالله النور ، وكانت هذه القبائل تتكون من قبائل حمر ورئيسها المكي ود ابراهيم وقبيلة البديرية تحت قيادة عبد الصمد أبو صفية وقبيلة الحوازمة بقيادة نواي . ويقال ان المهدي عندما وصل الى جبل الكواليب اتاه رسول من عامله عبدالله يستحثه على الجد في السير للوصول الى كردفان (١٧) .

والعلاقة بين عمالة عبدالله النور والمنه اسماعيل يكتنفها الغموض، فقد كان كل منهم يحارب بمفرده وتجمع الاثنان مع المهدي في حصار الابيض . قابله عبدالله ود النور عند البركة ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل ، وعندما وصل المهدي الى كابا ، كان قد كتب للمنه اسماعيل ليوافيه اليها من التيارة ، فمكث في كابا في انتظاره وأرسل قوات استكشافية للابيض (١٨) . ويذكر شقير بأن المنه اسماعيل وصل الابيض بعد وصول المهدي وأمره بالنزول في خور طقت تجاه الزاوية الشمالية

---

(١٦) العوض عبد الهادي العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهدية ، ص ٣٣

(١٧) المخابرات المصرية ١/٢٣/١٠ ، بتاريخ ٢٦ رمضان ١٢٩٩ ﻫ / ١١ اغسطس ١٨٨٢ م. وانظر عوض عبد الهادي العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهدية ، ص ٣٣

(١٨) العوض عبد الهادى العطا ، تاريخ كردفان السياسي في المهدية ، ص ٣٤

الشرقية من الاستحكام . واذا صحت هذه الرواية فان القول بأن المنه اسماعيل كان يريد اسقاط الابيض قبل وصول المهدي بعيد عن الحقيقة. ويذكر شقير بأن المهدي نظم الهجوم على النحو التالي : المنه اسماعيل الذي نزل في خور طقت والقاضي أحمد ود جبارة من الزاوية الشمالية الشرقية وفرسان البقارة من الزاوية الشمالية الغربية وهو أي المهدي مع خلفائه ومعظم جيوشه من الزاوية الجنوبية الشرقية (١٩) .

ومن هذا يتضح ان المنه اسماعيل كان يقود جيشا كبيرا ، بدليل انه كان مسؤولا عن جبهة كاملة في الهجوم على الابيض وكان يتوقع ان ينال مكافأة عظيمة عند المهدي . ويقال بأنه كان موعودا بخلافة عثمان الا انها انتقلت الى السنوسي لاكتساب قطاعات أخرى للمهدية فلم يكن المنه اسماعيل ليقبل وضعا هامشيا في الحركه وقد أسهم فيها بسيفه على خلاف ابن السنوسي الذي لم يحضر لمقابلة المهدي كما انه لم يرد على رسائله . ويبدو ان المنه لم يكن راضيا عن المكانة الاولى التي كان يتمتع بها الخليفة عبدالله ولم يكن يستجيب لاوامره كما ان أتباع المنه لم يكونوا خاضعين للسلطة وكانوا يتصرفون في حرية تامة . وقد كتب المهدي الى المنه اسماعيل خطابا قبل ٢٥ جماد أول ١٣٠٠ هـ / ٣ ابريل ١٨٨٣ م أي قبل عزل المنه من الامارة يخبره بأنه يتلقى في كل يوم وليلة وباستمرار خطابات يتضرر أصحابها من جماعته (أي جماعة المنه) وشاع انهم ينهبون ويسلبون ويقتلون ، ويحمّله مسؤولية هذه الاعمال بصفته راعيا لهم وينذره من مخالفة أمر إمام القرن (٢٠) .

وقصة عصيان المنه كما يرويها مؤلف كتاب « جهاد في سبيل الله »

---

(١٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٩٣

(٢٠) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٤٧ ، رسالة من المهدي الى المنه اسماعيل بتاريخ قبل ٢٥ جماد أول ١٣٠٠ هـ قبل ٣ ابريل ١٨٨٣ م.

هي ان جنود المنه نهبوا أغلب أموال الابيض واغتروا بما وقع في ايديهم من مال ، وسار الفكي المنه بجيشه الى قرية ياسين بدار الجوامعة بدون اذن من المهدي أو خليفته [٢١] • ولا شك ان أخذ الاموال ليس سببا كافيا في أن يجعل المنه يهجر المهدية ويتوجه الى قريته • ويبدو ان المنه اسماعيل لم يكن راضيا عن المكانة التي وصل اليها الخليفة ، وأنف من الخضوع لرئاسته ورأى انه أحق منه ، أو على الاقل كان يطمع في مرتبة تميزه عن غيره بفضل الجهد الذي بذله في نصرة الدعوة • وكما سبق ان ذكرنا . فقد قام المنه اسماعيل بدور كبير في اشعال الثورة في شمال كردفان ، قضى على حاميتي بارة والتيارة ، وحارب بعيدا عن الجيش الرئيسي ، واجتمع حوله عدد كبير من الناس وحاول ان يجد لنفسه مكانا بارزا في الثورة الا ان المهدي لم يعطه تلك المكانة • ويشير الى ذلك مؤلف كتاب « سعادة المستهدي » بقوله « ان المنه هذا كان بعد فتوح مدينة الابيض وقبل ذلك حصلت منه مخالفات وجرت منه امور مخلة يطول شرحها حتى صار يخالف أوامر المهدي عليه السلام وغير ذلك من أوجه الموبقات التي أفضت به الى الهلاك والدمار » [٢٢] ، وليقم المهدي عليه الحجة أرسل اليه الشيخ عجيب الحمراوي ليرد الغنائم ويرجع عن دعواه في خلافة الصدّيق • اعترض المنه أمر المهدي وعاد الشيخ عجيب ليخبر المهدي بأمر المنه • أرسل المهدي جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومي وعبدالله النور وحمدان ابي عنجة وفرق من الجهادية وراية حاج خالد وراية ولد أبو صفية • وهذا الجيش الكبير يدل على خطورة حركة المنه وحزم المهدي في القضاء عليها في المهد • وعندما رأى الجوامعة هذا

(٢١) علي المهدي ، جهاد في سبيل الله ، تحقيق عبدالله محمد أحمد ، ص ٤٥

(٢٢) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تحقيق الدكتور ابو سليم ، ص ١٩٧-١٩٩

الجيش الكبير تفرقوا عن المنه ودخل عليه رسل المهدي فرفض مقابلتهم بحجة أنه متمكن ومشغول بذكر الله . فدخلوا عليه وأوثقوه كتافا هو وابنه ووالده وأمين بيت ماله وساروا بهم نحو الابيض وفي الطريق تسلموا أمر المهدي بقتلهم ونفذ فيهم حكم الاعدام . ويقال ان الخليفة عبدالله هو الذي أصدر الامر بقتلهم دون استشارة المهدي ، وتهدئه للخواطر قيل ان المهدي قال بأن الفكي المنه طهّره القتل وعفا عنه [٢٣].

ويذكر شقير ان المهدي أصدر أمرا بعد فتح الابيض بقتل اثنين من أعظم أنصاره وهما المنه اسماعيل وعجيل ود الجنقاوي ، من كبار مشائخ الرزيقات ، لمنافسة حصلت بينهما وبين الخليفة عبدالله وكثر الطعن على الخليفة عبدالله وقومه سرا وجهرا، وخوفا من حدوث الفشل أصدر المهدي منشورا في حق الخليفة عبدالله ومكانته في المهدية وأمر الناس بطاعته كنفسه وحذرهم من الطعن فيه سرا أو جهرا [٢٤] .

والشاهد ان اسباب قتل عجيل ود الجنقاوي تختلف عن الاسباب التي أدت الى مقتل المنه اسماعيل . فقد كان عجيل من زعماء الرزيقات وتولى نظارة الرزيقات لفترة في أيام الادارة التركية المصرية بدلا من مادبو علي ، الذي أصبح ناقما على الادارة التركية وانضم الى حركة المهدية في وقت مبكر . أما عجيل فقد كان متعاطفامع الادارة التركية ورغم مبايعته للمهدي فلم يكن الخليفة مطمئنا الى ولائه للمهدية بالاضافة الى نفوذه وسط قبائل الرزيقات وعدم رغبته في الخضوع للخليفةعبدالله الذي لم يكن لاسرته مكانة رفيعة في القبيلة ، أما المنه اسماعيل فقد كانت المنافسة بينه وبين الخليفة عبدالله على الخلافة . فقد كان المنه اسماعيل

---

(٢٣) علي المهدى ، جهاد في سبيل الله ، ص ٤٩
(٢٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٠٨

يرى انه أحق من الخليفة عبدالله لمكانته الدينية وسط قبائل كردفان وللجهد الذي بذله في سبيل نشر دعوة المهدية .

حسم المهدي حركة المنه اسماعيل بحزم وسرعة ولم يتركها تستفحل لتحدث انفساما في الثورة ، خاصة من رجل له مكانة دينية في المنطقة حاول أن يثبت وجوده وتحدى أوامر المهدي وظن ان قربه من المهدي سيشفع له . وبمقتل المنه انحلت قيادة الجوامعة والجمع بالرغم من ان الامارة أسندت الى موسى الاحمر وتفرّق الجوامعة على أربع رايات بقيادة مزمل زروق وعمر خوار النبيخ ورحمة محمد منوفل والشامي هباني .

ان القضاء على حركة المنه أدى الى تجنب الانفسام في الثورة كما ان توجه المهدي الى شيكان لمقابلة جيش هكس غطى على حركة المنه واوقف حركات المنافسين للخليفة عبدالله مؤقتا . وبالاضافة الى ذلك فقد أدى تمرد المنه على الخليفة اعطاءه مزيدا من السلطات وانفرد بالامر وأصبح صاحب الكلمة الاولى في دولة المهدية بعد المهدي وقد أدى ذلك الى ازدياد سخط الاشراف وشيعتهم من أبناء البلد على الخليفة عبدالله وأتباعه .

وفي فترة حكم الخليفة عبدالله ، حدثت بعض الادعاءات لخلافة عثمان وهي في جوهرها عبارة عن تبرير للخروج على حكم الخليفةعبدالله وفي أرض رفاعة الهوى بمنطقة الجزيرة ، قامت حركة ضد عمال الخليفة عبدالله ، ادعى قائدها خلافة عثمان .

ابراهيم احمد مدعي خلافة عثمان

في السنة الاولى لحكم الخليفة عبدالله ، ادعى شخص ، يسمى ابراهيم احمد ، خلافة عثمان ، بجهة التبنة ، في أرض رفاعة الهوى . وعندما علم الخليفة عبدالله بأمر هذا الدعي ، من أحد مندوبيه في تلك الجهة أمره بترك سبيله ولكنه استدرك وأرسل خطابا لمندوبه المذكور وطلب منه أن يحضر المدعي معه الى أم درمان ولا يفرط فيه خوفا من أن يحدث منه افساد للدين (٢٥) .

ومن الطريف ، ان الخليفة عبدالله ، أرسل خطابا للمدعي نورده كاملا لالقاء الضوء على الطريقة التي كان يعالج بها المخالفين له « ... الى حبيبه في الله ابراهيم أحمد ... فعلم الحبيب قد بلغنا ادعاك لخلافة عثمان ، وحيث انك من ضمن المسلمين ونحب لك الخير ولا نرضى لك الا الجميل فينبغي يا حبيبنا بوصول هذا عندك بادر للحضور بطرفنا على وجه الفور ولا يؤخرك غير مسافة الطريق لاجل النظر في هذا الامر وأجري ما يرضي الله تعالى ورسوله وان شاء الله بعد مقابلتنا لا ترى الا الخير هذا والسلام » (٢٦) .

---

(٢٥) مهدية ، دفتر صادر ٩ ص ٢٣٢ ، رسالة من الخليفه عبدالله الى احمد ابو ام مغناني بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ.

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٣٣ رسالة من الخليفة عبدالله الى ابراهيم احمد بتاريخ ١٣ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ.

وتواردت الاخبار على الخليفة بأن ابراهيم أحمد ، مدعي الخلافة بخور الدليب ، صار يعطي البيعة للعربان وتوجه اليه أحمد الصوفي وعلي ابي عفاه لصدّه عن الدعوة فتصدى لحربهما ، واستطاعا قتله مع عـدد من أتباعه . وكانت خسارة الانصار سبعة قتلى وأحد عشر جريحا .وبعد مقتل مدعي الخلافة فان العربان ، التابعين له ، والذين فروا من المعركةلم يسلّموا وانما كانوا يناوشون الانصار ، ووصفهم أحمد الصوفي بقوله « انهم الجميع مخادعين وبايعوه ونضرروا من المهديةوليست حاصلة منهم استقامة ومع مقتل صاحبهم لا زالوا مصممين على محاربة الفقراء»[٢٧] .

ورد عليه الخليفة عبدالله بعدم مطاردة العربان لحين زمن الخريف، « وان الانصار مطلوب حضورهم لام درمان للاستعداد لقتال الكفـرة الذين تحركوا من بلادهم . أما العربان يصرف النظر عنهم لانهم تحت اليد » [٢٨] .

وأمر الخليفة عبدالله علىّا أبا عقله وأحمد الصوفي أن ينصرفا للسهمة التي من أجلها أرسلا الى عربان رفاعة الهوى وهي جمع الزكاة ، وهذا يفسر سر التفاف العربان على مدعي الخلافة ، ليس لامر ديني وانمـا تخلّصاً من دفع الزكاة ، والتي أصبحت بالنسبة لهم مرهقة مثلهـا مثل الضرائب التي كانت تجنيها منهم الحكومة السابقة .

(٢٧) مهدية ٢ مجلد ١٣/٢ ص ٧ ، رسالة من احمد الصوفي الى الخليفة عبدالله بتاريخ ١٧ ربيع آخر ١٣٠٣ هـ.
(٢٨) مهدية ، دفتر صادر ٩ ص ٢٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى علي ابو عاقلة بتاريخ ٢ جماد أول ١٣٠٣ هـ.

حركة ابي جميزة

أصبحت المناداة بملء كرسي خلافة عثمان الشاغر مسوغا دينيا يجمع حوله الثائرون الاتباع لمناهضة حكم الخليفة عبدالله ، بدعوى انهم من اتباع المهدية . ومن أشهر هؤلاء الدعاة ، شخص يسمى محمد الزين واشتهر بكنيته (أبو جميزة) . ونكمن خطورة هذا الرجل في انه ظهر في بلاد تامة ــ من امارات السودان الغربي ــ وكانت فكرة أو عقيدة ظهور «المهدي المنتظر » منتشرة في تلك الجهات ، كما ان هذا الرجل ادعى بأنه مؤيد من محمد المهدي بن السنوسي ، زعيم طائفة السنوسية، ذات الانتشار الواسع في السودان الغربي ، وكما سبقت الاشارة فان المهدي قد عرض عليه كرسي خلافة عثمان . وأعلن ابو جميزة بأن من أهدافه فتح طريق الحج الى مكة الذي أقفل بعد نجاح ثورة المهدية في السودان . ووجد أبو جميزة تأييدا من سلاطين امارات السودان الغربي. وأيده أبو الخيرات من أبناء سلاطين الفور . وكان أهل السودان الغربي حانقين لسد طريق الحج فاجتمعوا على أبي جميزة من كل فج ، من برقو وبرنو ومساليت وتامة وترجم واسنقر وزغاوة وبني هلبة والقرعان والبديات ورنقا . أصبح أبو جميزة في جموع كثيرة فزحف بها على الفاشر وكتب الى الخليفة عبدالله يعلمه بظهوره وانه على الكتاب والسنة وسكة المهدي وانه مبايع للخليفة عبدالله على السمع والطاعة في الامر والنهي [٢٩] .

(٢٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٥٣

قام أبو جميزة بحركته هذه في الوقت الذي كانت فيـه الحالـة مضطربة في اقليم دارفور وذلك بأسباب خروج محمد خالد من الفـاشر وتعيينه ليوسف ابراهيم وكيلا عنه • ان الخليفة عبدالله عندما كان يكرر الاوامر لمحمد خالد بالحضور الى أم درمان كان يطلب منه دائما أن يعين بدلا عنه وكيلا في العمالة ويبدو انه كان يريد أن يشعره بأن طلبه الى أم درمان ليس بصفة مستديمة • ولعل محمد خالد أدرك بأنه لن يعود الى الفاشر مرة أخرى فأراد أن يرد كيـد الخليفة فعيّن يوسف ابراهيم ـ من سلالة سلاطين الفور ـ وكيلا ، وبذلك هيّأ له الطريق للتفكير في استعادة سلطنة الفور • ولم تكن العلاقات حسنة بين يوسف ابراهيم ومادبو علي وكرم الله كركساوي ، فاسغل الخليفه التنافر بينهم فـي التخلص منهم جميعا • ونكتفي في هذا المقام بالاشارة الى الفراغ الذي تركه محمد خالد بخروجه من الفاشر تحت الحاح الخليفةعبدالله،ونضيف الى ذلك ان محمد خالد كان ملتزما بسياسة ودية مع سلاطين السودان الغربي •

وجاءت حركة أبي جميزة لتزيد الموقف اضطرابا ، وكانت أصعب مشكلة تقابل عثمان آدم بعد أن أوكل اليه الخليفة عمالة الغروب التي تشمل كردفان ودارفور ، وقد اعترف عثمان آدم بأن دارفور جميعهـا أصبحت في حالة العصيان ، ويشير الى أبي جميزة بالرجل المدعي الخلافة السنوسية • وتفيد التقارير المرسلة من عثمان آدم الى الخليفة عبدالله بأن أبا جميزة رجل من قبيلة القرعان وكان مقيما مع عربان الماهرية يمارس عملية كتابة الورق للنساء والاطفال ، وعند وصول حركة المهديـة الى ديار الماهرية ، هرب الى دار تامة ، وعندما وصل الانصار الى دار تامـة وقبضوا على سلطانها ابراهيم سليمان ذهب أبو جميزة الى أولاد هـذا

السلطان وادعى بأنه موفد من ولد السنوسي لقتال الانصار [٣٠] .

اهتم الخليفة عبدالله بأمر حركة أبي جميزة ، لحدوثها في المنطقة التي لم يكن الخليفه عبدالله يتوقع فيها خطرا خارجيا ، مثل الجهات الشمالية والشرقية . ويستدل على ذلك من اهتمام الخليفة بالرد على رسائل أبي جميزة والاستعدادات التي اتخذها للقضاء على حركته،ولا شك ان هذه الحركة شغلت الخليفه من التفرغ الى الجهات الاخرى . وجاء في احدى ردود الخليفه على أبي جميزة قوله « ... وأما قولك بأنك خليفة عثمان فهذا أيضا مع تلبسك بما أنت عليه من محاربه الله ورسوله ومهديه ومحاربتنا واثاره الفتنة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، فمحض زور وافتراء على الله وفجور فان من كان متصفا بخلافة عثمان رضي الله عنه على الحقيقة لا يكون بهذه المثابة بل يكون مقتفيا لأثره وسالكا لمنهجه»[٣١].

هذا وكان أبو جميزة ماكرا في ادعائه لخلافه عثمان أراد أن يكسب ود المتمردين على حكم الخليفة عبدالله في دارفور ، وأوضح لهم بأنه لم يكن خارجا على المهديه وانما كان يريد تدعيم المهدية له لمطالبته بكرسي عثمان ولم تنطل هذه الحيلة على الانصار كما ان عثمان آدم أشرف على عمليات محاربة أبي جميزه وأرسل اليه سرايا بقيادة مشاهير القادة في عالم الحروب . وكانت الحرب بينهم سجالا [٣٢] .

وقد أوقع أبو جميزه ، هزيمة نكراء على الانصار ، أثناء تحركه من

(٣٠) مهدية ١/١٢ ، مجلد ٤ ص ٣١ ، رسالة من عثمان آدم الى الخليفه عبدالله بتاريخ ٢٩ محرم ٣٦ محرم ١٣٠٦ هـ وانظر ايضا : موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٧
(٣١) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٥٣–١٠٥٨
(٣٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٧–١٦١

دار تامة في محرم ١٣٠٦ هـ / ديسمبر ١٨٨٨ م • وتقهقر الانصار الى كبكابيه وأمدهم عثمان آدم بفرق جديدة بقيادة محمد بشارة • وقدرت قوه الانصار في كبكابيه بما يربو على السبعة وعشرين ألف مقاتل•وعاد جيش محمد بشاره منهزما فأرسل عثمان آدم جيشا آخر فانهزم كالاول• واضطرب الخليفة لهذه الانباء فأرسل جيشا لتدعيم قوة عثمان آدم • وتقدم أبو جميزة بجيوشه الجرارة قاصدا الفاشر ، ولحسن حظ الخليفة عبدالله .. أصاب أبو جميزة مرض الجدري فمات في الطريق • وخلفه أخوه ساغة في قيادة الجيش ، والذي واصل السير حتى وصل محلا يدعى مجدوب ، على مسيرة أربع ساعات جنوبي الفاشر فبرز عثمان آدم الى لقائه ، في أرض مكشوفة بظاهر الفاشر • وفي يوم الجمعة ٢٢ فبراير ١٨٨٩ م زحف ، عليه ساغة بجيوش كثيفة ، والتقى الجيشان في معركة حامية أسفرت عن هزيمة جيش ساغة وقتله ، فحز عثمان رأسه ورأس وكيل ابن سلطان سلا وأرسلهما الى الخليفه حيث علقتا في سوق ام درمان• أما أبو الخيرات فلقد فر بمن بقي من اتباعه الى المخبأ التقليدي بجبل مرة فبقي فيه الى أن ثار عليه عبيده في أوائل سنة ١٨٩١ م فقتلوه وذهبوا الى الفاشر مسلمين •

وبعد نهاية ساعة خرج عثمان آدم في طريقه الى عاصمته وادي في جيش ينوف على الستة وثلاثين الف رجل أكثرهم مسلحون بالبنادق وسار حتى اتى ام دخن من بلاد المساليت ، وفي هذه المنطقة تفشى في جيشه مرض « ابودم » وفتك بجيشه فتكا ذريعا فاضطر الى الرجوع الى الفاشر وما زال المرض يفتك بالجيش حتى هلك نحو ثلثيه وامتلأت الطرق بالجثث وأصيب عثمان آدم نفسه بالمرض في الطريق فحملوه على عنقريب الى الفاشر ومات بعد وصوله بقليل •

وخلاصة القول أن حركة أبي جميزة ، وادعاءه لخلافة عثمان أدت

الى اضطراب في المنطقة الغربية ، ايدها الفور بقيادة أبو الخيرات ابراهيم وبنو هلبة بزعامة ابراهيم الوالي والزغاوة بمختلف أقسامهم ، وعاد الرزيقات والهبانية الذين شتتت شملهم غزوات البشاري ريدة الى ديارهم وأقاموا فيها . ولعله من الواضح ان صفة الدين عند ابي جميزة وفرت لمقاومة أهل دارفور قيادة تبعها القوم على اختلاف مشاربهم وتباين أغراضهم السياسية .

حقيقة أخرى عن هبة أبي جميزة ، هي ان سلطان المهدية في دارفور كاد ينهار من جراء الضربات التي أنزلتها جيوشه الجرارة بالانصار واضطر عثمان آدم الى سحب عماله من شكا ودارة وكبكابية وكتم،فلم يعد له نفوذ خارج الفاشر نفسها (٣٣) .

استطاع عثمان آدم استرداد مواقعه السياسية والعسكرية ، الا ان الخسارة التي لحقت بجيوش الانصار لسبب الحرب ولسبب الوباء ، الذي لم يسلم منه عثمان آدم نفسه وخسر الخليفة قائدا لم يخيب ظنه في اختياره عاملا على عرب السودان .

ان التأييد الذي لقيه أبو جميزة من جموع قبائل دارفور يعطي فكرة عامة عن أثر الشعوذة والسحر والايمان المطلق بالغيبيات في حياة المسلمين بالسودان الغربي الكبير ، وكانت دارفور متصلة بالسلطنات الاسلامية الممتدة على طول نطاق السافانا ، بين الصحراء الكبرى ومصر في الشمال وبين الغابات الاستوائية في الجنوب . ويلاحظ ان انصار المهدية من قبائل هذه المنطقة والذين ساروا مع رايات جيوش المهدية الى السودان الشرقي أيدوا حركة نبوءة عيسى والتي قام بادعائها رجل من قبيلة البرقو .

(٣٣) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ١٤٩ وما يليها .

ومن الناحية السياسية يلاحظ ان الخليفة عبدالله لم يستفد من تجربة اخلاء دارفور من قيادة قوية ، أدت الى نجاح حركة أبي جميزة ، فلقد تكررت مرة أخرى عندما استدعى الخليفة عبدالله عامله على الغروب محمود ود أحمد والذي خلف عثمان آدم في عمالة الغروب ، استدعاه الخليفة للاشتراك في عملية صد الجيش الفاتح مما سهل لعلي دينار العودة الى الفاشر واستعادة سلطنة الفور بعد أن فر من معركة أم درمان : ولو اهتم الخليفة بوضع قيادة قوية في الفاشر لكان في مقدورها مواصلة الوقوف ضد ادارة الحكم الثنائي ، وربما كانت منطقة الفاشر منطقة صالحة لتقهقر جيوش المهدية بعد الهزائم المتلاحقة والتي امتدت من توشكي الى ام درمان .

لم تكن ادعاءات خلافة كرسي عثمان هي السوق الديني الوحيد للخروج على حكم الخليفة عبدالله ، وانما ظهرت ادعاءات اخرى أكثر خطورة وأعني بها ادعاء نبوءة عيسى وهي في جوهرها أشبه بدعوة المهدية نفسها .

ادعياء نبوءة عيسى

ادعى بعض المعارضين لحكم الخليفة عبدالله نبوءة عيسى ليجدوا لانفسهم مساقا دينيا يخرجون به عن طاعته وينهون مهمته في الارض بسبب الاعتقاد بأن رجعة عيسى تكون بعد ظهور المهدي المنتظر ،وأغلب هؤلاء الدعاة من قبائل الفلاتة . وقد ترك نجاح حركة المهدية المجال مفتوحا أمام المدعين أو من يتصورون أنفسهم أو الموهومون لكي يعلنوا أنفسهم عيسى الموعود بالعودة . وقد أرقت هذه الحركات بال الخليفة عبدالله بل خاقت المتاعب للحكم الثنائي في أيامه الاولى (٣٤) .

وفكرة رجعة المسيح بعد ظهور الدجال معروفة في العالم الاسلامي بمعنى المنقذ أو المخلص . ومن المحتمل جدا ان النبوءة برجعة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت في نفس الوقت الذي انتشرت فيه فكرة التنبؤ بظهور الدجال ولو ان هذا لم يرد في السنة النبوية.ولو جاز لنا أن نعتمد على القصص والملاحم التاريخية في التدليل على صحة هذه النظرية لاستطعنا أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الاول للاسلام كانت أقل اعتقادا برجعة المسيح منها بظهور الدجال (٣٥) .

---

(٣٤) دكتور محمد ابراهيم بو سلم ، منشورات المهدية المقدمة .
(٣٥) فان فلونت ، السيادة العربية والتشيعية والاسرائيليات في عهد بني امية ، ترجمه الدكتور حسن ابراهيم حسن واحمد زكي ابراهيم ، ص ٦١٦ وما يليها .

ولئن صح هذا الاستنتاج فانه يرجع الى العقلية العربية التي استطاعت ان تصف من كان يطلق عليهم اسم المسيح صفة المسيح المخلص وسندا اليهم ما يقوم به المسيح نفسه من أعمال •

وعلى مر العهود ، وبالاخص تلك العهود التي شعل فيها عصا الحكام وبسوء الظالم أو يطل فيها شبح المجاعات والاوبئة كانت النفوس والعيون تتطلع الى الخلاص وتلوذ بالمنتظر • فقد انتظر اتباع بني اميه السفياني المخلص كما تباه اليمانيون بالقحطاني المنتظر والمصريون بالسيسي المنتظر • أما المسيح المخلص عند الشيعة فهو المهدي المنتظر [٣٦] •

أما في السودان فان نجاح حركة المهدية ووفاة المهدي جعلت بعض الدعاة يبشرون بدعوتهم والتجأوا الى نفس الاسلوب • بمعنى ان الرسالة وصلتهم من الله سبحانه وانهم مؤيدون بعلم الباطن • ظهر مدعي العيسوية في القلابات في عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م • وظهر مدعي آخر بغرب السودان في عام ١٣١٢ هـ بجبال الحرانز بكردفان •

أما حركة عيسى القلابات فتكمن خطورها في ان صاحبها ظهر من بين المحاربين في الجيش المرابط بالقلابات وأسر بدعوته الى عدد من رؤساء الرايات وصدق به عشر من الامراء وخمسة من العامة وقد حفظوا الامر سرا ليعرضوه على يونس الدكيم عند سنوح الفرصة حتى اذا لم يسلم به قتلوه •

وكان يونس قد تسلم عمالة القلابات بعد مقتل عاملها التكروري، محمد ولد ارباب والذي حكم القلابات لمدة سنتين بعد جلاء الحامية المصرية منها بقيادة سعد رفعت • وهذا ما يدل على أهمية التقارير في

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١١٨

هذه المنطقة وانتهى حكم محمد ود ارباب ببداية الحروب مع الحبشة والتي قادها الرأس عدار وأصاب الخليفة عبدالله القلق من جراء الهزائم التي تعرض لها الانصار هناك فأرسل قوات استكشافية بقيادة يونس الدكيم . وعندما استعاد يونس احتلال القلابات اتبع سياسة استفزازية اذ كلف عربي دفع الله للقيام بحملات ضد الاحباش وكان الخليفة عبدالله قد أرسل الى حمدان ابي عنجة للحضور الى أم درمان وأسند اليه عمالة القلابات وكان الخليفة لا يثق فيقدرة يونس للقيام بحروب ضد الاحباش وكان يخشى أن يحدث النزاع والمنافسة بين القائدين ، فأصدر اليهما تعليمات مشددة بالتعاون مع بعضهما البعض ، وفي النهاية ذكر الخليفة بوضوح ان على يونس الدكيم أن يأتمر بأوامر أبي عنجة .

ولقد كفى مجيء حمدان ابي عنجه الى القلابات ، شر المؤامرة التي كانت ستؤدي الى فتنة كبيرة بين صفوف جيش يونس . وهناك اتهام بأن يونس كان يعلم بالمؤامرة أو انه على الاقل لم يستطع السيطرة عليها (٣٧) .

اطلع أبو عنجه على سر هذه المؤامرة بعد يومين من وصوله فقبض على صاحب الدعوة واستنطقه فأجاب بأنه النبي عيسى وأجاب الامراء التابعين له انه على حق فزج بهم أبو عنجه في السجن وأرسل هو ويونس خطابا للخليفة ينبئانه بخبر هذه الحركة واليك نص الخطاب :

« ... ادعى آدم ولد محمد البرقاوي من راية الحاج عبدالله

(٣٧) ب. م. هولت ، دولة المهدية في السودان ، ترجمه هنري رياض وآخرون .

البرقاوي بأنه نبي الله عيسى بن مريم وقد قام بهذه الدعوة من أمد بعيد غير أنه لم يظهرها الا لبعض خواصه الذين يثق بهم سرا وأكد عليهم اعيان السرية الا عمن يأتمنونه وبذلك أضل كثيرين من أعيان السرية الذين اقروه على امره وحالفوه على كتاب الله تعالى وصل الينا خبره من بعض الاصدقاء وذلك يوم الاربعاء في ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٥ هـ فبعثنا في طلبه وقبل حضوره ، حضر بعض انصاره عبدالله البرقاوي ومحمد عمر المتسهور بأبي القرشي ومهاجر اسماعيل ، وعيسى احمد والطيب محمد بن البديري ومحمد احمد ابو ام فضالي الحمري . فسألناهم عن الامر فاقروا لدى المجلس المؤلف من جماعة من المسلمين وفيهم نواب الشرع الثلاثة وهم ادم ضو البيت وحامد بلوله وآدم علي وجميع العمال والنقباء وغيرهم تم حضر هو بذاته في المجلس فقلنا له ايها الاخ لقد بلغنا بأنك زعمت انك نبي الله عيسى وروح الله فهل ما نسب اليك صحيح أم هي اشاعة كاذبة لا أصل لها ؟ فأجاب ايها الاخوان ان ما قد بلغكم حقيقي هو أنا نبي الله عيسى فأن لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بعد هذا ثم قلنا له وما دليلك على ثبوت دعواك فأجابنا بأن الحق عز وجل اخبرني بأني نبي الله عيسى وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقلنا له أن كان ولا بد من ذلك فأعلمنا في أي زمن وبأي وقت اجتمعت بخليفة المهدي عليه السلام وفي أي محل صليت خلفه فأن عندنا منه رضى الله عنه اشارات نفهمك بها فأن انبأتنا بشيء منها فورب المهدي عليه السلام وهذا الكتاب الشريف لنصدقك فيما ادعيته . فأجابنا بقوله يا هؤلاء انكم تلونون الكلام وأني عيسى ومالي بغير هذا لكم من جواب فأفعلوا ما انتم فاعلين او خاطبوا في امري خليفة المهدي عليه ... السلام ليعلمكم بحقيقتي فأنكم انتم لا تعلمون . ووافقه على ذلك وزيره ابو القرشي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم وكذلك الطائف احمد وهنون النيل الهباني ومحمد حسين بقاري ومحمد علي البرقاوي وعبدالله جاموش وعثمان

أحمد المقموس وجميع هؤلاء أمراء رايات حينئذ أخــذتنا عليهم غــيرة الاسلام وامرنا بسجنهم جميعا ثم احضرناهم ثانية واعدنا لهــم السؤال علهم يرجعون عما هم فيه ، فما ازدادوا الا تصحيحــا واصرارا عليــه : فسألنا المتنبيء عن أبيه وامه ومولده ومنشأه ، فقال اني من البشر مثلكم وأني نبي الله عيسى بلا ريب ولكن ليس هذا اواني وليس لكم معي الآن من قول لاني للآن ما انذرتكم وعما قريب ترون صدق ذلــك . ولشدة اعتقاد جماعته فيه وتصديقهم اياه كانوا لا يتكلمون في المجلس الا عــن اذن منه فلو سألناهم صدوا عن الاجابة حتى يأذن لهم فاستأذنه احدهم مهاجر اسماعيل في الكلام فأذن له فقال أن دعوى هذا الرجل صحيحــه وأنه قبل هذا اخبرنا بأن هذا ليس اوانه . ثم سألنا المدعي عن شأنــه في المهدية فقال نحن وانتم الآن فيها سواء تحت اشارة خليفة المهــدي عليه السلام وتابعون اليه فعليكم الايمان واعلامه بظهوري ستأتيكم الحبشة على جردتين فتفوت الاولى ويأتيكم الدجال في الثانية وهناك ترون العجب من أمري وبحسم لكم ظهوري فقلنا له ما شأنك مع خليفة المهــدي عليه السلام فقال أن الخليفة عبدالله والخليفة علي عارفان بأمري واما الخليفة شريف فلا علم له بي وأني الآن تحت اشارة خليفة المهدي عليه السلام الى الوقت المعلوم ثم أن مهاجرا المذكور اجاب ثانيا بقوله للمجلس يــا ايها الاخوان ان الانبياء والمرسلين والمهدي عليه الصلاة والسلام المؤيدين من الله بالملائكة والاولياء والجن والانس فأول تأييدهم لهم هل هو ظاهري ام باطني فأجبناه بانه باطني فأجابنا هل لكم من علم في الباطن فقلنا له لا فقل هذا تأييده لعبده وقد طال الكــلام وكثر المقال على هذا المنــوال فأعدناه الى السجن فقال بعضهم عند القيام الى السجن لا اله الا اللــه محمد رسول الله ان هذا هو عيسى حقا لا غيره ولا نشرك شيئا .. ان ارباب هذه الدعوى امراء رايات ومن الضروري أن تكون عقيدة اتباعهم مثل عقيدتهم وربما اذا داموا على ذلك او امهلوا ودام لهم هذا المدعي أن

يوقدوا نار الفتنة على قفله ويحصل الفشل في الدين فقد ثقلناهـم الآن بالحديد وتجاسرنا برفع هذا لتصدر الاشارة الكبيرة بشأنهم اما صاحب الدعوه فأنه مولود في برقو وامه فاطمة بنت خديجة وعمره ٢٥ سنة وهو امرد لا لحية له ولونه اخضر الى اصفر اعجمي اللسان مفلج الاسنـان السفلى مفتوح الوجه مربوع القامة متوسط الجنة واسع الجبهة عظيـم الرأس [٣٨] .

أرسل الخليفة عبدالله اربعة من الامناء وهم محمد المكي ابو حراز وحسين جزو ويسن ابراهيم وابراهيم الحاج ومعهم خطاب الى حمدان ابي عنجه لقتل المدعي وخيره في امر رؤساء الرايات بين قتلهم او الاكتفـاء بسجنهم [٣٩] .

نصب أبو عنجه المشنقة في السوق وصلبهم الواحد تلو الآخر وبعد الانتهاء من صلبهم بنحو ثلاث ساعات وصله خطاب من الخليفة عبداللـه يأمره بقتل المدعي ووزيره ابي القرشي فقط وارسل اليه منشورا ليتلى على الانصار وأن الامراء ورؤساء الرايات بما انهم من السابقين في المهدية تعطى لهم الفرصة للتوبة [٤٠] ورد عليه حمدان ابي عنجه بأن قضاء اللـه قد نفذ فيهم ولم تجد فيهم مذكرات ونصائح الامناء والدعوى ثابتة عليهم امام القاضي عثمان بللنا والياس علي كنون وعبد الباقي وغيرهم من الثقاة وتم تجديد التوبة والطبيعة من اتباع رايات الامراء المتولين وعين بـدلا منهم امراء جدد وطلب الخليفة عبدالله من حمدان ابي عنجه اجراء تنقلات بين الاتباع وأن لا تترك راية على حالها السابق [٤١] .

(٣٨) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الصفحات ١٠٦٤ــ١٠٦٨
(٣٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، الصفحات ١٠٦٤ــ١٠٦٨
(٤٠) مهدية ١/٢٦ ص ٥٣ رسالة من الخليفة عبـدالله الى حمدان ابي عنجة بتاريخ ٥ ربيع آخر ١٣٠٥ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٨٧ م.
(٤١) مهدية ١/٢٦ مجلد ٣ ص ٥٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجة بتاريخ ١٢ ربيع آخر ١٣٠٥ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٨٧ م.

وأرسل الخليفة عبدالله منشورا الى كبار الامراء والعمال لقراءتهعلى الاصحاب ، موضحا فيه دعوة نبي الله عيسى والاجراءات التي اتخـذت لاخمادها كما ارسل منشورا آخرا ذكر فيــه الحضرة التي شاهد فيهـا عذابهم في نار جهنم بقوله « .. فلما رأيتهم في تلك الحال وعلمت بأنـه لا يقفز لهم تركت السؤال لهم بالمقفرة ومن شدة ما رأيت عليهم من العذاب داخلتني خشية عن نفسي وتعوذت بالله من حالهم وأنتهى الامر والعلم لله.

اما الدعوة الثانية فقد ظهرت بجهة جبل الحرازة بكردفان ووصـف المدعي بأنه (اصفر الذات كبير الجهامة ، طويل القامة كثيف اللحيةابيض السنون ، واسع الجبهة مدرم الفاخورة أسود الشعر . وصلت الى كل من ابشر الذكرى والملك التوم محمد التوم رسالة تبليغ من المدعي نبوءه عيسى . ذهب المذكوران الى حبل الحرازة والقيا عليه القبض ووضعـاه في الشعب ووجدت معه خمس رسائل للقبائل وثلاث رسائل موجهة الى خليفة المهدي وست رسائل الى كافة المؤمنين وننقل فيما يلي الرسالة التي وجهها الى خليفة المهدي لاعطاءفكرة عن الدعوة وطريقة كتابته فيالرسائل على اسلوب المهدي « وبعد فمن عبد ربه المسيح عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام الى حضرة الحبيب في الله ورسوله الصادق الصفيالوفي خليفة الصديق حفظه الله من كل بلاء وضيق امين ثم امين بعد اهـدي مزيد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فنعلمكم ايها الحبيب ولا يخفاكم حقيقة ظهورنا ومحله وتبليغ الرسالة هنا اليكم والى كافة عباده المؤمنين انصار الدين واصحاب المهدي عليه السلام اجمعين المقيمين معكم بباطن البقعة المشرفة ، والمارين بتلـك الجهات في المرابط محـل رصد الكافرين اعداء الدين المخذولين نصرهم الله عليهم امين هم الذين تحت طلب اشارتكم الكريمة منها هـي واصلة اليكم فأمنوا بهـا واقبلوهـا واستبشروا بها بالسمع والطاعـة والامتثال والانقياد لامر اللـه تعالى

وتكرارا بظهورنا ومحله وباشرت الوردات لنا من الله تعالى اليهم بأقامة الدين واحياء سنته سيد المرسلين وصلى الله عليه وسلم وسكة المهـــدي عليه السلام القوية ايها الحبيب فأنذرهم باتباع المأمورات وحذرهم عـــن نرك المنهيات شرعا وليقفوا على الصراط المستقيم في اقامة الدين وليقفوا على اخذ الحقوق الالهية الواجبة لهم من الله نعالى والحدود المحددة كما قال تعالى "الك حدود الله ومن يتعدى حدود الله تعالى والحدود المحددة• كما قال تعالى فقد ظلم نفسه الا التحذيرُ وليقفوا للجهاد في سبيل اللـــه صفوف صفوف كأنهم بنيان مرصوص الآية ايها الحبيب فأنذرهم وبشرهم وحدرهم وحرضهم على القتل الآية وليقفوا ولا يخطو (ولا يخطؤا) ولا يتفردوا بالاباحة السابقة لهم بأخذ اموال عباد الله المؤمنين ظلما وجورا كونها كانت لهم كرما لخليفه المهدي عليه السلام لهم بها ومن بعـــد الآن فصاعدا فليكونوا انصار الله حقا وصدقا قولا وفعلا كما قال تعالى يـــا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله الآية وليقنط أثر الاصحاب على الحقيقة كما أخبر المهدي عليه السلام في الحديث واخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال لي نعم أنت ومن يتبعك في قولك وفعلك وحقيقية صحبته المهدي عليه السلام قولا وفعلا ظاهرا وباطنا وفي الحديث كما اخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن اصحاب المهدي عليه السلام كأصحابه وحقيقتهم عندنا هـــم اصحابـــه المبشرين ينصره الدين وجهـــاد الكفرة والمشركين اعداء الدين نصرهم الله عليهم امين أيها الحبيب ها قد انذرتكم وحذرتكم بما جاءكم به رسول الله عليه السلام بأقامة الدين الواجـــب عليكم طوعا والمقصورة نوعا وما على الرسول الا البلاغ المبين والله على ما اقول وكيل حبيب هذا ما عرفناكم به باركه الله فيكم والسلام •

وصاحب هذه الدعوة يعتقد بأن دعوته هذه امتداد للمهدية لاقامة الدين واحياء السنة وسكة المهدي ويمنع الانصار من اخذ اموال الناس بغير حق ويعتقد أن اخذهم لها قبل ظهوره كان مكرمة لخليفة المهدي •

يلاحظ ان دعاة خلافة عثمان ونبوءة عيسى ينتمون الى غرب السودان والسودان الغربي مما يدل على أن فكرة ظهور المهدي وما يتبع ذلك من ظهور الدجال ورجعة عيسى كانت شائعة في تلك المناطق على مستوى عام اما في المناطق النيلية في السودان فقد كانت الفكرة موجودة لدى الخاصة من زعماء الطرق الصوفية ولكن لم يعتقد أي منهم بأنه قد وصل الى درجة المهدي المنتظر وربما يعود ذلك الى أن الوعي الديني والمستوى الثقافي كان على مستوى ارفع من مناطق السودان الغربي وزعا يفسر ذلك اسباب نجاح حركة المهدية في جنوب كردفان وغرب السودان وهذا مما جعل المهدي يختار تلك البقعة منطلقا لحركته •

الفصل الثامن

معارضة الأشراف وأولاد البلد

الاشراف
عزل الاشراف من العمالات
محمود عبد القادر
محمد خالد زقل
محمد عبد الكريم
محمد الخير عبدالله خوجلي
فتنه الاشراف
سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف

الاشراف

لحق المهدي اخوته الذين سبقوه الى جزيرة ابا والذين كانوا يتنقلون من جهة الى اخرى بحثا عن الاخشاب واستقر بهم المقام في جزيرة ابا في عام (١٢٨٦ هـ / ١٨٧١ م) وبنى في الجزيرة جامعا [١] للصلاة وخلوة للتدريس واجتمع عليه سكان الجزيرة من قبائل دغيم وكنانة [٢] .

وعندما جاهر المهدي بدعوته اسرع عدد كبير من اقاربه الاشراف لمبايعته وخاضوا معارك المهدية الاولى وكانوا بجانبه في واقعة ابا وقد برز منهم محمد وحامد وعبدالله وهم اخوة المهدي وبرز أيضا احمدشرفي، الذي يكنى بجد الاشراف ومحمد عبد الكريم ومحمد شيخادريسوساتي علي ومحمد شريف بن السيد حامد وهو الذي حاز خليفة الكرار فيما بعد ، وانضم اليهم ابناء المناطق النيلية الذين كانوا يقطنون في منطقة النيل الابيض وقد برز منهم عبد الرحمن النجومي ومحمد عثمان ابي قرجة وعبد الحليم مساعد ، وقتل اخوة المهدي في الوقائع الاولى ، قتل حامد في موقعة قدير الثانية [٣] وقتل محمد وعبدالله في واقعة الجمعة [٤]

(١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، الحركة الفكريه في المهدية ، ص ١٤
(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٣٩
(٣) اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي ، تحقيق الدكتور ابو سليم ، ص ١٧٦
(٤) المصدر السابق ، ص ٢١١

ويعد مقتل هؤلاء الاخوة من أولى وأفدح الخسائر التي مني بها الاشراف، اذ فقدوا بهم سندا قويا وعسدا لا يستطيع المرء ان يتكهن بنتائجه لو ظل هؤلاء الاخوة على قيد الحياة الى ما بعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي، ونشوب الصراع بين الاشراف والخليفة عبدالله .

ومهما يكن من امر فأن الاشراف شكلوا بطانة مميزة في حركة المهدية ونظرا لعلاقتهم بالمهدي ووضعهم الاجتماعي ، فأنهم كانوا يتطلعون الى الامتيازات والهيمنة على المراكز الهامة في الدولة، وقد سبق أن أشرنا الى قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف وكيف ادى ذلك الى ابتداع او ادخال نظام الخلافة في حركة المهدية لتحديد السلطات وتنظيم العمل .

استند الاشراف على صلة قرابة الرحم بالمهدي بينما استند الخليفة عبدالله على صلة القرابة الروحية بالمهدي وكان اقرب الى قلبه منهم ويظهر ذلك جليا في المرتبة الدينية التي اوضحها المهدي في منشوره عن مكانة الخليفة عبدالله (٥) كما ان جهده الحربي في الحركة أهله لان يكون أمير جيش المهدية هذه المكانة السامية جعلت الخليفة عبدالله في المرتبة التالية لمرتبة المهدي والذي فرض له مطلق الحرية في الادارة ومع ذلك كان الخليفة عبدالله حريصا جدا في تصرفاته واخذ يدعم موقفه بكل حذر ودقة . عمل في بداية الامر على التركيز بصفة خاصة في تقوية الراية الزرقاء . وكان لا بد من ان توغر هذه المرتبة الممتازة التي احتلها الخليفة عبدالله صدور الاشراف فبدأوا بدورهم يعملون في نهم على الاستزادة في الحصول على أكبر قدر من الوظائف والعطاءات من بيت المال مما حرج صدر المهدي عليهم وكان احمد سليمان امين بيت المال من قبيلة المحس ، أي من اهل النيل ـــ وكان يتعاطف مع الاشراف على حساب القبائل الاخرى .

---

(٥) انظر البحث ، ص ١٦١ وما يليها .

أن الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف أدى الى نوع من الانقسام في حركة المهدية ، التي كانت تهدف الى توحيد المسلمين وتجمعهم تحت راية المهدية واذابة كل العوائق التي تدعو الى الانقسام مثل المذاهب والطرق والنعرات القبلية ، هذا من الناحية النظرية الدينية والتي لم يكن من المستطاع تطبيقها وفق الظروف التي قامت فيها حركة المهدية من ناحية تكوين قيادة الحركة وتطورها بواسطة الجماعات المتفرقة التي قامت على أكتافها الحركة . أولى هذه الجماعات بعض مشائخ الطرق الصوفية الذين كانوا يسعون الى احداث اصلاح للعقيدة والاخلاق وقد كون المهدي وأتباعه الاصليين نواة هذه المجموعة ويأتي بعد المهدي علي بن حلو ومحمد المكي اسماعيل .

وقد استطاع الخليفة عبدالله كسب ثقة هذه الجماعة التي وقفت الى جانبه في كل الازمات التي نشبت بينه وبين الاشراف . اما المجموعة الثانية فتتكون من جماهير رجال القبائل واشهرهم اعراب البقارة في الغرب وكانت المهدية بالنسبة لهم هي نهاية الضرائب والغزوات المتعة وامتلاك الغنائم (٦) . وتعرف هذه المجموعة بأولاد العرب وهم الذين اعتمد عليهم الخليفة عبدالله في تقوية مركزه واهتم بأمرهم كما اهتم بأمر الجهادية الذين كانوا مدربين على نظام الاسلحة بواسطة الادارة التركية المصرية .

اما المجموعة الثالثة فكانت تتكون من رجال الطبقة الوسطى واغلبهم من الدناقلة والجعليين والذين تضرروا من الحكومة السابقة بسبب محاولة القضاء على تجارة الرقيق الامر الذي هددهم في ارزاقهم والافراد الآخرون الذين لم يشتهروا بالصلاح ولم تكن لديهم ظلامات عضدوا

---

(٦) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 118,

الثورة لانهم كانوا من اقارب المهدي امثال محمد خالد وعرفت هـذه المجموعة بأولاد البلد ، التعبير الذي يحمل اصلا معنى الذين يسكنون على ضفاف النيل (٧) ولما كانت هذه المجموعة تعتبر مستثيرة بالمقارنة مع مجموعة اولاد العرب فأنهم كانوا على معرفة ودراية بالاعمال الادارية وبعضهم تقلد وظائف ادارية وقضائية في الادارة التركية المصرية وشغلوا وظائف الكتابة والمحاسبة في الدواوين الحكومية ومارسوا مهنة التجارة هذه الميزات جعلت المهدي يسند اليهم امر العمالات والوظائف الادارية الاخرى .

عين أبن عمه محمود عبد القادر عاملا على قدير وجبال النوبة واضاف اليه عمالة كردفان بعد سقوط الابيض (٨) وكان محمد خالد زقـل من أبناء عمومة المهدي موظفا بالادارة التركية المصرية ولكنه بايع المهدي في الابيض فأرجعه هذا الى دارفور عاملا فيها وأسندت عمالة بحر الغزال لكرم الله كركساوي . وعين محمود ود الحاج عاملا على دنقلا ومحمـد الخير عبدالله خوجلي عاملا علي بربر كما عين محمد عثمان ابي قرجـة عاملا على الجزيرة ويسميها البحرين . اشارة الى النيلين الازرق والابيض وكان امر الجزيرة بيد محمد الطيب البصير الذي الزمه المهدي طاعـة قرجة اسوة بخالد بن الوليد حين رفعه عمر بن الخطاب عن القيادة (٩) وعين محمد عبد الكريم قائدا للجيش المكلف بفتح سنار (١٠) وتكـاد

(٧) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 117—118.

(٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٢٤ ، رسالة من المهدي الى محمد خالد بتاريخ ٤ جماد أول ١٣٠١هـ/ ٣ مارس ١٨٨٤ م.

(٩) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ١٢٣ ، رسالة من المهدي الى محمد الطيب البصير بتاريخ قبل ٤ جماد أول ١٣٠١ هـ / ٣ مارس ١٨٨٤ م .

(١٠) المصدر السابق ص ٢٩٤ ، رسالة من المهـدي الى عبـد الرحمن النجومي وابى قرجة وعبد الحليم مساعد وآخرين بتاريخ ١٢ جماد أول ١٣٠٢ هـ / ٨ فبراير ١٨٨١ م.

تكون كل الوظائف الهامة اسندها المهدي الى الاشراف واولاد البلد مـا عدا عمالة عثمان دقنة على الشرق وحمدان ابي عنجه على جبال النوبـة وقد استفاد الخليفة عبدالله فائدةعظيمةمن وجود حمدان بمنطقة الجبال حيثما اخذ الصراع بينه وبين الاشراف صورة المواجهة وسنعـالج هذا الموضوع بشيء من التفصيل فيما بعد •

تطورت العلاقة بين الاشراف والخليفة مع تطور الحركة وكان كـل فريق يحاول ان يقوي مركزه ان عدم انصياع الاشراف لاوامر الخليفـة عبدالله وعدم الاعتراف بمكانته غير مجرى بعض حوادث حركة المهديـة ويبدو بأن الخليفة عبدالله كان على اتفاق تام مع المهدي في رسم سياسة الجهاد وتنفيذها على خلاف الخليفه شريف وانصاريتـه الـذين كانوا ينظرون بشيء من الارتياب لنوايا الخليفة عبدالله ويظهر ذلك جليـا في عمليات تحرك رايات الاشراف والذي كان يبدو ان الهدف من تحريكها هو اعداد العدة للتوجه نحو مصر • فبعد مضي خمسة أشهر من اقامـة محمود عبد القادر في الابيض صدرت له الاوامر بالنقل الى دنقلا ليخلف محمود ود الحاج الذي قتل في معركة كورتي في ٤/ سبتمبر ١٨٨٤م كما تقرر أن يتولى عبد الصمد شرفي وهو من أقارب المهدي عمالة كردفانوفي نفس الوقت عين حمدان ابي عنجه عاملا على جبال النوبة وحدد علاقته مع محمود عبد القادر حتى لا يحدث تداخل بينهما في الاختصاصات[11] •

وصدرت الاوامر من كل من المهدي والخليفة عبدالله لمحمـد خالد للحاق بالجيش الرئيسي للاشتراك في فتوح الخرطوم ولكنه لم ينصـع للاوامر وبعد فتوح الخرطوم حدد الخليفة عبدالله الاوامر لمحمـد خالد بالحضور لادراك المهدي قبل التوجه الى جهة اخرى •

(11) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 93 .

لم يكن الاشراف راضين عن الوضع المتميز للخليفة عبدالله ويبدو بأنهم كانوا لا ينفذون الاوامر التي يصدرها لهم ويلاحظ ان اوامر الخليفة عبدالله للاشراف ، كانت تحتاج دائما الى تأييد من المهدي ويظهر ذلك جليا من الرسائل الموجهة من كل من المهدي والخليفة عبدالله الى قادة الاشراف وتحمل نفس الموضوع ونورد فيما يلي رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد عبد الكريم توضح الطريقة التي كان يتعامل بها الخليفة عبدالله مع الاشراف .

« وبعد فمن عبد ربه الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه في الله محمد عبد الكريم جعله الله من الفائزين بالرضوان والخير العميم امين حبيبي من بعد السلام نعرفكم انه قد صار طلبنا عند خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم وذاكرنا في امر توجيهكم مع الاخوان المعينين لملاقاة الكفرة وتدميرهم بأذن الله وبحسب الاشارة استقر الرأي على توجهكم ولا بد أنه تأتيكم مكاتبة من المهدي عليه السلام في ذلك وخشيه من حصول توجهكم بغتة اخبرناكم بهذا لكي تستعدوا وتكونوا على اهبة ما دام انه صار تعينكم والخير فيما اختاره الله [١٢] .

وكيفما كان الامر فقد ظل كل من محمد خالد ومحمود عبد القادر بعمالته الى تاريخ وفاة المهدي المفاجئة وآلت الخلافة الى الخليفة عبدالله والذي لم يكن مطمئنا لاخلاص الاشراف له وعدم الاعتماد عليهم في نشر الدعوة ولكنه لم يتعجل الامور وكانت ضرباته للاشراف تتم دائما كرد فعل لتصرفاتهم الى أن استطاع التخلص منهم وعزلهم من العمالات وعين بدلا منهم اقرباءه التعايشة وأولاد العرب .

---

(١٢) مهدية ٢/٣١ ، مجلد ٣ ص ٤٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد عبد الكريم بتاريخ ١٩ ربيع آخر ١٣٠٢ هـ .

عزل امراء الاشراف من العمالات

ان وفاة المهدي المفاجئة قلبت ميزان القوى بين الفئتين المتصارعتين على السلطة ، كما سبقت الاشارة فان الخليفة عبدالله استطاع أن يتولى الامر بمساعدة جماعة المندينين ولم يجنـج الى استعمال القوة رغم انه كان يسيطر على الجانب العسكري بصفته أمير جيش المهدية وكانت جميع رايات الراية الزرقاء بأم درمان ما عدا رايه حمدان ابي عنجة في جبـل النوبة اما رايات الاشراف فكانت منفرقة في الاقاليم ، ويبدو بأن الخليفة شريف وجماعة من الاشراف واولاد البلد كانوا يطمعون في ان يعطيهـم الخليفة عبدالله وضعا مميزا في الدولة وان تكون لهم كلمـة في ادارة شؤونها الا ان الخليفة عبدالله لم يعطهم تلك المكانة وانما استبد بالامر وطالبهم بالخضوع وتنفيذ اوامره بصفته الموجه الاول لحركة المهديـة ومن أهم اهدافها مواصلة الجهاد ، ويبدو أنه كان من المقرر منـذ حياة المهدي توجه رايات الخليفة شريف الى الشمال بغرض الزحف نحو مصر، وربما يفسر لنا ذلك الاسباب التي دعت المهدي الى نقل محمود عبـد القادر الى دنقلا وطلب محمد خالد زقل بالحضور لفتح الخرطوم والتوجه الى جهة اخرى بعد ذلك ..

ومن الانصاف للخليفة عبدالله نقول بأنه حاول ان ينفذ الخطة التي وضعت في أيام المهدي الا ان الاشراف لم يتعاونوا معه في تنفيذها ورأوا في تصرفاته تخلصا منهم وبدأوا يعملون على عرقلة مساعيه مما دفعه للعمل على تصفيتهم وعزل قادتهم من العمالات والامارات في خلال عام من توليه السلطة وقد كانت عمليات التصفية متماشية مع عملية تنفيذ سياسة الجهاد والهجرة اما بالنسبة للاشراف فكانت عمليات تنفيذ الجهـاد والهجرة المقصود منها تصفيتهم وعزلهم عن السلطة .

محمود عبد القادر

ظل محمود عبد القادر بالابيض الى وفاة المهدي حيث أرسل لـه الخليفة عبدالله نبأ الوفاة وطلب منه الحضور الى ام درمان للمبايعـة وزيارة ضريح المهدي ورد عليه محمود بالمبايعة ولكنـه تأخر في السفر وأخيرا لم يجد مناصا من الاستجابة الى طلب الخليفـة وسافر الـى أم درمان في اغسطس ١٨٨٥ م •

وفي اثناء تغيب محمود تسرد الجهادين في الابيض وجاهروا بالعصيان وهربوا الى جبال النوبة ويذكر شقير بأن جيش محمود في الابيض كـان مكونا من ثلاثة آلاف رجل من أولاد العرب وثلاثمائة جندي من السود واعلب هؤلاء اسرى من رجال الجيش المصري وكان محمود يرفق بهـم فلما غاب أساء العرب اليهم ولم يحسنوا سياستهم فشقوا الطاعة واجتمع عليهم اقرانهم السود وبلغوا نحو الف رجل ، حملوا على العرب وقتلوا منهم جماعة ونهبوا بعض المنازل وهربوا الى جبال النوبة (١٣) •

وقيل أن محمود عبد القادر طلب الاذن من الخليفة عبدالله بالرجوع الى الابيض لاحضار عائلته ولكنه كان يشعر في نفسه القضاء على تمرد الجهادية • فعندما وصل الابيض جمع قوة وتوجه الى جبال النما وارسل

---

(١٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٤٢

الى الجهادية الامان فلم يستجيبوا له فدخل معهم في معركة انتهت بمقتله في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥ م (١٤) .

وبموت محمود تخلص الخليفة عبدالله من قادة الاشراف الذين لم يكن راغبا في وجودهم بقرب السودان وأسند مهنة تأديب الجهادية وتاليبهم الى حمدان ابي عنجه .

يجد بعض المؤرخين العذر للخليفة عبدالله في انه لم يكن يحمل عداء ضد محمود عبد القادر فقد تم نقله الى دنقلا بأمر من المهدي واصطدم مع الجهادية بدون مشورة الخليفة عبدالله هذا القول ربما يبرىء الخليفة عبدالله من تهمة العمل المباشر في القضاء على محمود عبد القادر ولكنه لا يمكن أن ينهض دليلا على نفي رغبة الخليفة عبدالله في التخلص من محمود عبد القادر وغيره من الاشراف واولاد البلد من جهات غرب السودان ودليلنا على ذلك قيام الخليفة عبدالله بأستدعاء الشخصيات البارزة من أولاد البلد الى ام درمان واسناد وظائف العمالات الى اقربائه من ابناء التعايشة بصفة خاصة وابناء البقارة بصفة عامة .

وبموت محمود عبد القادر فقد الاشراف دعامة من دعائمهم في كردفان كما انفرط عقد السلسلة التي كانت تربط الاشراف من دارفور الى أم درمان . وبادر الخليفة عبدالله بارسال الاوامر الى حمدان أبي عنجه بالتوجه من جبال النوبة الى الابيض ليمهد الطريق لعثمان آدم والذي عينه الخليفة عبدالله عاملا على كردفان وهنا تجدر الاشارة الى أن المهدي كان قد عين قريبه عبد الصمد شرفي عاملا على كردفان ولم

---

(١٤) مهدية ٢/١٢ ، رسالة من محمد ولد عبد الماجد والفكي سليمان الحجار نائب الشرع وابراهيم رمضان الى الخليفة عبدالله بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٠٤هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٨٦

يتسلم عبد الصمد عمله في الابيض وربما يعود ذلك الى تباطؤ محمـــود في اخلاء الابيض وتمسكه بعمالته الى وفاة المهدي مما اعطى الخليفـــة عبدالله الفرصة في ملء وظيفة العمالة بأحـــد أقربائه التعايشة ولإحكام سد الطريق بين دارفور وام درمان ، عين الخليفة عبدالله قريبه يـــونس الدكيم عاملا على منطقة الجزيرة وتتضح سياسة الخليفة عبدالله في تعيين يونس الدكيم عاملا على الجزيرة من الفقرة التالية والتي وردت في رساله الى حمدان ابي عنجه .

« حبيبي يكون بشرف علمك أن ارض الجزيرة هي مركز السودان واعظم اماكنه وقد الهمنا الله تعالى ان نوجه اليها الحبيب يونس الدكيم بأوامر من عندنا لتكون جميعها تحت امره ونهيه والقصد من ذلـــك أولا اصلاح المسلمين وتقويم الدين وان تكون الجهة مركز للمجاهدين وعند حضوركم لهذا الطرف جميع جيشكم يكون بها لانها واسعة غاية وفـــي غاية الخصب في العيش وخلافه واما انتم انفسكم فان شاء الله تعالى بعد اجتماعنا في هذه المرة لا يكون لنا مفارقة ثانية ولو قليل لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد بلغنا ان الاشراف عازمين على توجه محمد خالد بجيوشه الى الجزيرة بعد حضوره كما رأوه ذلك من الراحة له والكفاية لمن معـــه وقد الهمنا الى توجيه الحبيب يونس الدكيم فوافا ذلك الالهام والسداد اذ المترائي توجيه يونس مصالح منها المنازعات والتعرضات في الجزيرة وقهر المنافقين الذين هم بها ولراحة العربان لان أغلبهم قد انضموا للراية الزرقاء وهم ناس بكثرة وقبائل شتى لا يعلم عددها الا الله [١٥] .

ومن الطريف ان الخليفة عبدالله كان قد فكر في تعيين يونس الدكيم

---

(١٥) مهدية ١ ، م ٣ ، ٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي‌عنجة بتاريخ ٢٠ جماد أول ١٣٠٣ هـ / ٢٤ فبراير ١٨٨٦ م.

عاملا على كردفان ليستلم من محمود عبد القادر ولكنه عدل عن ذلك خوفا من حدوث النزاع بين يونس ومحمود ، وخشية من عدم كفاية يونس في معالجة امر محمد خالد ، فلذا عدل عن هذه الفكرة وترك المهمة لحمدان أبي عنجه وعين يونس عاملا على الجزيرة [١٦] . وعين علي منير عاملا على دار الجوامعة وحسب أحمد جمال الدين عاملا على دار الجمع واسند لهما مهمة اجلاء اولاد البلد عن منطقة الغرب كما اوكل اليهما مهمة مساعدة المهاجرين في طريقهم الى أم درمان [١٧] .

وكان الخليفة عبدالله قبل مقتل محمود عبد القادر قد أعد العدة لاستلام المركز منه ولو استدعى ذلك استعمال القوة ، ويظهر من تصرفاته اذ أرسل الى حمدان أبي عنجه ١٠٤٣ أنصاريا ومعهم ٣٠٦ بندقية رمنتون و ١٢ بندقية ابو روحين وكتب اليه رسالة يفصح فيها عن نواياه ، جاء فيها بعد الديباجة ما يأتي : « نعلم الحبيب حيث انه قد تحرر لكم سابقا ، بتخصيص احد لمركز كردفان لداعي سفر الحبيب محمود عبد القادر لجهات دنقلا فينبغي يا حبيبنا تعيين انسان من طرفكم يكون صاحب همة تومل فيه الراحة والثبات والصمام (التصميم) ويتوجه الى كردفان للحبيب محمود عبد القادر ومحل ما يشير له ينزل ويكون معه في غاية المحابية والمودة والمساعدة حتى يتخلص ويقوم لجهات دنقلا ويسلم اليه المركز ولا يحصل بينه وبين الحبيب محمود اقل كلام وتذاكرة بذلك طيب وتؤكد عليه ، وبعد قيام محمود وتوجهه ، حيث ان المركز بيد جماعتكم ان شاء الله تعالى نوجه له من تؤمل فيه الراحة لان مركز كردفان هو طريق الواردين من الغرب واذا كان فيه احدا من الاشراف او الناسات

---

(١٦) مهدية ١/٢٥ ، م ٣ ، ٨٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابى عنجه بتاريخ ٢٧ محرم ١٣٠٣ هـ / ٥ نوفمبر ١٨٨٠ م.

(١٧) مهدية ، دفتر صادر ٩ ص ١٠٨ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى على خبر بتاريخ ربيع آخر ١٣٠٤ هـ / يناير ١٨٧٨ م .

تبعهم لا تحصل للهاجرين من الغروب من العربان وغيرهم راحة فلاجـل دلك اخنرنا ان يكون المركز بيدكم لتسهيل الطريق على العربان والضعفاء من المساسين من العوايق فأسرعوا بتوجيه من يتسلم المركز عاجلا (١٨) .

هذه الوثيقه توضح سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف ونظرتـه اليهم فهو يعتبرهم معوقين لعمليات هجرة العربان من الغرب الى ام درمان ولا يؤمل في الاشراف القيام بمساعدة العربان في الهجرة ولا يتوقع منهم تعاطفا مع العربان والسعي على راحتهم ويتبين من هذه الوثيقة ان الخليفه عبدالله كان يسعى الى أن تتم عمليات التسليم بطريقة ودية دون تشاجر او اثارة لمحمود عبد القادر واعوانه ومما يدل على حرص الخليفة عبدالله في عدم اثارة أي مشاكل فانه لم يعلن اسم العامـل الذي سيتولى عمالة كردفان وانما عهد الى حمدان أبي عنجه امر انـابة شخص بمعرفته وأن يتولى حمدان مهمة الاشراف على تنفيذ التسليم بالطرق الودية وفي حالة فشل هذه الوسائل يستعمل القوة . واراح محمود عبد القادر حمدان ابي عنجه من تنفيذ هذه السياسة اذ تورط في مسألة تمرد الجهادية والتي ادت الى مقتله .

---

(١٨) مهدية دفتر صادر ٩ ص ٣٩ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجه بتاريخ ١٦ محرم ١٣٠٣ هـ / ٢٨ اكتوبر ١٨٨٥ م .

لم يستجب محمد خالد لاوامر المهدي والخليفة عبدالله بالهجرة من دارفور للحاق بجيش المهدي للاسهام في فتح الخرطوم وظل بالفاشر الى ما بعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي . واستمر الخليفة في طلبه بالحضور بجيشه وأصبحت الاسباب الداعية لحضوره المبايعة وزيارة ضريح المهدي وظل محمد خالد متباطئا في تنفيذ الهجرة وراودت الخليفة عبدالله المخاوف من استشار الاشراف لمحمد خالد في نزاعه معهم ولذا اعد العدة لتصفية جيس محمد خالد وتقليم اظافره .

كان محمد خالد يقود جيشا مكونا من ألف فارس وثلاثين ألف مشاة وثلاثة آلاف جهادية وفي أول ربيع الثاني ١٣٠٣ هـ ٨ / ديسمبر ١٨٨٥م أعلن محمد خالد عن عزمه في التحرك من الفاشر وأرسل الجيش أمامه والذي كان بسير ببطء شديد مما مكن الخليفة عبدالله من تنفيذ سياسته في تجريد محمد خالد وكان الجيش مكونا من ثلاثة مجموعات، مجندين من قبائل التعايشة والبقارة والمجموعة الثانية من اولاد البلد والمجموعة الثالثة جهادية .

خطط الخليفة عبدالله لعزل الجهادية وقبائل الغرب من جيش محمد خالد . واعطى تعليماته لحمدان ابي عنجه بالطلب من محمد خالد ان يسمح لقواتهما بالانضمام سويا لغزو جبل الداير فاذا حضر محمد خالد

شخصيا يعامل باحترام وان اكتفى بارسال القوات تعامل ايضا معاملةحسنة وفي أي من الحالتين فيجب على ابي عنجه استعمال سلطته التقديرية حسب ظروف الموقف مع الالتزام بالسرية التامة (١٩) •

وبينما كان الخليفة عبدالله يعالج الموقف في دارفور بتأن وروية وبطرق سلميةومناورات فان الاشراف في أم درمان دفعوه لمعالجة الموقف بالحسم السريع •

جاهر الاشراف بعدائهم وكثرة اجتماعاتهم وانتشرت الشائعات بمؤامرات يديرونها في الخفاء ويقوم فيها جيش زقل بدور رئيس فقرر الخليفة عبدالله بتحطيم معارضة خصومه بتجريد الخليفة محمد شريف من حرسه واسلحته ورايته بحجة توحيد جيش المهدية لمواجهة الانجليز في شمال السودان • وحتى لا يبدو متحيزا في قراره اشار الخليفة عبدالله على الخليفة علي ود حلو بتسليم جهاديته وأسلحته ورايته أسوةبالخليفة محمد شريف فأذعن للامر وتبعه الخليفة محمد شريف ساخطا كارها، وتم التسليم في منتصف مارس ١٨٨٦م (٢٠) •

وفي ١٢ رجب ١٣٠٣ هـ / ١٦ ابريل ١٨٨٦ م أرسل ابو عنجه رسالة الى الخليفة عبدالله اوضح فيها وصول محمد خالد الى بارة والطريقة التي تم بها استلام الجيش والاسلحة والخيول وأصبح محمد خالد أسيرا وبقي في الابيض الى ما يقارب العام ثم ارسل الى أم درمان •

---

(١٩) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 120.

(٢٠) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٨٦

كرم الله كركساوي واخوته في بحر الغزال

عين المهدي كرم الله كركساوي عاملا على بحر الغزال بعد واقعة شيكان . وكانت قواته تتكون من ثمانية الف محارب من اولاد العرب وخمس فرق من الجهادية وبالرغم من ان كرم الله لم يشكل خطورة أو تهديدا على سلامة سلطة الخليفة عبدالله ، الا انه لم يسلم من الطلب بالحضور الى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدي وتجدر الملاحظةالى أن المهدي كان قد أرسل أوامر لمحمد شيخ بالحضور من بحر الغزال وارسل الى محمود عبد القادر ليحثهم على الحضور [٢١] . ويبدو بأن الخليفة عبدالله كان لا يطمئن الى جانب العمال الذين عينهم المهدي من الاشراف واولاد البلد فقد التزم على استبدالهم وسحبهم من مناطقهم غير مهتم بالخلل والمخاطر التي تحدث تتيجة لهذه السياسة والتي سنوضحها في جانب آخر من هذا الفصل .

وقد استغل الخليفة عبدالله كرم الله كركساوي واخوته محمد شيخ وسليمان في القضاء على عصيان الرزيقات والفور وطالبه بمواصلةالهجرة الى ام درمان وتبين من رسالة موجهة من الخليفة عبدالله الى كرم الله كركساوي أن الخليفة عبدالله كان يسعى الى كسب كرم الله الى جانبه وحذره من الاتصال بالاشراف وضمه الى الملازمين الراية الزرقاء [٢٢] .

---

(٢١) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المرشد الى وثائق المهديه ،ص ١٩٧ ، رسالة من المهدي الى محمود عبد القادر بتاريخ ١٧ الحجة ١٣٠١ هـ / ٩ اكتوبر ١٨٨٤ م.

(٢٢) مهدية ١ دفتر صادر ١٠ ص ٩٢ ، رسالة من الخليفة عبدالله لمحمد شيخ كركساوي بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٠٤ هـ.

وفي زعماء الاشراف الذين كانوا يتولون موقعا قياديا ويسيطرون على منطقــة استراتيجية خلف جيش المهدية الرئيسي في أم درمان محمد عبد الكريم ، وهو من ابناء عمومة المهدي ، ولم يكن الخليفة عبدالله راضيا عن المعاملة التي يعامل بها محمد عبد الكريم المحاربين من ابناء قبائــل العرب والذين اشتركوا معه في حصار سنار وقد تعرضت سنار لعدد من الحصار والهجمات من قادة المهدية المختلفين الذين توالوا على محاصرتها ورغم سقوط الخرطوم فقد ظلت سنار مستعصية على جيــوش الانصار ويبدو ان التركيز على سرعة اسقاط سنار في ايام المهدي كان الغرض منها تجميع جيوش المهدية من كل المناطق بغرض عمل تعبئة عامة للتوجه الــى فتــوح مصر وربما يفسر لنا سر اوامر الخليفة عبدالله بتخريــب سنار استنادا على قول من المهدي بالتحذير من الاقامة في (سن النار) وبعــد وفاة المهدي جدت اسباب اخرى بالاضافة الى ترحيل الجيش المحــاصر لسنار للجهاد في مناطق اخرى واعني بالاسباب الجديدة رغبة الخليفــة عبدالله في عدم السماح لزعيم من الاشراف في البقاء وراء ظهر قــوات المهدية في أم درمان ولئلا يعطل سير المهاجرين الى أم درمان . وبعــد سقوط سنار واصل الخليفة عبدالله اصدار الاوامر لمحمد عبــد الكريم بتخريب سنار وارسال الممتلكات الموجودة بها الى أم درمان شمل سقوفة المنازل وأبوابها وشبابيكها وغير ذلك من مواد البناء .

محمد الخير عبدالله خوجلي

ومن اتباع راية الاشراف الذين اسند اليهم المهدي العمالة محمدالخير عبدالله خوجلي وقد تتلمذ المهدي على يده في خلاوي الغبش وقيل انه تردد في الهجرة وقد لامه المهدي على ذلك[٢٣] وبعد حضور غردون واعلان سياسة الاخلاء توجه الى المهدي وقابله بكردفان فتلقاه بالبشر والسرور وسماه عاملا على بربر [٢٤] وأصحبه كتبا الى رؤوس القبائل يدعوهم فيها الى طاعته والجهاد ضد الترك وقد رجع محمد الخير من عند المهدي في ٢٧ ابريل ١٨٨٤ ونزل في وادي بشارة على النيل حيث التقى بالشيخ الهدى الشايقي وبايعه بأسم المهدي وسلمه امرا بالامارة على دنقلة وسارا حتى وصلا المتمة وبايعه الحاج علي ود سعد زعيم الجعليين وكان اخوه قد هاجر الى المهدي في كردفان وسلمه امرا لاخيه علي ود سعيد بالامارة٠

واول من رفع راية المهدية في بربر ، احمد حمزه السعدابي هاجر الى المهدي سنة ١٨٨٣ وحضر معه واقعه شيكان ورجع من عنده اميرا على قومه فنصره عرب البطاحين وانضم محمد حمزه لمحمد الخير الذي تقدم بمجموعة نحو الدامر فبايعه الامين احمد المجذوب كبير المجاذبين في

---

(٢٣)الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ص ٣٥ ، رسالة من المهدي الى محمد الخير عبدالله خوجلي مؤرخ ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م٠

(٢٤) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٧٩٢ ٠

الدامر [٢٥] ولم يحرز الشيخ الهدي تقدما لحركة المهدية في دنقلا وقتل في واقعة الدبة الثانية كما قتل محمود ود الحاج الذي ارسله المهدي الـى مصطفى ياور للتسليم فدخل معه في معركة حربية وقتل في واقعة كورتـي وكما سبقت الاشارة فان المهدي قرر نقل محمود عبد القادر من كردفان الى دنقلا [٣٦] ولم ينفذ هذا الامر مما جعل محمد الخير مسئولا عن منطقة دنقلا والذي ما كاد يعلم بخروج الانجليز حتى ارسل مقدمة جيشه بقيادة ابن اخيه عبد الماجد محمد خوجلي •

كان محمد الخير ينتمي اسميا لراية الاشراف ولم تكن هنالـك اي وسيلة للتنسيق في العمل • توغل محمد الخير في دنقلا وبعد من الصراعات والمنافسات التي كانت تحدث في جيش المهدي الرئيسي المتوجـه نحـو الخرطوم ••

أرسل محمد الخير الى الخليفة عبدالله خطابا في سبتمبر ١٨٨٥ يعلمه بأن الانكليز عندما سمعوا بوفاة المهدي عزموا على غزو السودان [٢٧] • وكانت جيوش المهدية بدنقلا عبارة عن كتائب كانت تحتل الاماكن التـي يخليها الجيش المصري وعندما عاد عبد الرحمن النجومي من سنار ارسله الخليفة عبدالله الى بربر ليعد الحملة الى مصر في ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ م حدثت واقعة جنسي والتي هزم فيها الانصار ولم يكن الغرض منها غزو السودان وانما كانت عملية حربية لتأمين عمليات الانسحاب شمالا وفـي ابريل ١٨٨٦م اجليت كل النقاط العسكرية جنوب وادي حلفا •

---

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٩٩٧

(٢٦) الدكتور ابو سليم ، المرشد الى وثائق المهدي ، ص ٢٠٠ ، رسالة من المهدي الى محمد خالد بتاريخ ٢١ الحجة ١٣٠١ هـ / ١٣ اكتـوبر ١٨٨٤ م.

(٢٧) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١٠٠٢

ويرى بعض المؤرخين ان هذا الانذار الخاطيء تحمل تبعته محمد الخير واثر في العلاقات بين الخليفة عبدالله والاشراف وصار محمد الخير كبش الفداء فقد استدعاه الخليفة عبدالله الى امدرمان وسحب منه القيادة في أوائل ١٨٦٨ م وبينما يربط بعض المؤرخين شخصيةمحمد الخير بالاحداث في دنقلا فان البعض الآخر يرى ان عزل محمد الخير عن عمالة دنقلا كان لسبب فشله في كسب ثقة الجعليين والدناقلة وعدم تعاونه مـع جيش النجومي ويضاف الى ذلك اعتقاد الخليفة عبد الله بأن محمد الخير قـد تقدمت به السن ولا يستطيع تحمل اعباء ادارة تلك الاقاليم [٢٨] .

ومن الطريف ان الخليفة عبد الله ارسل خطابا مطولا لمحمد الخير ، يعلمه فيه بتنحية الاشراف عن الامارة ويوضح الاسباب التي ادت الـى ذلك [٢٩] ، وقد اعد هذا الخطاب بعناية فائقة ومقدمة ودية لمحمد الخير. فهل يا ترى ان الخليفة عبد الله كان يجس نبض محمد الخير ام كان يود اطمئنانه واستدراجه الى ام درمان فيأتي بنفس طيبة ام كان يرمي الـى عزله من الاشراف ام كان يريد ان يقيم موقعه [٣٠] .

لم يكن الخليفة عبد الله يطمئن الى الاشراف وشيعتهم ومن ابنـاء البلد فلجأ الى عزلهم عن العمالات كما قام بارسال عدد من رايات الاشراف الى الجهة الشمالية والجهة الشرقية وبعد ان تكاملت عملية الهجر ارسل رايات اولاد العرب الى هذه الجهات ليطعم بها الجيوش الموجودة بتلك الجهات فحدث نوع من عدم التجانس واختلاف بين القادة في مسألةتوزيع

---

(٢٨) محمد سعد داوود ، النزاع بين الخليفة عبدالله والاشراف ،ص ١٣٥

(٢٩) مهدية ، دفتر صادر ٩ ص ٣٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الـى محمد الخير عبـدالله خوجلي ، ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ / ١٨ ابريـل ١٨٨٥ م. انظر الملحق رقم (١) صفحة ١٩٨

(٣٠) مهدية ، دفتر صادر ٩ ص ٣٧ ، رسالة من الخليفة عبداللـه الى محمد الخير عبدالله خوجلي بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ .

المرتبات والتعيينات ويلاحظ ان أي عامل من الاشراف وأولاد البلد يعزل من العمال يستبدل بآخر من أبناء العرب ويلاحظ ان الخليفة لم يستبدل محمد الخير بعامل من اولاد البلد كما لم يسند لعبد الرحمن النجومي العمالة وقيادة الجيش في دنقلا . وبالاضافة الى ذلك تبع عزل محمد الخير عزل اخوته أيضا من مناصبهم فقد كان اخوه عبد الماجد قائدا للسرايا التي كانت في دنقلا كما كان اخوه احمد وكيلا له ببربر وقام بعمليات تسهيل الجيوش التي تجمعت في بربر.فقد أعد عددا كبيرا من الجمال والاسلحة والذخيرةوعندما وصلت جموع البقارة في أم درمان بدأ الخليفة في ارسال بعضهم للاشتراك مع جيش النجومي وعين عددا من اقاربه كعمال في المدن الواقعة في طريق الجيش المتحرك الى الشمال والغرض من ذلك التأكد من ان جيوش اولاد العرب المهاجرة الى الشمال تلقى رعاية ومعاملة حسنة من عمال يثق فيهم الخليفة ويتوقع منهم العطف على ابناء جلدتهم . فقد عين عثمان الدكيم عاملا على بربر ومحمد الزين عثمان عاملا على بوغاز ابو حمد وتبعهم يونس الدكيم عاملا على دنقله وأقام بديم العرضي.

ولم يكتف الخليفة بعدم دمج العمالة وقيادة الجيش للنجومي وانما سحب منه عملية الاشراف المباشر على المقاتلين من ابناء العرب في جيشه وجعل عليهم مساعد قيدوم وكيلا ويبدو ان مساعده لم يفهم دوره جيدا فبدأ يتداخل مع النجومي في منازعات ضاق منها صدر النجومي فاستأذن الخليفة بالحضور الى أم درمان فأذن له وتوجه الى دنقلا في ١١ رجب ١٣٠٥ هـ — ٢٢ مارس ١٨٨٨ (٣١) ، فأتى امدرمان وبسط شكواه ويبدو انه لم يجد اذنا صاغية من الخليفة عبد الله ولم يجد مناصا غير الرضاء بالواقع وعاد مرة اخرى الى دنقلا ليباشر عمله حيث نشبت المنازعات بينه

---

(٣١) مهدية ١/١ ، ٣/٤٤ ، رسالة من عبد الرحمن النجومي الى الخليفة عبدالله بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٥ هـ / ٢٢ مارس ١٨٨٨ م.

وبين مساعد قيدوم مرة اخرى وفي هذه المرة ارسل الخليفة عبد الله ثلاثة امناء هم ابراهيم الحاج ومكي ابو حراز والهادي دفع الله (٣٢) فنظروا في الخلاف بين النجومي ومساعده ورفعوا تقريرهم الى الخليفة عبداللهوالذي استدعى مساعد الى امدرمان وعين يونس الدكيم عاملا على دنقلا والحزم النجومي بطاعته (٣٣) .

واما النجومي فقد تقدم بجيشه المرهق والذي عانى من الجوعوالعطش بما لا يخطر على بال انسان واصطدم بالجيش المصري في واقعة توشكي حيث تعرض جيشــه للهزيمة ولقي النجومي مصرعــه في ٣٠ أغسطس ١٨٨٦ م وانسحبت جيوش الانصار الــى صوارده في أرض السكــوت وأسندت القيادة الى حمودة ادريس وهو من أبناء البقارة ، وأما أهل النيل فانهم توفعوا استمرار تقدم الجيش المصري فيالزحف نحو السودان وكتب شيوخ السكوت وزعماء المحس والمناصير والجعليين الذين كانوا بالشمال مع الحملة الى السلطات الانجليزية المصرية يعربون فيها عــن رغبتهم في التسليم وتقديم المساعدة لاعادة سلطة الخديوي (٣٤) .

وترتب على هزيمة الانصار في توشكي العديد من المضايقاتالتي تعرض لها الشمال من جيوش الانصار المنهزمة والتي كانت تعاني مــن نقص شديد في المواد الغذائية والتي لم تجد وسيلة للغذاء الا عن طريق الاعتداء على ممتلكات الاهالي الذين أرسلوا الشكاوى للخليفة والذي قام بدوره باصدار المنشورات المشددة في منع الاعتداء والظلم .وفي هذه الفترة حاول الخليفة ممارسة سياسة التسامح والتراضي مع أهلالشمال

---

(٣٢) مهدية ٥٩/١/١ ، رسالة من عبد الرحمن النجومي الى الخليفــة عبدالله بتاريخ ٦ محرم ١٣٠٦ هـ.

(٣٣) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١١٠٩

(٣٤) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 165.

ليكسب ودهم ويخفف من سخطهم وقام بتعيين محمد خالد زقل عاملا على دنقاه وآزره بعلي ود سعد وعثمان محمد عيسى كما قام بنعيين محمد عثمان أبي قرجة في العمالة مع عثمان دقنة في شرق السودان وغرضه من ذلك ارضاء الاشراف من ناحية وارضاء الهدندونة من ناحية أخرى ، اذ ان الهدندونة تضرروا من حكم عثمان دقنه الصارم فعهد الى عتمان دقنة القيام بالاعمال الحربية وأن يقوم محمد عثمان أبي فرجة بالاعمالالادارية ولم تنجح هذه السياسة ورمي ابي قرجة بتهمة التواطؤ مع حاكم سواحل البحر الاحمر (٣٥) .

والسبب المباشر لتعيين محمد خالد في دنقلا هو النزاع الذي حدث بين يونس الدكيم ومساعد قيدوم فاستدعى الخليفة عبداللهيونسالدكيم الى أم درمان وسمى محمد خالد عاملا على دنقلا في ٢٥ شعبان ١٣٠٧ ﻫ ولم يكن هذا الاجراء مرضيا لمساعد قيدوم. وان المرء ليحتار في اصرار الخليفة على انفاذ مساعد الى الشمال رغم المشاكل والمنازعات التـي حدثت بينه وبين النجومي وبين يونس الدكيم وأخيرا محمد خالد .

لقد تسبب جود فرق من أبناء البقارة وأبناء النيل في دنقلا في كثير من المنازعات ، وقد كان قادة كل من الفريقين منحازين لابناء صلتهم ولم يحدث بينهم أي انصهار وتجانس أو تفاهم حول العمل المشترك بينهم . فعندما كانت جيوش المهدية معسكرة في مدينة دنقلا طلب قائد كتـائب الاستكشاف في صواردة مددا من الجيش الموجود في ديم دنقلا فـأصر مساعد قيدوم بأن يكون المدد من رايات أولاد البلد وأصر وكيل رايـة أولاد البلد وهو محمد الطيب البصير أن يكون المدد من أولاد العرب فأدى ذلك الى صراع وخصام بين القائدين مساعد والبصير ، وعندمـا

---

(٣٥) Holt, The Mahdist State in the Sudan, P. 165.

عاد محمد خالد الى الديم نقض أوامر مساعد قيدوم وأصدر أوامـره بعمل عرصة عامة ، وأدى هذا التصرف الى غضب مساعد قيدوم فبدأ في احاكة المؤامرات وخلق المشاكل لمحمد خالد . واتفق مع قائد الجهاديـة عربي دفع الله وتقدما بشكوى لمحمد خالد يعربان فيها عن عدم رضاء الجهادية والبقارة عن الرواتب والتعينات التي تصرف لهم ولكن محمـد خالد لم يعر هذه الشكوى أي اهتمام مما زاد من سخط مساعد قيدوم وحنقه على محمد خالد وأولاد البلد وبدأ يفكر في عملية اغتيال محمد خالد وجميع أولاد البلد واتفق مع عدد من الجهادية والبقارة للقيام بهذا العمل وتعاهدوا فيما بينهم على تنفيذ هذا المخطط بالقسم على المصحف الشريف ، ولكن محمد خالد علم بالمؤامرة فسعى الى تجريد الجهادية من أسلحتهم فلم ينجح في هذا ، بالاضافة الى انه فشل في عملية عزل الجهادية عن عربي دفع الله وتنحيته عن قيادتهم ، وكتب الطرفـان الى الخليفـة عبدالله يخبرانه بما حدث وكل منهم حاول أن يرمي اللوم على الجانب الآخر ، وذهب عربي دفع الله الى الحد الذي اتهم فيه محمد خالد بـأنه يعمل على افساد الجهادية ويعد العدة للهروب الى مصر [٣٦] .

أدان الخليفـة محمد خالد وحمله مسؤولية النزاع الذي وقـع وسط جيشه واتهمه بالتقصير في اداء واجباته وعدم القيام براحة الجيش مما دعا عددا كبيرا من أبناء التعايشة الى هجر الجبهة والوصول الـى أم درمان ، وأمره بأن تكون رئاسة مساعد قيدوم وعربي دفع اللهقاصرة على الجهادية وحدهم ، أما أولاد العرب فتولى رئاستهم العريفيالربيع.

ورغم هذه الاجراءات فان المنازعات استمرت بـين محمد خالـد ومساعد قيدوم وعربي دفع الله مما جعل الخليفة يرسل وفدا من الامناء

---

(٣٦) مهدية ، ١/١٠ ص ٢٢٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمـد خالد .

في مارس ١٨٩١ م للنظر في أمر هذا النزاع وكان من بين الامناء يونس الدكيم عامل دنقلا السابق • وصل الامناء دنقلا في شهر ابريل وطلب الخليفة من كل من مساعد قيدوم وعربي دفع الله بالحضور الى أمدرمان وتولى يونس الدكيم رئاسة الجهادية وأولاد العرب، ثم بعد ذلـك طلب الخليفة محمد خالد الحضور الى ام درمان حيث قدم الى محاكمة قضت بسجنه وأسند الخليفة عمالة دنقلا بأكملها ليونس الدكيم حلا للمنازعات• ويقال بأن فترة حكم يونس الثانية لدنقلا كانت أحسن حالا من الفترة الاولى حيث عاد كثير من الهاربين الى دنقلا ، وورد في تقارير المخابرات ان عددا كبيرا منهم طلب الاذن بالعودة في اغسطس ١٨٩١ م •

فتنة الاشراف

وفي هذا العام أي عام ١٨٩١ م وصل تذمر الاشراف في أم درمان الى درجة انهم دبروا خطة للتخلص من الخليفة .

فقد الاشراف كل الوظائف الهامة في الدولة ، وأبعد الخليفةعبدالله كل المتعاطفين مع الاشراف من مناصب بيت المال والقضاء وأصبح الامر كله بيد أولاد العرب . وتعرض الخليفة شريف للاضطهاد وابعد عن المكانة التي كان يعتقد بأن له الحق فيها لسبب تقلده خلافة الكرار وأبناء المهدي لم يعد لهم ذكر،وأصبحت زوجاته في حالة من العوز،وبسبب سيطرة البقارة على الموقف فقدت القبائل النيلية نفوذها السابق كما فقدت ممتلكاتها وأراضيها وأصبحت حياتهم تحت رحمة البقارة ، وكانت الاراضي الزراعية عرضة للمصادرة ، كما ان زكاة العشور كانت تصل الى أكثر من نصف المحصول لتعدد جباتها بواسطة رجال بيت المال وتضرر التجار من المكوس التي كانت تؤخذ منهم على أكثر طول الطريق وأصاب أصحاب المراكب الضرر بسبب الاستيلاء على مراكبهم والمراكب التي كانت تنجو من الاستيلاء عليها تتعرض لضرائب باهظة ، وتعرض لنفس المتاعب أصحاب الجمال . وبالاختصار فان الظلم كان واقعا على أهل النيل بسبب هذه الضرائب المتعددة . ويرى بعض المعاصرين لهذه الاحداث ان الاشراف وأولاد البلد كانوا حانقين على الخليفة بسبب المظالم التي ذكرناها آنفا . وقد كان سجن محمد خالد الشرارة الاولى

المباشر لاعلان تذمر الاشراف بصورة علنية مما جعل الخليفة عبـدالله يدعو الى اجتماع للنظر في مظالم الاشراف ، وقد حضر هذا الاجتماع الى جانب الخلفاء الثلاثة قاضي الاسلام وعقد الاجتماع بمنزل أحمـد شرفي . ويقال ان الخليفة شريف عدد في هذا الاجتماع المظالم التي يعاني منها الاشراف في حالة من الغضب كادت أن تؤدي الى صدام بدني الا أن الخليفة عبدالله استطاع بمعاونة الخليفة علي ود حلو وقـاضي الاسلام التمكن من الوصول الى اتفاق غير انه لم يحدث أي تغيير في مـوقف الجانبين المتنازعين .

وما فتيء الخليفة عبدالله يضيق على الخليفة شريف واهله الاشراف حتى نفذ صبرهم فكونوا جمعية سرية للقيام بقتل الخليفه عبداللهواستلام ازمة الامور بالقوة وقبل القيام بتنفيذ الخطة علم الخليفة عبدالله بأخبارها فاتخذ الاحتياطات اللازمة لتأمين نفسه وأخذ بدوره في عمليات التخطيط للتنكيل بالاشراف ولما علم الاشراف بأن سرهم قد انكشف أسرعوا الى القيام باعتداء مسلح على الخليفة قبل أن ينكل بهم احتل الاشراف قبـة المهدي والمنازل المجاورة لها وامدوا اتباعهـم بالسلاح والذخيرة وقبـة المهدي قريبة جدا من منزل الخليفة لا يفصلها منه سوى شارع صغير لها، بلغ طوله اكثر من عشرين مترا وقام الخليفة عبدالله بحركة مضادة فوزع الاسلحة والذخيرة للملازمين وجعلهم في حالة استعداد تام لمواجهـة اي اعتداء على حياته كما ارسل بعضهم الى احياء أم درمان المختلفة لمراقبـة الاشراف ومنع وصول أي امدادات اليهم وأمر أهلـه التعـايشة باحتلال الساحة الواقعة بين منزله ومنازل الاشراف وامر اخاه يعقوب ان يقيم في المسجد بجيشه أي في الجهة الغربية لمنزل الخليفة عبدالله نفذت كل هذه الاجراءات في ليلة الاثنين ٢٠ ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ ٢٣ / نوفمبر ١٨٩١م ولم يتعجل الخليفة عبدالله الامور بالهجوم على الاشراف وانما اتخـذ خطة دفاعية ولم ييأس من فض النزاع بالطرق السليمة .

ارسل وفدا الى الاشراف برئاسة الخليفة على ود حلو يدعوهم الى الصلح واجابة مطالبهم لم يقبل الاشراف الصلح ، وبـدأوا الاعتـداء باطلاق النار على منزل الخليفة عبدالله فرد عليهم انصار الخليفة عبدالله بالمثل واستمر الاشتباك نحو الساعة ورغم ذلك فان الخليفة لم ييأس من الصلح اذ أنه ارسل وفدا آخر للاشراف معرضا عليهم الصلح واجـابة مطالبهم وفي هذه المرة استجاب الاشراف لعرض الخليفة عبدالله ولكنهم طالبوا اولا بمعرفة الشروط التي سيتم بموجبها الصلح وحرصا من الخليفة على تحقيق الصلح لم يضع شروطا للصلح وانما اعطى الاشراف الفرصة أو الحق في وضع الشروط التي يريدونها وبذلك تم الوصول الى اتفاق يوم الاربعاء ٢٠ نوفمبر وتعهد الخليفة عبدالله بتنفيذ شروط الصلح كما طلبها الاشراف وهي العفو عن جميع المشتركين في التمرد وان يجعـل الخليفة محمد شريف مقاما يليق به ويخلي له في مجلسه كرسيا وأن يرد له راياته التي اخذت منه في عام ١٨٨٦م وان يخصص له ولاولاد وزوجات المهدي راتبا شهريا من بيت المال وقد استجاب الخليفة لكل هذه المطالب ولكنه اشترط شرطا واحدا كـان بالنسبة له مهما وضروريا وقـد تردد الاشراف في الاستجابة الى هذا المطلب وهو ان يسلم الاشراف سلاحهم ويطيعوا الخليفة عبدالله طاعة عمياء ورغم اجازة الوفاق فان الخليفة ترك الملازمين في ساحة المسجد مسلحين لمقابلة لمقابلة أي انتكاسة من جانب الاشراف .

ورغم هذا الوفاق فلم يكن الخليفة مطمئنا الى صدق نية الاشراف ويستدل على هذا الاتجاه من الرسائل التي ارسلها الخليفة الى عماله بعد وفاق الخلفاء وفيما يلي ننقل جانبا من الرسالة التي وجهها الى قريبه احمد علي عامله على القلابات (نعلمك أيها المكرم ان الاشراف وان كنا اخبرناكم بانهم ندموا وحضروا لطرفنا وطلبوا العفو والامان وامناهم لكن المترائى انهم في ذلك مصرين على فكرهم واراداتهم المفسدة في الـدين

فيلزم ابها المكرم ان تكون في السر على غاية الحذر والتيقظ والحزم في امرك ولا تدخل عايك اي غفلة حتى يدخل الفشل في الدين بل كن على حذر نام في سرك وافتكار لاحوال الجيش الذي معـك والاهالـي اذا حصلت اي شوشرة في جهة فبادر واحزم امرك حسب المطلوب ولا تدخل عليك الغفلة كلية كلية ... » [٣٧] .

وبعد عشرين يوما من ابرام الصلح اطمأن الخليفـة للموقف فألقى القبض على احمد سليمان امين بيت المال السابق ومحمد فوزي محمـود واخيه احمدي وآخرين ثم ارسلهم الى الزاكي طمـل في فاشوده وامره بالقضاء عليهم فقتلهم شر قتلة . وبرر الخليفة عدم التزامه بشروط العفو بحضرة نبوية أصدرها في منشور جاء فيه « ثم قال لي (أي المهدي) ان احمد سليمان واحمد النور واحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزي وأحمدي وصالح سوار الذهب فليكن حبسهم فقلت للمهدي (عم)ان اهل الظاهر يفكرون على ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقـال لي المهدي (عم) ان الحق معك وأهل الباطن معك فاحبسهم واتـل على الاصحاب المنشور المحرر منا في حقك .. » [٣٨] ومن الجدير بالملاحظة أن الحضرة تشير الى حبسهم وليس الى قتلهم وتم القتل بعيدا عـن أم درمان خوفا من الاثارة .

عضب الخليفة شريف لمقتل انصاره وامتنع عن صلاة الجماعةوالجمعة وبعمله هذا اعطى الفرصة للخليفة عبدالله لمحاكمته والزج به في السجن في ٢ / مارس ١٨٩٢ وكانت المحكمة مشكلة من اربعة واربعين قاضيا ولعل

---

(٣٧) رسالـة من الخليفة عبداللـه الى محمد علي بتاريخ ٢٤ ربيع آخر ١٣٠٩ هـ .

(٣٨) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، المنشورات ٢ ، ١٠٢ ، ١١٠

الخليفة اراد بذلك ان يشرك معه اكبر عدد من رجال القبائل والاتجاهات المختلفة لعزل الاشراف واداتهم على مستوى اوسع (٣٩) .

وبعد سجن الخليفة شريف عاد الاشراف الى الموقف السياسي العاجز الذي كانوا عليه في عام ١٨٨٦ وقد ظل الخليفة محمد شريف سجينا حتى عام ١٨٩٦م واطلق سراحه بعد ان استعاد الجيش الانجليزي المصري دنقلا وأوجب الخطر الخارجي على الخليفة عبدالله استرضاء خصومه لتوحيد الجهد لمقابلة الخطر المحدق به (٤٠) .

وهكذا انتهت قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف والتي بدأت منذ حياة المهدي ، حيث حاول الاشراف الاستئثار بالسلطة الا أن الخليفة عبدالله تفوق عليهم في هذا المجال اذا اعتمد على جهوده في نشر دعوة المهدية والعمل على اعلاء شأنها مما اكسبه رضاء المهدي واعطاه المرتبة الثانية في المهدية بتقليده خلافة الصديق ومنصب امير امراء المهدية وبعد وفاة المهدي استطاع الخليفة عبدالله تولية الامر من بعده وعمل على تصفية قوة الاشراف وابعدهم عن السلطة بصفة نهائية .

وبالقاء نظرة عامة على قصة الصراع بين الخليفة عبدالله والاشراف لا نجد صراعا مسلحا ما عدا المناوشة البسيطة التي حدثت في ايام فتنة الاشراف بأم درمان ولكن الخسارة التي لحقت بدولة المهدية من جراء هذا الصراع ، كانت لها آثار خطيرة .

---

(٣٩) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ١١٦٧ .
(٤٠) هولت ، دولة المهدية ، ترجمة هنري رياض وآخرون ، ص ٩٧

سياسة الخليفة عبدالله نحو الاشراف

تولد من التنافس بين الاشراف والخليفة عبدالله نوع من عدم الثقة بين الطرفين وكان المهدي يوازن بينهما اسند جميع الوظائف الهامة في الدولة للاشراف واولاد البلد وفي الوقت ذاته ركز كثيرا من السلطات في يد الخليفة عبدالله وطلب من جميع الانصار ان ينقادوا لاوامره وتنفيذها والواقع ان الاشراف لم يلتزموا بهذه الاوامر وظلوا في عدم الاذعان للخليفة الى أن آلت الامور اليه وحاول .. الاشراف المحافظة على مكانتهم المميزة الا ان الخليفة عبدالله وضع خطة لحرمانهم من الوظائف الكبيرة التي تساعدهم في فرض وضع مميز في الحركة ولم يلجأ الخليفة عبدالله الى عزل الاشراف من الامارات بطريقة انتقامية وانما كانت هذه العمليات تتم في داخل اطار السياسة المقررة لاعمال الهجرة والجهاد وهذه السياسة افادته كثيرا في تفادي الصدام المباشر بين المحاربين من اولاد البلد واولاد العرب كما افادته في الاستفادة من عامل الزمن واعداد الخطط لتنفيذ ... سياسته الرامية الى التخلص من الاشراف واولاد البلد ورغم انه نجح في تنفيذ هذا الهدف الا أنه فقد قدرات اولاد البلد في الاعمال الادارية كما تكبد خسائر كبيرة في تحقيق الهجرة الاجبارية لاولاد العرب .

وفي الوقت الذي كان يصدر فيه الخليفة عبدالله الاوامر الى رايات أولاد البلد بالهجرة الى أم درمان والى الجهاد كان يكاتب أعوانه بالعمل على مراقبة الاشراف واجلائهم من غرب السودان لعدم ثقته فيهم .

ويمكننا معرفة رأي الخليفة عبدالله في محمد خالد من الفقرة التاليةوالتي وردت في احدى رسائله الى حمدان ابي عنجه ...

أما الامر الذي حررنا اليكم في شأنه مع الحبيب مدثر (يقصد المدثر ابراهيم كاتم سره) فنظر لكون صاحبه (يقصد محمد خالد) على بعد من المهدي عليه السلام وهنا لم تكتمل تربيته على يد سيد الجميع وكذلك من معه ومعلوم انه أي المذكور بين الذين لهم رغبة كاملة في الرئاسة والدنيا ومن الذين لا يرضون التخلي عن ذلك وثم لم تزل الخشية من جهته والشفقة عليه فاذا يلزم حبيبي على حسب ما حرر لك آنفا أن تكون على غاية من اخذ الحذر والتربص والاستعداد التام لتنفيذ ما سبق التحرير عنه [41] .

كان الخليفة عبدالله محقا في تقييمه لمحمد خالد فقد كان موظفا بالادارة التركية المصرية وقبل ذلك كان تاجرا فلا يستغرب عنه حبه للرئاسه وجمعه للثروة وهذا يتنافى مع دعوة المهدية كما كان لدى الخليفة عبدالله من الشك وعدم الثقة في الاشراف ما يدفعه الى عدم الاطمئنان من موقف محمد خالد .

ويبدو ان اهتمام الخليفة عبدالله بأمر اجلاء محمد خالد من دارفور جعله يتقاضى عن النظر للمخاطر الاخرى التي تبرز بعد جلائه ولم يتم اخضاع درافور للادارة التركية المصرية الا في عام ١٨٧٤ م ولم يزل المطالبين بعرض سلطنة الفور يطمعون في استعادته وكان حسن السياسة يقتضي عدم خلق اضطراب في هذا الاقليم بسحب محمد خالد منه بحجة الاشتراك في فتح الخرطوم وغيرها ولم يكن هناك داع في استعمال

(٤١) مهدية ١ م ١ ص ١٠٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى حمدان ابي عنجة بتاريخ جماد آخر ١٣٠٣ هـ .

الجيش من الجهات الاخرى وانما كان الموقف يقتضي تدعيم القــوة في دارفور خاصة وان دارفور لم تكن خاضعة خضوعا كليا لمحمد خالد ففي جنوب دارفور وكان مادبو يسيطر على المــوقف والذي اشترك اشتراكا فعليا في حركة المهدية واستجاب للدعوة بدون تردد لعدم رضائــه عــن الادارة التركية المصرية قابل مادبو المهدي في قدير في عدد كبير من اتباعه واشترك في واقعة الشلالي وعينه المهدي اميرا على الزريقات فعــاد الى جنوب دارفور واعلن الثورة على الحكومة وقد اسهم الزريقات اسهامــا فعليا في الثورة وتطلعوا الى حياة الاستقلال عن أي سلطــة مركزية ولم يكن من المتوقع ان يخضعوا لمحمد خالد الذي لم يكن حازما بصفة عامة مع البقارة [٤٢] وكان الخليفة عبدالله يشير عليه دائما بملاطفة البقــارة بصفة عامة والتعايشة بصفة خاصة [٤٣] .

وفي وسط دارفور كانت قبائل الفور تتطلع الى الانعتاق من سلطــة الحكومة المركزية ايا كانت هويتها وقد اعطى محمد خالد الفرصة ليوسف ابراهيم لمحاولة استعادة امجاد ابائه من سلالة الفور حينما عينه وكيــلا على دارفور وسنتعرض لهذه المسألة في جانب آخر من هذا البحث ولم تكن قبائل الجهة الشمالية الغربية من دارفور متحمسة لدعوة المهدية مما دفع محمد خالد الى ارسال الحملات التأديبية بقيادة عمر ترحو لاخضاع قبائل تلك المنطقة [٤٤] .

ويلاحظ ان جزءا كبيرا من قوات محمد خالد كان من ابناء العرب الذين لا يطمئن الى ولائهم اذا ما حدث صدام مسلح بينه وبين الخليفــة

---

(٤٢) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٦٦
(٤٣) مهدية ١/١٠ م ١ ص ٥٦ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمــد خالد بتاريخ ربيع أول ١٣٠٢ هـ .
(٤٤) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٦٥

عبدالله وقد حاول عزل الجهاديـة من محمد خالـد . اشار على محمد سليمان قائد الجهادية في جيش محمد خالد ليعمل اتصالات وعلاقات مع حمدان ابي عنجه ولعل ذلك كان تمهيدا لسحبهم من جيش محمـد خالد وضمهم الى حمدان ابي عنجه ومن الطريف أن محمد سليمان لـم يفطن لغرض الخليفة فعرض خطاب الخليفة على محمد خالد (٤٥) .

وقد تشكك بعض المؤرخين في القصة التي تقول بأن الاشراف كانوا يراسلون محمد خالد ويعدون منطقة الجزيرة لجيشه وذكروا بأن ليس هناك دليل على وجود اتفاق بين محمد خالد والاشراف لتنفيذ هذه الخطة ويبدو من تصرفات محمد خالد بأنه كان يفكر في نفسه والحياة التـي نعم بها في دارفور ولذلك بادر الى تسليم نفسه عندما بدر له ضياع مـا كان له دون أن يبدي شيئا يدل على ارتباطه بانقلاب معد (٤٦) .

ورغم أن الخليفة عبدالله استطاع تصفية الاشراف وازال خطورتهم الا انه من جهة اخرى فشل في تحقيق مآربه السياسية ومع تقديرنا للظروف التي كان يعمل فيها الخليفة عبدالله وتكوين شخصيته قبل المهدية وبعدها الا أننا نرى بأنه حطم خصومه السياسيين الذين كان يمكنه الاستفـادة منهم مع ازالة خطورتهم دون شخصياتهم وطبقتهـم فمثلا لم يكن مـن الحكمة في شيء أن يحطم الخليفة عبدالله الاشراف وزعماء اولاد البلد جملة واحدة كان حسن السياسة يقتضي الاستعانة ببعضهم على حساب الآخرين فقد افقد تحطيم الاشراف دولة المهدية عنصرا هاما مـن عناصر القوة البشرية التي كان لديها الاستعداد للقيام باعمال الدولة اذ انهـم

---

(٤٥) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهم ، الحركة الفكريه في المهدية ،ص ٣٢

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٣٢

كانوا يمثلون الطبقة المستنيرة في البلاد وحرص الخليفة عبدالله على الاستعانة بهم في مهمة الكتابة والواقع ان الخليفة عبدالله فقد مقدرتهم السياسية والادارية واصدق مثال لذلك اعمال محمد خالد ، فقد استطاع أن يخلق علاقات ودية مع امراء الممالك الاسلامية في السودان الغربي وبعد مغادرته لدارفور تحرك امراء الفور والامارات المجاورة مما استنفذ كثيرا من جهد عثمان آدم ومحمود ود احمد ولقيت حركة أبي جميزة معاونة من هؤلاء الامراء .



القبائل المعارضة

حرص الخليفة عبدالله على هدم الزعامات القبلية وهدفه تحويل الولاء القبلي الى ولاء ديني واعتبر زعماء القبائل عقبة كأداء في سبيل تنفيذ هذا الهدف واتهم زعماء القبائل بحبهم للرئاسة واهتمامهم بالاغراض الدنيوية، ويتساوى في ذلك الزعماء الذين ايدوا الدعوة واشتركوا فيها والزعماء الذين عارضوا الدعوة فلحق بهم الجزاء من ايام المهدي وكان الخليفة عبدالله اليد المحركة للتخلص من زعماء القبائل في حياة المهدي كما حدث للمنة اسماعيل وعجيل الجنقاوي [1] .

ولما كانت دعوة المهدية حركة ثورية ضد نظام قائم كان لا بد لها من القضاء على دعائم وركائز النظام السابق وزعماء القبائل كانوا موظفين في الادارة السابقة الى آخر اللحظات ، والبعض الآخر عندما تبين له أن الحكومة فقدت قواعدها وبدأت تخرج من البلاد ، تقدم الى المهدي وأخذ البيعة والبعض منهم أرسل اخوته أو ابناءه لمبايعة المهدي ، وبقي في مكانه ينتظر عملية التحول وفريق ثالث لجأ الى عملية اللعب على الحبلين.

ولم يكن زعماء القبائل على دراية تامة بالالتزامات الجديدة التي ستفرضها عليهم ثورة المهدية بعد نجاحها والذي ادى الى تغيير جذري في التنظيم القبلي واضطرت القبائل الى ترك حياتها التقليدية وهجرت وسائل

---

(١) انظر البحث : الصفحات ١٦٨ — ١٧٤

معيشتهـا وعملت بالجهاد ولقد كان مـن الطبيعي أن تختـلف قيادات المجموعات القبلية أيام الثورة وهي تلعب دورا غير ذلك الذي ألفت عليه مع القيادات السابقة اذا اصبح مصدر الرئاسة هو الولاء والبذل في سبيل نشر الدعوة وليس الصلات القديمة .

ولسبب معارضة بعض القبائل لهذه الالتزامات الجديده مـن هجره وجهاد ودفع زكاة ، اضطرت السلطة الجديدة الى الاعتماد على قبائـل معينة في تنفيذ سياستها وفق المفهوم الديني الذي تتدين به كما أن المقاومة تنوعت وتعددت على حسب قوة وضعف القبائل المتمردة وتباعدت مناطقها مـن بعضها البعض فلم يحدث نـوع من التنسيق بين زعماء القبائـل المعارضة .

وبعض زعماء القبائل الذين ايدوا حركة المهدية منذ البداية كـانت لهم مظالم ضد الحكومة السابقة اما بسبب العزل من رئاسة القبيلة كما حدث لمادبو علي زعيم الزريقات [٢] ومثـل زعماء القبائل الصغيرة الذين اخضعتهم الحكومة السابقة ووضعتهم تحت رئاسة قبائل كبيرة وفريـق آخر من القبائل مشى مع تيار الثورة تخلصا من الضرائب وقبضة الحكومة المركزية .

والثورة المهدية التي أبطلت الطرق الصوفية ورفعت المذاهب الاربعة لم تتورع عن القضاء على الزعامات القبلية بمفهومها السابق وامتيازاتها فالمهدية تنادي .. بالزهد في الدنيا والطاعـة العمياء للمهدي وخليفتـه بالاضافة الى أن المهدية خلقت زعامات جديدة ، مثل الخلفاء والعمـال والامراء والمقاديم والنقباء وقضاة الشرع وامناء بيوت المال ، اما زعماء القبائل فقد اصبحت مهمتهم منحصرة في استنفار اهاليهم للهجرة ، ومـن

---

(٢) سلاطين السيف والنار في السودان (طبعة أم درمان) .

يتوانى عن اداء هذه المهمة يتعرض للعقاب الصارم ، السجن او الموت .

لقد كان للموقع الجغرافي وانتشار ديار القبائل في اراضي السودان الشاسعة اثر كبير في تحديد موقف القبائل من دعوة المهدية وقد تلـــون هذا الوجود المكاني بمعتقدات صوفية وتأثر بعوامل اقتصاديـــة حسب موقع ديار القبائل وبتفاوت قوة وضعف هذه المؤثرات حسب موقع ديار القبيلة من الطرق والمنافذ التجارية ونلاحظ بصفة عامة ان القبائـــل التي انكرت دعوة المهدية وعملت على معارضتها هي قبائل الابالة من كبابيش وعبابدة وشكرية وبجة وهي القبائل التي تسكن في الجزء الشمالي الممتد من الشرق الى الغرب ولديها مداخل الى ثغور السودان من جهات الشرق والشمال والغرب ، ووجدت مساعدات من القوات الانجليزية والمصريـــة والتي كانت موجودة في سواكن وحلفا .

اما قبائل اواسط السودان حول منطقة الجزيرة فقد كانت قبـــائل رعوية وزراع يمازجون بين الحضارة والبداوة وكانوا واقعين تحت تأثير رجال الطرق الصوفية ولبعدهم عن الثغور لم تكن لـــديهم اتصالات أو مصالح تجارية خارج السودان وانما كان نشاطهم داخليا واسواقهم رائجة بتجارة الذرة والتي كانت تنتج بكميات وفيرة لخصوب أرض الجزيرة وكانت السلطات ترهقهم بدفع الضرائب مما جعلهم يسرعون الى تلبيـــة دعاة الثورة من زعماء الطرق الصوفية التي كانت الجزيرة ملأى بهم[٢] . وقد تعرضت قبائل الجزيرة الى خسائر فادحة في الارواح والاموال بسبب تعرضهم للحملات العسكرية التي شنتها عليهم الحكومة مـــن الخرطوم وسنار لقربهم من مناطق نفوذ الحكومة .

وتعرضت قبائل الجزيرة للمضايقات لنفس هذه الاسباب مـــن جانب

---

(٢) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ص ٦٧٠

المهدويين مما جعلهم يعارضون سلطتها بعد أن كانوا من اوائل المناصرين لها .

أما قبائل جنوب كردفان وجنوب دارفور فكانت لها مظالم ضد الادارة التركية المصرية لسبب تحريم تجارة الرقيق وبأسباب الضرائب التي كانت تجنى منهم وهم أعراب بادية لا يدينون بالولاء للطرق الصوفية والتي لم تستطيع التوغل في ديارهم وبحسب طريقة حياتهم وبسبب عملهم في تجارة الرفيق تمرسوا على الحروب والاغارة ولذلك وجدت فيهم دعوة المهدية أرضا بكرا لغرس مبادئها ووجدت فيهم النصرة للحركة(٣).

اما قبائل شرق السودان ، فقد كانت مناوئة لدعوة ... المهدية بسبب قوة نفوذ طريقة الختمية في تلك المناطق وللمنافع التي كانت تجنيها القبائل القاطنة حول سواكن خاصة قبيلة الامرار التي وقفت الى جانب زعيمها محمود علي والذي كان يحمل لقب البكوية ويتقاضى مرتبا من الحكومة المصرية وقد اشترك برجاله مع جند الحكومة ضد قوات المهدية بداية بواقعة قباب الى نهاية رحيل عثمان دقنه من المنطقة (٤) .

وبتأثير نفوذ الختمية اشترك بنو عامر والحباب .. والحلنقة في جهات كسلا وطوكر (٥) .

ويعزى نجاح عثمان دقنه في نشر دعوة المهدية الى قوة شخصيته وانتمائه الى طريقة المجذوبية ، التي كان يدين لها بالولاء قبائل الهدندوة ووجد في اتباع الشيخ الطاهر المجذوب قوة للدعوة ورغم أن عثمان دقنة

---

(٣) Holt, P. M The Mahdist State in the Sudan, P. 118.

(٤) الدكتور ابو سليم ، محمد ابراهيم ، مذكرات عثمان دقنه ص ٨٤

(٥) Vool, John Obert, A History of the Khatmiyya in the Sudan, P. 281.

سيطر على منطقة شرق السودان فانه لم يستطيع دخول سواكن وظـل محاصرا لها لمدة طويلة الا انه اجلي عنها وفي عام ١٨٩١ فقد طوكر وحدث نزاع بين قبائل الهدندوة والقبائل الاخرى مـن البقارة واولاد البلـد والجهادية امتد الى رؤسائهم [٦] .

هذا باختصار وضع موقف القبائل من حركة المهدية ولـكن ظهرت عوامل اخرى اثرت فيمجرى الحوادث ، من اهم هذه العواملالانتصارات المبكره التي حققها المهدي وانصاره على جند الحكومة . وسياسة اخلاء السودان والتي اعلنها غردون باشا في بربر اثرت في موقف بعض القبائل وكبار الشخصيات مثل محمد الخير عبدالله خوجلي والذي تـولى نشر الدعوة في منطقة الجعليين .

ومع نجاح الحركة وتطورها ، انتقلت من مناطق القبائل التي قامت على اكتافها الحركة وانتقلت الى مناطق معادية من جانب القبائل ومعادية من جانب الطبيعة حيث ان الاراضي الزراعية عبارة عن شريط علىشاطىء النيل ولا تكفي للمقاتلين وخيولهم ومن جهة اخرى انقسمت القبائل الى فريقين هما اولاد العرب واولاد البلد لسبب تقسيم الرايات والمنافسة بين الخليفة عبدالله والخليفة شريف وسنتناول دراسة موقف كل مجموعة من حركة المهدية على حدة .

---

(٦) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 168.

القبائل المعارضة

وقفت بعض القبائل ضد حركة المهدية ، رغم الانتصارات العسكرية التي كسبها انصار المهدي ورغم النجاح الذي حققته الثورة المهدية في سرعة فائقة . والشاهد ان هذه القبائل كانت منحازة الى جانب الادارة التركية المصرية وذلك لعدة اسباب ، اولها حالة الامن والاستقرار التي نشرتها الحكومة في طول البلاد وعرضها فأزدهرت التجارة وعرف الناس الحكومة المنظمة لاول مرة . وثانيا أبدعت نظاما للحكم المحلي ، أعطى زعماء العشائر سلطات واسعة في ادارة اقاليمهم وشجعت نظام الاتحادات الفدرالية بين القبائل الصغيرة لكي تصبح تحت رئاسة قبيلة كبيرة وقد ادى هذا النظام في بعض القبائل الى نتائج عكسية وادى الى نوع من التنافس بين الاسر الحاكمة الصغيرة في ملء منصب زعيم القبيلة . وتمت بعض العلاقات الودية بين كبار زعماء الاسر والسلطات الحاكمة في كل من الخرطوم والقاهرة وخير مثال لذلك آل ابي سن في الشكرية والنوراب في الكبابيش .

واستفادت القبائل المجاورة للحدود المصرية أو لميناء سواكن من عائد التجارة الخارجية التي كانت تقوم بها بين مصر والسودان كما استفادت هذه القبائل من اجور النقل والعمل بالبريد او الاشتغال بمهمة الدليل للقوافل وغير ذلك من الاعمال التي كانت تدر عائدا ماليا لهذه القبائل .

ويلاحظ ان هذه القبائل جميعها من قبائل الابالة على نقيض قبائل البقارة والتي كانت سندا كبيرا لحركة المهدية . فقبائل الابالة كانت لها مصالح تجارية واقتصادية وكانت تخشى عليها من الزوال بسبب القضاء على هيبة الحكومة وعلى خلاف ذلك كانت قبائل البقارة ، والتي كانت تنشغل برعي الابقار وتتنقل بها من مكان الى آخر وتنقلهم خلف الكلأ جعلهم يتوغلون الى المناطق الجنوبية مما جعلهم يشتركون في تجارةالرقيق ودخلوا في نزاع مع الحكومة واصبحت لهم مظالم ضدها بسبب تحريم تجارة الرقيق ومطاردة العاملين بها .

وبالاضافة الى المصالح الاقتصادية التي كانت ... تجنيها القبائل المجاورة لكسلا وطوكر وسواكن فقد كانت هذه القبائل موالية لطريقة الختمية التي وقف مشايخها ضد حركة المهدية وقد اشتركت قبائل الحلنقة والحمران والسيدرات في صد الغزو المهدوي لمدينة كسلا . وقد تعاونت قبيلة الامرار بقيادة زعيمها محمود علي الذي كان يحمل لقب البكوية مع الحاكم العام الانجليزي في سواكن لمطاردة الانصار ومهاجمتهم في طوكر وغيرها من ديوم الانصار التي كانت بالمنطقة .

معارضة الكبابيش

من اهم القبائل التي عارضت حركة المهدية قبيلة الكبابيش التي كانت متصلة تجاريا بمصر وتقطن في صحراء بيوضة الممتدة من دنقلا الى كردفان وقدر عدد سكان الكبابيش قبل المهدية بنحو نصف مليون نسمة وكانوا يملكون ثروة ضخمة من الابل والضان كما كانوا يملكون العدد الحربية من خيول وسيوف ودروع (٧) ..

لم يكن التوم ود فضل الله سالم زعيم الكبابيش متحمسا لدعوة المهديه ولم يبادر بالهجرة الى المهدي ولمشائخ الكبابيش صلات ودية مع الادارة التركيه المصرية في السودان ولهم علاقات شخصية مع الخديوي في مصر .

وقد استفادت قبيلة الكبابيش أكثر من غيرها من قبائل كردفان باستتباب الامن الذي فرضته الادارة التركية المصرية على السودان . ولم يجد دعاة المهدية في شمال كردفان تجاوبا من الكبابيش والذين كانوا يجاهرون بالولاء للحكومة التركية المصرية والبقاء على طاعتها كما كانوا يعتمدون على القبائل الموالية للمهدية . وحدث أن تعرضوا لقبيلة من جهينة ونهبوها وبلغ الامر للمهدي والذي اصدر امرا الى التوم

(٧) I, Theobold, A. B. The Mahdyia , P. 146.

وصالح [٨] ابن فضل‌الله زعيم الكبابيش وعلي بن قريش من مشائخهم ينبئهم فيه بأنهم اذا كانوا منقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامره يسلمون الى دفع الله الجهني واهله جميع ما نهبوه منه من مال ورقيق ومواشي وان ينبهوا على جميع اهلهم الكبابيش ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد المخالفة المكتاب والسنة ويتركوا نهب أموال المسلمين وأن لا يتعرضوا لاحد بعد ذلك وأن يقيموا الصلاة في أوقاتها ويخرجوا زكاة أموالهم ويحضروا عنده سريعا بدار الهجرة وفي نهاية الرسالة حذرهم من مخالفة امره الذي يستوجب مجازاتهم وخراب ديارهم [٩] .

اظهر زعماء الكبابيش خضوعا للمهدي ولكنهم كانوا يبطنون العداء ونفذوا اوامر المهدي في اعادة الاشياء المنهوبة من قبيلة جهينة ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائبا عما ظهر من قومه [١٠] وهناك دولة تقول بان المهدي علم قبل وصول حملة هكس ان التـوم ود سالم ارتد عـن المهدية وكاتب غردون وارسل اليه هدية نحو الف جمل ــ وقد ساعـد الكبابيش في حملة الانقاذ التي ارسلت في عام ١٨٨٤ لانقاذ غردون باشا .

وكان في ذلك الوقت محمد عثمان ابي قرجة ومحمد احمـد شيخ

---

(٨) صالح فضل الله سالم تولى زعامة الكبابيش بعد مقتل اخيه التـوم وقاد المقاومة ضد حركة المهدية . تعاون مع حملة النيل ١٨٨٤ ــ ١٨٨٥ م ، طارده أنصار المهدية الى ان تمت محاصرته في جبـل العين عام ١٨٨٧ م.

(٩) منشورات المهدية المطبوعة م٢ ص ٢٥ ، رسالة من المهدي الى صالح فضل الله والتوم وعلى قريش . انظر ابو سليم ، المرشد الى وثائـق المهدي ، ص ١٧

(١٠) على المهدي ، جهاد في سبيل الله ، ص ٤٥

ادريس بأرض الكبابيش لجمع الزكاة والغنائم فأرسل اليــه المهــدي الامر بالقبض على التوم ود سالم وبالفعل تم القبض عليه وارسل الــى المهدي حيث امر بحد رأسه وعين المهدي عوض السيد قريش عاملا على الكبابيش وتبعه بعضهم وهربت بقية القبيلة مع صالح ود فضل الله سالم الى المناهل في الصحراء وكان صالح فضل الله يراسل الخديوي ويطلعه على اخبار المهدية ويطلب منه العون والمد لمقاومة حركة المهدية وجاء في احدى رسائله الى الخديوي انه تسلم بعد ثلاثة شهور ردا على خطاباته وانه ممتثل للامر المطلوب منه ويعرفه بأن اهل دنقلا انحازوا لمحمد الخير لخوفهم من بطشه ولعدم وجود الحكومة التي تحميهم منه وان الكبابيش لا يتحصلون على ما يحتاجون اليه من الغلال من دنقلا لوجود محمد الخير بها ويطلب منه أن يرسل بأقرب فرصة ممكنة ثلاثــة آلاف عسكري ليضربــوا جماعة محمد الخير في الضفة الشرقية للنيل ويقوم الكبابيش بمهاجمتهم من ناحية الضفة الغربية وطلب ايضا الف وخمسمائة بندقية وجبخانــة ويخبره أيضا (بأن زقل الدنقلاوي حضر بباره ومعه واحد يسمى محمد سليمان تركاوي (يقصد محمد سليمان قائد الجهادية في جيش محمــد خالد) كلهم مخالفين لامر الشقي عبدالله والشقي عبدالله انما هو قاعد في قلة قليلة في الخرطوم واما كافة الجيوش من ميتة (وفاة) الشقي محمد احمد فرت عنهم وأغلب السودان راغبين الحكومة الاولى بالسودان فصارت تحكم بعضها البعض بعدم وجود الحكومة والحين ذا الحين) عجلــوا بالجيش المنصور لاجل قتل الشقي محمد الخير ...) (١١)

ويرى الدكتور محمد فؤاد شكري أن الكبابيش كانــوا يطمعون من قديم في الاستيلاء على مديريته دنقلا الغنية ولم تكن ثورة الكبابيش

---

(١١) ارشيف مجلس الوزراء المصري محفظة رقم ١٠٣ ملف ١/١/٢/٣، رسالة من صالح فضل الله سالم الى الخديوي (بدون تاريخ) .

في رأي كثيرين لاسقاط الخليفة عبدالله بقـدر ما كانت لاخذ دنقـلا لانفسهم [١٢] والواقع ان مديرية دنقلة هي منفذ الكبابيش الـى مصر وسوق عام بالنسبة لهم وان وجود الانصار بدنقلا ضيق نطاق الحصار على الكبابيش وجاءتهم الضربة القاضية من انصار المهدي بدنقلا فهـم الذين استولوا على القافلة التي ارسلتها الحكومة المصرية محملة بالبنادق والدخائر وكان يصحبها التاجر الالماني المغامر كارل نيوفولد [١٣] والذي طمع في انشاء تجارة واسعة في الصمغ مع كردفان الى جانب التجسس على حركات انصار المهدي لحساب السلطات المصرية وكانت فرق مـن جيش النجومي تقوم بمراقبة الطرق والمناهل المؤدية الى دار الكبابيش [١٤] .

رصد النجومي تحركات صالح فضل الله وهو الـذي رسم خطـة حصاره واقترح على الخليفة عبدالله تنفيذها في خطاب جاء فيه « .. أن نعين سرية من دارفور تقصد جهة الصباح ومن حمدان ابي عنجه ان يعين ثلاث سرايا احداها تتوجه الى البقرية لتمنعه من القدوم عليهـا والثانية تتوجه الى الصافية والثالثة تتوجه الى ام بادر والسرية التي تتعين مـن البقعة (ام درمان) تتوجه الى جبرة ومنها للصافية فمع ما مر ذكره مـن السرايا المعينة بطرقنا الى جهة علاوي والعين واقامة مكاين النور بالعقبات وقتها تصيق عليه الارض ولا يجد ملجأ ولا مهربا لحبس جميع المنـاهل عليه .. وكل سرية تتعين فلتكن سيدي من اصحاب المهدي عليه السلام

---

(١٢) الدكتور محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، ص ٣٨٤

(١٣) كارل نيوفولد (Neufold, Karl) حضر الى مصر في عام ١٨٨٧ م بغرض التجارة وصحب القافلة التي قبض عليها جماعة النجومي وهي في طريقها الى كردفان وارسل اسيرا الى ام درمان والتي ظل بها الى نهاية دولة المهدية . انشا مكتبا للسياحة في اسوان ثم عاد الى المانيا في عام ١٩١٤م.اصدر في عام ١٨٩٦م كتابا عن تجاربه اسماه: اسير الخليفة A Prisoner of the Khalif .

(١٤) الدكتور محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، ص ٣٨٤

الصادقين ، الباذلين ارواحهم لنصرة دين رب العالمين ليست من عربان وخلافهم من عربان انجلا لانهم لا سخو بصالح المخذول ولا يرضوا بقتاه وهلاكه في الباطن ولو كان لهم في ذلك أرب او قصد لما ساغ لهذا المخذول بل لمواظبتهم اياه وصرف نظرهم عما حصل منه المفسدين معه في دار الكبابيش الغير وعلمهم بذلك ما زالت اقامنه الى الآن بدار الكبابيش المعلومة فلو كانوا قاصدين نصرة الدين فيه لكانوا ضيقوا عايه الارض ... واضعفوه وأستاصلوه لكن لباطنتهم اياه وعدم الصدق واخبارهم بأحوال جيوش المهدية وتوصيلها بواسطته هو والمفسدين معه منهم الاعداء الله الكفرة ما زال مستدرج من الله وباقي على ما هو عليه فلاجل زيادة الاتضاح في شأنه مما دكر لزم عرضه ومهما يرى موافق في هذا الخصوص فترد لنا به الاشارة سيدي لاتباع العمل بموجبها والسلام[١٥].

وتدل هذه المقترحات على ان النجومي كان قائدا ممتازا وادده معلومات وتقدير لموقف العربان وكان الخليفة عبدالله قد اصدر اليه المنشورات يؤلبهم على الكبابيش.ومقاطعتهم في عملية البيع والشراء وهو نوع من الحصار الاقتصادي وذي أثر فعال بالنسبةلقبيلةالكبابيش التي كانت تعتمد في الحصول على الذرة والبضائع من الجهات المجاورة لها وهي تسكن منطقة رعوية محصورة تعتمد على المناطق الزراعية في جنوب ديارها وشرقها كما ان اعتماد الكبابيش على تربية الابل والضان وعدم اشتغالهم بالزراعة جعلهم يعتمدون في الحصول على الذرة وضروريات حياتهم الاخرى من اسواق وسط كردفان وغرب دارفور ودار حامد والجوامعة والزبادية [١٦] .

---

(٥١) مهدية ١/١ ، ١/٦ ، رسالة من عبدالرحمن النجومي الى الخليفه عبدالله بتاريخ ١٧ رجب ١٣٠٦ هـ / ٢٠ مارس ١٨٨٦ م.

(١٦) Talal, Asad · The Kababish Arab Power, Auterity and Consent in a Nomadic Tribes, London, 1970.

وأباح الخليفة عبدالله للعربان الاستيلاء على الغنائم التي يتحصلون عليها من الكبابيش وفي نفس الوقت لم ييأس من ارسال المنشورات لصالح فضل الله بصفة خاصة ولقبائل الكبابيش والقبائل الاخرى التي انضمت اليهم بصفة عامة يعفو عنهم ويرسل لهم الامان المرة تلو الاخرى ويطلب منهم الحضور الى أم درمان وكان صالح فضل الله يكاتب الخليفة عبدالله كسبا للوقت وفي نفس الوقت كان يكتب للسلطة الحاكمة في مصر يطلب منها المساعدة والمعاونة لمقاومة الخليفة عبدالله (١٧) .

استغل الخليفة عبدالله العداوة بين الكبابيش ودار حامد فاستنفر سيماوي تمساح واخاه جريجير لمطاردة الكبابيش. واورد تعليمات الى حمدان ابي عنجه لكي يثير العربان على صالح فضل الله لمنعه من الوصول الى اراضيه وبعد ذلك بشهرين ارسل رسالة ومعها انذارات نهائية لصالح بالحضور الى أم درمان وكرر الانذارات للقبائل بعدم التعاون مع الكبابيش وحذرهم من العقاب الذي سيحل بمن يخالف اوامره (١٨) وعندما استدعي حمدان ابي عنجه الى أم درمان سلم مهمة مطاردة صالح فضل الله الى عثمان آدم .

وبخروج حمدان ابي عنجه وجيشه من كردفان شعرت بعض قبائل الكواهلة والحمر بأن الفرصة مؤاتية لتعضيد صالح فضل الله فاتصلت به ومبدئة رغبتها في تقديم المساعدات مما جعله ينتقل الى منطقة أم بادر وعندما علم الخليفة عبدالله بوجود صالح في هذه المنطقة ارسل قوة من أم درمان بقيادة محمد ودنوباوي مكونة من عربان المعاليا والمجانين

---

(١٧) ارشيف مجلس الوزراء المصري محفظة رقم ١٠٣ ملف ٣ ، ايضا : المخابرات المصرية محفظة رقم ٣٣/٦/١

(١٨) مهدية ١٠/٣ ص ٢٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى صالح فضل الله بتاريخ ١٥ ربيع آخر ١٣٠٣ / ١١ يناير ١٨٨٦ م .

وأعداد من البقارة واستطاعت هذه القوة أن تضرب حصارا شديدا حول ام بـــادر .

وحاول صالح فضل الله صد هذه القوة ومنعها من الوصول الـــى منهل المياه وظل يقاومها الى أن فترت عزيمته ووهنت قوته فأفترش فروته وجلس عليها ينتظر مصيره وتقدم نحوه جريجير تمساح وجز رأسه ثأرا لدم ابيه وعمه وقتل معه عددا من اتباعه في ١٧ / مايو ١٨٨٧م (١٩) .

وأسند عثمان آدم الى عبد القادر دليل مهمة مطاردة الهاربين مـــن الكبابيش وحصرت جميع غنائم الكبابيش وارسلت الى أم درمان واهتم الخليفة عبدالله بصفة خاصة بالاوراق والوثائق التي تركها صالح بما لها من اهمية في معرفة الدوائر التي كانت تساعد صالح في تمرده ضد الخليفة عبدالله . واسندت امارة الكبابيش الى عوض السيد قريش تقـــديرا لتفانيه في خدمة المهدية (٢٠) وبالقضاء على تسرد الكبابيش تنفس الخليفة عبدالله الصعداء لان هذا التمرد كان خطيرا وكلفه الكثير مـــن الجهـــد ووجود الكبابيش في المواقع التي كانوا يحتلونها فهو تجمع لمديريات دنقلا ودارفور والخرطوم ولديه منفذ الى مصر وكان الخليفة عبدالله على علم باتصالات صالح فضل الله بالسلطـــات الحاكمة في مصر وبالاضافة الى ذلك قبيلة الكبابيش كانت القبيلة الوحيدة التي وقفت ضد تيار الثـــورة المهدية خلافا للقبائل الكردفانية الاخرى التي استجابت لدعوة المهديـــة المنتصرة من صوفية النيل ومن الثقافة المكتوبـــة التي لم يكن لقبائـــل كردفان البدوية اي صلة بها ويعزو البعض هذه الاستجابة الى مؤثرات الطريقة الاسماعيلية على زعماء الحركة التجارية في الابيض وصلاتهـــم

---

(١٩) العوض عبد الهادي ، تاريخ كردفان السياسي في المهدية ، ص ١١٨
(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٢٠

ببعض رؤساء القبائل ومشائخ حفظ القران يسرت التأثير في المجموعـــات التي أندفعت للاسهام في الحركة اشباعا لممارسة هواية الحرب والسلب والنهب .

ولم يكن في مقدور زعمائها كبح جماحها وتحويلها الى الوقوف ضد الثورة المهدية ، خاصة القبائل التي كانت في منطقة نشوب الثورة امـــا زعماء الكبابيش فقد كانت لديهم امكانيات وظروف اخرى جعلت الاسر الحاكمة تنظم تمردا على حركة المهدية . وكـــان الكبابيش بعيدين عـــن منطقة الثورة .

موقف الشكرية

ومن قبائل الابالة ذات الصلة الوثيقة بالحكومة التركية والمصرية قبيلة الشكرية التي تسكن في اقليم البطانة. وقد ركزت السلطات الحاكمة السلطة في يد الاسرة الحاكمة للشكرية على اقليم البطانة لتنفيذ سياستها القائمة على نظرية التراضي والاعتراف بسلطة زعماء العشائر وجعلهم جزءا من جهازه الحاكم وترك لهم حرية التصرف في المجالات التي لم يكن لها تأثير مباشر على الحكم ، وهذا قد أعطى زعماء العشائر سلطات مطلقة اذ ان الذي كان يمس سلطة الحكم التنظيمي مباشرة هو الولاء العام ودفع الضرائب وبتحالف الحكم التركي ـ المصري مع اولئك الزعماء صار في ميسورهم أن يحكموا حكما يستند على عصبية مجموعة صغيرة من أهل البيت المتزعم وعلى سلطة الحكومة [21] .

وظلت الاسرة الحاكمة ، عائلة أبي سن ، على علاقات حسنة مع الادارة المصرية ـ التركية واشتهر منهم الشيخ أحمد أبو سن وتولى وظيفة مدير مديرية لمدة عشر سنوات الى أن وافته المنية بمصر . ونال عوض الكريم [22] أبي سن لقب الباشوية وعين مديرا للخرطوم وسنار

(٢١) الدكتور مكي شبيكة ، السودان في قرن ، ص ١٣٣

(٢٢) عوض الكريم باشا أحمد أبو سن (ت ١٨٨٦) تولى نظارة الشكرية في عام ١٨٧٢ ثم اسندت اليه وظيفة في الحكومة المركزية بالخرطوم. أشترك مع جنود الحكومة في اخضاع قبيلة الكواهلة ، واشترك مع جقلر باشا ضد جيوش المهدية . عينه غردون مديرا للخرطوم في عام ١٨٨٤ وعندما تأكد من هزيمة غردون سافر الى منطقة ريره وبايع اخوه عبدالله المهدي وانضم للمهدية . عفا عنه المهدي وعندما عجز عن هجرة الشكرية الى أم درمان غضب عليه الخليفة عبدالله ومات في سجنه .

ونعم الشكرية بالامن الذي استتب في عهد الحكومة التركية وازدهرت تجارتهم ونمت ثروتهم ، اذ كانوا يملكون ثروة ضخمة من الابل والماعز واستفادوا من جمالهم في نقل التجارة بين كسلا وشندى كما انهم تحصلو على ثروات ضخمة من بيع الجمال وتأجيرها . ويتنقل الشكرية بأبلهم شمالا وجنوبا في أرض البطانة ويصلون الى منطقة شندى في النيل ومدينة رفاعة على النيل الازرق ، ولسبب موقعهم الجغرافي احتكوا بقبائل الجعليين والبشاريين والهدندوه في منطقة كسلا .

واستمر الشكرية في ولائهم للحكومة التركية ـ المصرية حتى سقوط الخرطوم ، تعاونوا معها في امداد كسلا بالغذاءات عند حصار المهدويين لها . وبينما ظل عوض الكريم أحمد أبو سن في ولائه للحكومة المصرية الى ما بعد سقوط الخرطوم فان ابنه عبدالله عوض الكريم انضم الى المهدي وتزعم العاطفين على المهدية في القبيلة ، وتعاونوا معها في اخماد حركات الثوار التي شبت بأرض الجزيرة عند بداية قيام ثورة المهدية . اشترك نحو ٢٥٠٠ محارب من الشكرية بقيادة زعيمهم عوض الكريم باشا أبي سن بمهاجمة أحمد المكاشفي واوقع بهم الانصار هزيمة ساحقة في المسلمية (٢٣) .

وبعد سقوط الخرطوم ذهب عوض الكريم أبي سن الى المهدي وطلب منه العفو . وظل بأم درمان حيث أمسكه الخليفة رهينة وأرسل الرسل الى قبائل الشكرية ليحضروا مهاجرين الى أم درمان . أرسل اليهم حسان أحمد ابي سن وأحمد محمد عوض الكريم أبو سن وحذرهم من التأخير (٢٤) فلم يستجيبوا للهجرة . كما ان الشكرية الذين أرسلوا

---

(٢٣) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. 60.

(٢٤) مهدية ، دفتر صادر ١١ ص ١٩٧

مع السرية الموجهة الى كسلا هربوا الى أوطانهم وأرسل الخليفة عبدالله الى عاملهم محمد حسنين بالقبض عليهم وارسالهم الى أم درمان •

تضايق الشكرية من عمال الخليفة الذين أرسلهم لتحصيل الضرائب (٢٥) كما ان أوامر الهجرة المتكررة جعلت عددا كبيرا منهم يهاجر الى بلاد الحبشة • أمر الخليفة عبدالله بالقبض على عوض الكريم أبي سن (٢٦) وسائر أفراد أسرته وقبض على نحو مئتي رجل من خيارهم وكبلوا بالحديد وزجوا في السجن حيث انتهى أمرهم بالقتل •

أما الذين هاجروا الى بلاد الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قتلوا في سجن ام درمان فان رداءة الطقس في بلاد الحبشة قضت على ابلهم وأصبحوا في حالة من الفقر (٢٧) •

وهكذا تفرقت جموع قبيلة الشكرية وفقدت وحدتها الادارية وسطونها على القبائل الصغيرة كقبيلة البطاحين التي اندفعت لتأييد الثورة المهدية •

لم يستطع الخليفة عبدالله كسب ولاء الشكرية لدعوة المهدية ، فرغم سحبه السلطة من عائلة أبي سن وتقسيم الشكرية الى عدة رايات فقد ظل الشكرية في ولائهم لعائلة ابي سن والتي عادت لحكم قبيلة الشكرية بعد انتهاء دولة المهدية •

---

(٢٥) مهدية ، ٢/١٠ ، ١ ص ٥٨ ، رسالة من عبدالله احمد ابي سن الى الخليفة عبدالله ، الحجة ١٣٠٢ هـ.

(٢٦) Holt, P. M. The Mahdist State in the Sudan, P. P. 133.

(٢٧) الدكتور محمد فؤاد شكري ، مصر والسودان ، ص ٣٨٥

موقف العبابدة

أما قبائل العبابدة فقد كان موقفها يختلف عن بقية القبائل الكبيرة والتي وقفت ضد حركة المهدية اذ ان هذه القبيلة تقطن صحراء العتمور ويوجد فرع للقبيلة بالسودان وفرع آخر بمصر ، فهم حلقة الوصل بين مصر والسودان من الناحية الشرقية الشمالية وعند حدودهم في السودان الى داخل مدينة بربر . وقد حاول كل من أنصار المهدي والسلطات الحاكمة في مصر استغلال هذه القبيلة للقيام بنقل المعلومات للمخابرات العسكرية ولقادة المهدية . والعبابدة بدورهم كانوا يلعبون على الحبلين، ومن الطريف ان زعماء قبائل العبابدة كانوا موظفين في الحكومة المصرية ويحملون لقب بك ، ويتقاضون مرتبات من الحكومة المصرية (٢٨) وفي نفس الوقت يتقاضون مرتبات من دولة المهدية (٢٩) . وقد قبلوا اجازة المهدية حسين خليفة والذي كان مديرا لبربر في عهد الادارة المصريةوسلم المديرية لمحمد خير عبدالله خوجلي ، عينهٔ المهدي عاملا عموميا على كافة قبائل العبابدة الذين بأرض الريف (٣٠) ، وعين بشير مصطفى جبران عاملا على العشاباب والشيخ كرار عاملا على الشناتير تحت عمالة حسن

---

(٢٨) المخابرات المصرية ١/٢٥/١٢٥
(٢٩) المخابرات المصرية ١/٢٥/١٢٥
(٣٠) مهدية ، دفتر صادر ٥ ص ٤ بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٠٢هـ / ١٧ فبراير ١٨٨٤م .

خليفة (٣١) وعين الحسن سعد العبادي (٣٢) وشمعون ابراهيم على العبابدة الذين بالسودان تحت عمالة محمد الخير عبدالله خوجلي ، وفصل الخليفة عبدالله عمالة العبابدة من محمد الخير وأصدر أمرا بتعيين الحسن سعد العبادي عاملا عموميا على كافة العبابدة وأصدر لهم منشورا بذلك ، وطلب الخليفة من صالح حسين خليفة أن يداري الكفار ويرسل اخبارهم اليه وانه أذن لابيه حسين خليفه بالبقاء مع الترك ليداري نفسه وأن يرسل الاخبار عن طريق ابنه صالح (٣٣).

وكانت سياسة الخليفة عبدالله الخارجية قد عرضت مصالح العبابدة التجارية والامتيازات التي سبق ان تحصلوا عليها في أيام الحكم التركي ـ المصري الى الضياع مما جعلهم يأخذون مواقف عدائية ضد المهدية وكانوا في النهاية أكبر عون للحكومة المصرية عند استعادة فتح السودان (٣٤) .

لم يدخل العبابدة في صدام مسلح مع قوات المهدية وذلك لان مقاومة العبابدة كانت سلبية بالاضافة الى ان سياسة الخليفة عبدالله نحو

---

(٣١) مهدية ، دفتر صادر ١٣ ص ١٣٨ بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٠٤ هـ / ٢٥ يونيو ١٨٨٤ م.

(٣٢) الحسن سعد العبادي (١٨٨٤ ـ ١٩٠٧) ولد بمدينة بربر وتلقى تعليمه على يد محمود الخر خوجلي ، قابل المهدي بعد فتوح الابيض، عينه عاملا على الرباطاب بجهة أبو حمد ، استدعاه الخليفة عبدالله الى أم درمان ، الف رسالة الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية ، عمل قاضيا بالمحكمة الشرعية في الحكم الثاني ، توفي بالحجاز عام ١٩٠٧ م.

(٣٣) مهدية ٣١/٢ م/ص ٨٧ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى صالح حسين خليفة بتاريخ ١٨ رمضان هـ / ١ يوليو ١٨٨٤ م.

(٣٤) ابراهيم عكاشة ، ولاية بربر في عهد المهدية ، رسالة ماجستير ، ص ٣٣

العبابدة لم تحدد بعد بسبب ان العبابدة كانوا شبه مستقلين في منطقتهم ولم يستطع الخليفة عبدالله التخلص من زعماء العبابدة التقليديين وتعيين أقاربه في محلهم كما أنه لم يستطع أن يحتل أرض العبابدة فكان تعاونه يرمي الى اضعافهم ومحاسبتهم بعد غزو مصر . وكيف كان الامر فـان قبائل العبابدة تعاونت مع السلطات المصرية في نقل انصار جيوش المهدية كما اشتركت عسكريا في عمليات اعادة فتح السودان .

القبائل التي ناصرت دعوة المهدية ثم انقلبت عليها

ناصرت بعض القبائل الكبيرة دعوة المهدية في اطوارها الاولى ثم انقلبت عليها : دفع بعضها الحماس الديني ، وبعضها سعت وراء مصالحها الذاتية وتطلعها الى الخلاص من قبضة الادارة التركية ـ المصرية . يمثل الجانب الاول قبائل الجزيرة ، ويمثل الجانب الثاني قبائل البقارة والفور والنوبا في غرب السودان ، كما ان بعض القبائل كانت تسعى للحصول على الغنائم واشباع رغبتها في الحروب والسلب والنهب .

ان ارتكاز حركة المهدية على دعوة دينية أعطى بعض مشائخ الطرق والفقهاء الفرصة لتزعم القبائل على حساب زعماء القبائل التقليديين . والذين كانوا يتوارثون زعامة القبيلة أبا عن جد ، وكذلك انقسم ولاء القبائل بين مشائخ الدين والزعماء التقليديين خاصة في المناطق التي كان فيها النفوذ الطائفي قويا . وظهر ذلك بشكل واضح في منطقة الجزيرة . أما المناطق التي كان فيها نفوذ الطرق الصوفية ضعيفا فقد انفرد عدد من زعماء القبائل بالتأثير على اتباعهم كما حدث في مناطق قبائل أولاد العرب والبقارة والفور والنوبا . حاول الخليفة عبدالله الاستفادة من زعماء القبائل في استنفار أتباعهم للهجرة والجهاد ، وفي نفس الوقت كان يعمل على التقليل من نفوذهم وكسر شوكتهم .

وبعد سقوط الخرطوم ووفاة المهدي ، رجعت أعداد كبيرة من أفراد

القبائل الى مواطنها ، وشرع الخليفة في اعادتهم مهاجرين مرة أخرى ، وأرسل الحملات التأديبية للقضاء على الزعماء الذين كانوا يعيقون طريق الهجرة خاصة زعماء قبائل أولاد العرب ، كما سبق أن أوضحنا فـان الخليفة عبدالله نجح في تنفيذ الهجرة الجماعية بأولاد العرب واستعان بهم في توطيد سلطته ، الا ان عددا من القبائل ظلت تقاوم حكمه وتـدرجت المقاومة من المواقف السلبية الى الصدام المسلح .

قبائل الجزيرة

أسرعت بعض قبائل الجزيرة في أول الامر بالانضمام لحركةالمهدية وأسهم مشائخ الطرق الصوفية بنصيب وافر في استنفار فرق منالقبائل الى جانب تطلع القبائل للتخلص من جباة الضرائب ، وبالاضافة الى ذلك فان عددا كبيرا من مشائخ طريقة السمانية كان يقطن بـأرض الجزيرة والمهدي نفسه بعد أن أخذ اجازة الطريقة السمانية من شيخه محمـد شريف نور الدائم رحل الى الجزيرة أبا مع اخوته وبنى جامعا للصلاة وخلوة للتدريس واجتمع عليه سكان الجزيرة من عرب دغيم وكنانـة وغيرهم من عرب البادية وأخذوا العهد عنه ودخل بعضهم في تلمذتـه واشتهر صيته وكثر أتباعه .

وفي أرض الحلاوين بالجزيرة كان يقيم الشيخ القرشي ود الزيـن الذي يجدد محمد احمد « المهدي » الطريقة على يده بعد خصامه مـع محمد شريف نور الدائم . وحمل لواء الثورة في الجزيرة فقهاء الطرق الصوفية الذين هرعوا الى المهدي في قدير وأخذوا منه البيعة كـالشريف أحمد طه ، من مشائخ الطريقة السمانية شرقي النيل الازرق بين أبيحراز ورفاعة فاجتمع حوله خلق كثير من البطاحين والشكريـة والجعليـين والدناقلة وغيرهم من سكان المنطقة . وفي أبي شوكة التفت جموع كثيرة من عربان رفاعة الهوى على فقيه من التكارنة يدعى محمد زين . ومـن الفقهاء الذين انضم اليهم عربان الهوى والصليحابي وود برجوب.ويشير

المهدي الى هؤلاء بأحبابه ونوابه في اقامة الدين الخليفة الشيخ عطا المنان الصليحابي والشيخ العركي والشيخ صالح الفوراوي والشيخ عبدالله برجوب (٣٥) .

وقبيلة رفاعة الهوى من أكبر قبائل الجزيرة ومن أهم القبائل التي ناصرت الدعوة المهدية تعرضت لبطش الحكومة التركية ـ المصرية لقربها من الخرطوم . ولم تحصل على آمالها في التخلص من قبضة الحكومة ومن دفع الضرائب وتسلط الباش بوزق ، وكانت ترغب في ممارسة حياتها العادية دون تدخل الحكومة في شؤونها . وجاءت المهدية لتطالبها بدفع الزكاة والعشور وتعرض عليها الهجرة والجهاد . ووجود ديار رفاعة الهوى في أرض الجزيرة في وسط السودان سهل على السلطة الحاكمة في العهدين من القاء ضربات موجعة لقبيلة الهوى ، بالاضافة الى ذلك كانت هذه القبيلة موزعة الولاء بين آل أبي روف زعماء القبيلة التقليديين وفقهاء السمانية خاصة آل المكاشفي ناصر أبناء المكاشفي المهدي ، وناصر آل أبي روف الادارة التركية ـ المصرية .

يرى بعض المؤرخين ان عربان رفاعة الهوى استجابوا لصيحة عامر المكاشفي لانهم تأخروا في دفع الضريبة وشددت عليهم الحكومة في تأديتها (٣٦) . ويرى آخرون بأن الضريبة لم تكن السبب الاساسي لدعوة المكاشفي وانما يرجع ذلك الى انتمائهم الديني الى بيت المكاشفي . ونبذت رفاعة الهوى قيادتها التقليدية ، قيادة آل أبي روف ، الموالية للحكومة ، وانقادت الى دعاة المهدي في سنار وجبل مويه وجبال سقدى

---

(٣٥) درام صندوق رقم ١٠٠ ملف ١/١ ، رسالة من المهدي الى الشيخ عطا المنان الصليحابى بتاريخ ١٣٠٠ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٨٢ م.

(٣٦) درام صندوق رقم ١٠٠ ملف ١/١ ، رسالة من المهدي الى الشيخ عطا المنان الصليحابي بتاريخ ١٣٠٠ هـ / ١٢ نوفمبر ١٨٨٢ م.

وقدموا مهجهم غير مبالين في سبيل الدعوة [٣٧] . ليس هنالك تناقض
التشديد بين السببين ، فالتشديد في تخليص الضرائب كان سببا كـ
لانضمام عربان رفاعة الهوى للثورة وعصيان أوامر الحكومة والتم
على القيادة التقليدية وايجاد البديل لها في القيادة الدينية .

ومن فقهاء الجزيرة الذي كان يعتقد فيهم عربان رفاعة الهوى ال
أحمد عبد الغفار والذي صحب أحمد المكاشفي من عند المهدي وتر
أحمد المكاشفي في مشروع الداعي عندما توجه من حصار سنار التـ
عبد القادر باشا حلمي في واقعة التبته وألحق به هزيمة منكرة [٣٨]
تحرك عبد القادر باشا من كركوج في ٢٢ مارس ١٨٨٣ م لمهاجمة ا
أحمد عبد الغفار والفقيه سليمان ود الخليفة والجموع التي التفت حو
وصحب عبدالقادر باشا معه الشيخ بشير علي ، شيخ عربان رفاعة الـ
والشيخ محمد مالك ابي روف وأفراد من عائلته . اقتفى عبد القادر
الفقيه عبد الغفار الذي توجه الى جهة الصعيد لمدة ثلاثة أيام حتى أدر
في أرض قبيلة العقليين والقواسم والعلاطين واجتمع عليهم عربان ر
الهوى وغيرهم من عربان الجزيرة وأهالي حلالات سيرو وبلغ عـد
نحو الاثنين وعشرين ألف نفر وهجم عليهم في يوم الاثنين ٢٦ مـا
١٨٨٣ م فانهزموا الى جهة التهنة وقتل الفقيه عبد الغفار ونحو ثلاثة آ
رجل من جماعته وأسر منهم عدد كبير وغنمت مواشيهم [٣٩] .

ومن عائلة ابي روف توجه المرضي أبي روف الى المهدي وأخذ
البيعة أميرا على قبيلته والتف حوله عدد كبير من قبيلة رفاعة الهـ

---

(٣٧) نعوم سقير ، تاريخ وجغرافية السودان ، ص ٦٧٠
(٣٨) أحمد عثمان ، الجزيرة في خلال المهدية ، ص ١٨٦ ،رسالة ماجـ
غير مطبوعة .
(٣٩) أرشيف مجلس الوزراء المصري ، محفوظة رقم ١٠٣ ملف ٢٠/١/١

ونزل لحصار سنار في حلة عابدين على بعد أربع ساعات جنوبي سنـــار وذلك في أواسط نوفمبر ١٨٨٤ م . التقى بالنور بك في قرية العوديــة وهزمه وتقدم الى غابة الكبوش فأقام فيها محاصرا لسنار الى أن سقطت الخرطوم بعث الى النور بك يعلمه بسقوط الخرطوم وعودة الانجليز من المتمة وأن محمد عبد الكريم قادم بجيش كبير لفتح سنار .

خرج حسن صادق مدير عام سنار لملاقاة المرضي الذي توفي في غابة الكبوش وانقلب المدير راجعا الى سنار وفي الطريق نزل مع بعض الضباط تحت جميزة ظليلة للراحة وتناول الطعام وأمر العساكر ففرطوا عقد القلعة وتفرقوا جماعات بعضهم ورد النيل للشرب وتوجهوا الى سنار وجلس البعض الآخر قرب الجميزة للراحة فباغتتهم جماعة المرضي فهب كل منهم الى جواده وأجفل جواد المدير من يد السائس فهجم عليه العرب وقتلوه هو ونحو مائة من الضباط والعساكر ، وأما النور بك وعثمان بك الدالي فقد ركب كل جواده وضربا النفير فجمعا بعض العساكر ورجعا الى محل الواقعة فهزما عربان رفاعة الهوى وعادا بجثث الضباط الى سنار [٤٠] .

وفي ١٨ ابريل ١٨٨٥ م وصل محمد عبد الكريم حلة البقرة ومعه عدد من الامراء ، والشيخ مضوي عبد الرحمن ومحمد احمد شيخ ادريس من أقارب المهدي ومصطفى ود جبارة وخليل عمر أبو زهانة ومعه وابور محمد علي وحاصروا سنار من الشمال .

ويوم مهاجمة محمد عبد الكريم لسنار (١٧ نوفمبر ١٨٨٥ م) أرسل خبرا الى المرضي أبي روف قبل الفجر فهاجم الخندق من الغرب فأمطر العساكر عليهم سحب الرصاص والجلـــل ووالـــوا الضرب دون

---

(٤٠) شقير ، المصدر السابق ، ص ٩٨٨

انقطاع وتتبعوا الذين دخلوا الخندق فقتلـوهم عن آخرهم وهـزموا الباقين . وقدر عدد قتلى الانصار بألفي رجل من بينهم أحمد المكاشفي.

وظلت سنار محاصرة الى أن استسلمت حاميتها في ٨ ذو القعـدة ١٣٠٢ هـ / ١٩ أغسطس ١٨٨٥ م . وكانت آخر حامية سلمت بعد مقاومة دامت لمدة ثلاثة أشهر وخمسة أيام [٤١] .

وبعد تسليم حامية سنار سافر المرضي أبي روف الى أم درمـان لمبايعة الخليفة عبدالله فأمره بالعودة الى بلاده لاحضار رجال قبيلتـه بالهجرة الى أم درمان . عاد المرضي الى موطنه وتلكأ في تنفيذ الهجرة وظل المرضي يراوغ الخليفة عبدالله وطلب انضمامه للراية الزرقاء .

وفي شوال ١٣٠٧ هـ الموافق مايو ١٨٨٩ م أرسل الخليفة عبداللـه منشورا الى كل العملاء والقبائل في منطقة جنوب الجزيرة بالهجرة الى أم درمان في موسم عيد الاضحى للمفاكرة وتجديد البيعة ، وأشار على المرضي أبي روف للحضور بكافة أهبته من السلاح والجيش والمـؤن الكافية [٤٢] ، ولم يذهب المرضي الى أم درمان

وأخـيرا أصدر الخليفـة عبداللـه منشورا يعـزل المرضي أبـي روف من الامارة ، ونشره على القبائل وجاء فيه ان المرضي أبي روف طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونقض عهد الله وميثاقه . وألب عليه القبائـل وأمرهم بالتضييق والقبض عليه وارساله الى أم درمان ،وأمرهم بمعاونة عمر سعد المندوب بجبهتهم [٤٣] ، وأصدر الخليفة عبدالله أوامر مشددة

---

(٤١) شقير ، المصدر السابق ، ص ٩٩٣
(٤٢) مهدية ، دفتر صادر ٨ ص ١٢٤
(٤٣) مهدية ، دفتر صادر ١٢٥/٨

لعماله في منطقة رفاعة الهوى بتجريد العربان من الاسلحة النارية والجبخانة وأخذ الجهادية منهم حيث انهم اشتركوا في حصار سنار ولا بد أن لديهم جزءا من هذه المهمات (٤٤) ، وقصد الخليفة عبدالله من هذا الاجراء تجريد العربان من أسلحتهم ومن الجهادية الذين يتعاونون معهم في الثورة ضد أمراء المهدية وليقلل فاعلية مقاومتهم عند ارسال الحملات لتاديبهم •

أعلن عربان رفاعة الهوى العصيان ولم يستجيبوا لدعوة الخليفة وتجمعوا في فوز الهجليج تجاه فاشودة واستعدوا للحرب وكان ذلك على أثر عودة أبي عنجة من جبال النوبة • اختار الخليفة عبدالله سرية من جيش أبي عنجة وعقد لواءها لعبدالله ود ابراهيم والزاكي طمل وأرسلها بطريق النيل الابيض وأرسل سرية أخرى بقيادة اسماعيل ود الامين من مشائخ حمر عن طريق النيل الازرق فنزلوا في أبي شوكة وقطعوا خط الرجعة عليهم • فسار عبدالله ود ابراهيم بالوابورات حتى أتى الجبلين فأنزل جيوشه الى البر وتقدم الى قوز الهجليج فأوقع في المرضي وقومه واقعة مشهورة وقتله هو وجميع كبار جيشه ومنهم الشيخ محمد ابن الشيخ مالك ومردس شيخ العلاطين وابراهيم ود صابون شيخ العقليين والفقيه ابراهيم ود خالد وغيرهم • ومن فر من الواقعة وقع في يد جيش النيل الازرق ، فاجتمع عند أنصار الخليفة عدد كبير من الاسرى والغنائم من الابل والغنم فأتوا بها الى الخليفة فوزع الاسرى في الجهات وضم الغنائم الى بيت المال واخترق عبدالله ود ابراهيم الجزيرة وأتى الى أبي حراز في ٣ صفر ١٣٠٥ هـ الموافق ٣١ اكتوبر ١٨٨٧ م حيث كان ابوعنجة ينتظره فسار معه الى القلابات •

---

(٤٤) مهدية ، دفتر صادر ص ١٠٢ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى ابي عاقلة ، ٢٥ صفر ١٣٠٣ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ م•

وهكذا انتهى الحال بقبيلة رفاعة الهوى والقبائل المتحالفة معها ، وحسب ما أوضحت فان قبيلة رفاعة الهوى قدمت تضحيات كبيرة في سبيل تأييد حركة المهدية وبحكم قربها من الخرطوم وسنار تعرضت لحملات تأديبية قدمت بها كثيرا من الشهداء ، وبعد وفاة المهدي وسقوط سنار لم تجد عربان رفاعة الهوى مطالبها أو تحقيق الآمال التي كانت تراودها . كانت تسعى الى الخلاص من دفع الضرائب فوجدت نفسها ملزمة بنفس الاعباء المالية في عهد المهدية وكان مندوبو بيت المال يطوفون أرض رفاعة الهوى يجمعون الزكاة وهم الذين رفعوا أمر التمرد والعصيان الى الخليفة عبدالله . وبالاضافة الى دفع الزكاة كانت القبيلة لديها أوامر بالهجرة الى أم درمان ومعنى ذلك السفر الى الجهاد في الشمال أو الشرق . ولم يكن بالامر الهين على قبيلة بدوية أن تترك ديارها بعد المصائب التي حلت بها . فقدت عددا كبيرا من رجالها على يد الحكومة السابقة ، ابناء المكاشفي ، الحاج أحمد عبد الغفار والشريف احمد طه وفقدت عددا من زعمائها التقليديين أمثال المرضي ومحمد مالك ابي روف والواقع ان معظم قبائل الجزيرة تمردت وتوقفت عن الهجرة ودفع الزكاة كقبيلة الحلاوين التي بادرت بالدخول في المهدية تحت قيادة مشائخ السمانية وامتنعت عن تقديم زكاة العشور لاحمد السني ، رغم وفرة الذرة لديهم (٤٥) .

وحتى قبائل الجمع مناطح والكواهلة والشنخاب وسليم والاحامدة هرب عدد كبير منها الى الجبال خوفا من الهجرة الاجبارية وأصدر الخليفة عبدالله أمرا الى كافة الانصار وخاصة الامراء والعملاء يفيدهم بأن عددا من أفراد هذه القبائل لم يجد فيهم الاليف وجاهروا بالعصيان

---

(٤٥) احمد عثمان ، المصدر السابق ص ١٩٤

ولم يبق لهم قرار غير الفرار ويأمرهم بسد الطريق عليهم وكل من يجدوه منهم اما أن يقتلوه ويصادروا كافة ممتلكاته ، وحذرهم بأن كل من يهرب عن طريق جهتهم فهم المسؤولون عن ذلك [٤٦] .

ويبدو ان الخليفة عبدالله خشي من انتشار ألتمرد في شكل جماعي بالجزيره فجعل يتلمس طريق الوسطاء ويحول المشاكل الى غيره من الخلفاء ويقبل الحلول التي تمليها القبائل المعادية كما تريد [٤٧] .

---

(٤٦) مهدية ، دفتر صادر ١٠ ، رسالة من الخليفة عبدالله الى محمد تورهن بتاريخ ٣ صفر ١٣٠٣ هـ.
(٤٧) احمد عثمان ، المصدر السابق ص ١٩٧

قبائل دارفور

وبعد أن فرغنا من عرض وصف قبائل الجزيرة في بداية الحركة المهدية وبعد قيامها نتناول موقف قبائل جنوب دارفور ومن أهمها قبائل الرزيقات التي أسرعت في الانضمام للحركة المهديه بقيادة زعيمها مادبو علي ، الذي لبى دعوة المهدي دون تردد وأخذ البيعة في قدير واشترك في واقعة الشلالي وعينه المهدي أميرا على الرزيقات. ومن الاسباب التي دفعت البقارة عموما والرزيقات خصوصا الى الثورة مركزية الحكم قبل المهديه والتي أخضعت شيوخ القبائل لمديري المديريات ونوابهم بعد ان كانوا سادة بين قومهم . والسبب الثاني محاربة تجارة الرقيق التي افقدت البقارة مصدرا هاما من مصادر الربح والغنيمة [٤٨] وتطلع البقارة الى اشباع رغبتهم في الحرب والسلب فاجتمع عدد كبير منهم على مادبو فسار بهم الى شكا وقاتل حاميتها وغنم سلاحها في ٢٠ يونيو ١٨٨٢ [٤٩] وفي أواخر شهر اكتوبر ١٨٨٢ م هزم سلاطين في واقعة أم وريقات واضطر الى الهرب الى دارة حيث وجد حاميتها في حالة عصيان وعزوا هزيمتهم في أم وريقات بسبب ان قائدهم نصراني مما دفع سلاطين ليعلن اسلامه، وأخيرا لم يجد بدا من الاتفاق مع محمد خالد زقل بالذهاب الى المهدي حسب تنفيذ الخطة التي ذكرها شقير وهي ان سلاطين عندما تيقن من

---

(٤٨) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي ، ص ٤٥
(٤٩) نعوم شقير ، المصدر السابق ص ٧٢٨

عصيان أهل دارفور وانه لا يمكن ردهم الى الطاعة والولاء الا اذا كسرت شوكة المهدي في كردفان وكان قد بلغه خبر حملة هكس فأصبحت آماله كلها معلقة بها ، فأحب مخاطبة هكس ليعلمه بحاله ويستحثه على انقاده ولكن كان يخشى شبر محمد خالد زقل مدير دارة لانه من أقارب المهدي. ويذكر شقير بأن سلاطين أراد التخلص من محمد خالد من جهة والاحتياط للمستقبل من جهة ثانية فخلا به وأخبره بأنه عالم بعلاقته مع المهدي وقال له اني مرسلك الى الابيض لمنع المهدي من ارسال جيش الى دارفور أو تحريض أهلها على الثورة ، فان غلبه هكس واسترد منه البلاد فأنا شفيعك عند الحكومة والا فالبلاد نفسها تسلم للمهدي وخير له أن يأخذها عامرة من أن يأخذها خربة (٥٠) .

والمهم ان قوة الثورة في جنوب دارفور هي التي أدت بسلاطين الى هذا الموقف ودفعته دفعا الى التسليم . وأسهم الرزيقات بقدر كبير في الثورة . ويبدو ان مادبو كان بأم درمان عند وفاة المهدي ، ويستدل على ذلك من خطاب موجه من بعض الشخصيات من بينهم مادبو علي موجه الى محمد خالد يطلبون منه الحضور الى أم درمان . وعاد مادبو الى دار الرزيقات ليجمع الرزيقات ويحضر بهم الى أم درمان حسب سياسة الخليفة عبدالله . وعندما عاد مادبو الى أرض الرزيقات عدل عن دعوة الخليفة وأخيرا أعلن العصيان . ويبدو ان مادبو كان يسعى الى التخلص من حكم الخليفة عبدالله والعودة بدارفور الى ما كانت عليه قبل حلول الادارة التركية ــ المصرية بها .

كما انه لم يكن راضيا عن سيطرة كرم الله محمد كرقساوي على جهات شكا ووجود جماعة البحارة (سكان المناطق النيلية) في أرض

---

(٥٠) المصدر السابق ص ٧٣٠

الرزيقات وكانت بينهم وبين البقارة عداوة تقليدية في السيطرة على الارض الواقعة بين جنوب دارفور وبحر الغزال ، والسبب الاخير في عصيان مادبو خوفه من انتقام الخليفة عبدالله [٥١] .

خرج كرم الله كرقساوي من بحر الغزال في طريقه الى أم درمان مهاجرا ووصل الى شكا فأسند اليه الخليفة عبدالله مهمة القبض على مادبو علي وطارده الى حدود الفاشر حيث كان يطمع في محالفة يوسف ابراهيم ولكن الاخير خذله وسلمه الى كرم الله كرقساوي والذيأرسله بدوره الى حمدان ابي عنجه في الابيض حيث تم اعدامه وأرسل رأسه الى الخليفة في أم درمان والذي أقر حمدان على فعلته . وبمقتل مادبو انكسرت شوكة الرزيقات والقبائل المتحالفة معها من هبانية ومعالية وبني هلبة وأذعنوا لامر الخليفة عبدالله .

---

(٥١) موسى المبارك الحسن ، المصدر السابق ص ٩٣

الهجرة الى ام درمان

وبعد وفاة المهدي وجه الخليفة عبدالله المنشورات الى كل زعماء القبائل بالحضور الى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة قبر المهدي وكلف بعض الموجودين منهم بأم درمان بالرجوع الى أوطانهم لجمع أهاليهم واحضارهم الى أم درمان وحجز بعض زعماء القبائل الكبيرة في أمدرمان كرهائن للضغط على أهاليهم ليسرعوا في الهجرة الى أم درمان .

وبسبب وفاة المهدي المبكرة شك عدد كبير من زعماء القبائل في الدعوة وتمنعوا في احضار قبائلهم لام درمان . لجأ بعضهم الى المداراة والبعض الآخر جاهر بالعصيان ، وتمكن الخليفة عبدالله من حجز عدد منهم بأم درمان للتربيــة على النظام المهدوي والغرض من ذلك اذلالهم وكسر شوكة غرورهم ومات عدد منهم بالسجن وعدد آخر نفذ فيهم حكم القتل .

العداوة بين الخليفة عبدالله والزعماء من القبائل لها أسباب نفسية نسبة لان الخليفة عبدالله لم يكن منتميا الى هذه الطبقة وانما ينتمي الى بيت دبني ومن فرع ضعيف في قبيلة التعايشة فلم يكن من السهل عـلى زعماء التعايشة ــ فضلا على القبائل الاخرى ــ ان يستكينوا له حاول عجيل الجنقاوي الخروج على نفوذ او سلطــة الخليفة عبدالله في ايــام المهدي فكان نصيبه القتل . لم يلب الغزالي خوف زعيم التعايشة دعوة

الخليفة عبدالله للهجرة وهرب الى دارفور وجمع عليه بعضا من بطــون قبيلة التعايشة وحارب البطون الطائعة للخليفة عبدالله • أهتم الخليفــة بأمر الغزالي والتعايشة المناصرين له أشار على عثمان آدم بأن ينصرف سريعا الى تأديبهم،وان عنى ذلك تأجيل هجرة من عداهم من القبائل(٥٢)•

اعد عثمان آدم جيشا لغزو التعايشة ولكن الغزالي انصاع للاوامر وعاد تائبا وقابل عثمان آدم بالفاشر وانصاع التعايشة للهجرة التي تمت في اعسطس سنة ١٨٨٨ واقام الغزالي بأم درمان وفي عام ١٨٩١ م وصل الخصام بينه وبين الخليفة عبدالله الى قمته وسجن زعيم التعايشةالتقليدي لمدة شهور عقب هجرة كبيرة لرجال قبيلته من أم درمان في اغسطس عام ١٨٩٠م • وبعد مضي عام استطاع الهرب الى الغرب واختفى اثره وقتل •

ومجمل القول ان قبائل كبيرة وقفت تعارض دعوة المهدية الا انها لم تستطع ان توقف زحفها العسكري وذلك لعدم وجود تنسيق بين القبائل المعارضة وتباعد مواطنها • ولم تجد هذه القبائل مساعدة فعالة من القوات الانجليزية في سواكن والقاهرة ما عدا بعض المساعدات الماليــة اليسيرة التي كان يقدمها كتشنر لمحمود بك زعيم الامرار وقــائد جيوش العربان للمقاومة المهدية في شرق السودان ولم تستطع الحكومة المصرية تقديــم مساعدات فعالة للقبائل الموالية لها وربما ان الحكومتين احجمتا عــن تقديم مساعدات فعالة خوفا من نشوب حرب اهلية بالسودان • كمــا ان الحكومة البريطانية لم تكن راغبة في انشاء حكومة حاجزة بــين مصر والسودان لتفادي المشاكل الدبلوماسية وكانت تخطط لعملية اعادة فتح السودان وفق المصالح البريطانيــة في المنطقة • وكـــانت سلطات جيش الحدود ومخابرات الجيش المصري على صلة بالقبائل المعارضة لحكــم

---

(٥٢) موسى المبارك الحسن ، المصدر السابق ص ١٣٤

الخليفــة عبــدالله وتقــدم لها بعض المساعدات البسيطة وبأسباب ذلك تعرضت قبائل الجعليين لبطش الخليفة عبدالله والذي كان متخوفا مــن وجود علاقة بين عبدالله وسعد زعيم الجعليين وقيادة الجيش الفاتح ولعله خشي ان يسير الجيش الفاتح بطريــق صحراء بيوضة في زحفــه الى أم درمان وينضم اليه الجعليون عند وصوله بالضفة الغربية ولذلــك قرر الخليفة عبدالله اجلاء الجعليين عن الضفة الغربية للنيل واستدعي عبدالله ود سعد الى أم درمان وامره بتنفيذ هذه الخطة وتظاهر عبدالله ود سعد بالانصياع لاوامر الخليفة ولكنه كان يضمر المقاومة • وسافر الى المتمة ووصلها في ٢٠ / يونيو / ١٨٩٧ وارسل احد اقاربه الى قيادة الجيش الفاتح يطلب العون وارسل الى قبائل الجعليين يخبرهم بأوامر الخليفــة عبدالله وطلب منهم الحضور الى المتمة باسلحتهم •

سير الخليفة عبدالله جيش محمود الى المتمة • قبل ان يعلن الجعليون عصيانهم وكان عدد الجيش يقارب الثمانية آلاف مقاتل استدعي محمود ود احمد عبدالله ود سعد ووعده بالنظر في ظلاماته ولكن عبــدالله ود سعد رد عليه معلنا انضمامه للجيش الفاتح وعرض على محمود الانضمام اليــه [٥٣] •

وفي ٣١ محرم ١٣١٥ هـ اول يوليو ١٨٩٧م هاجم الانصار المدينــة المتمردة وقاوم الجعليون مقاومة بائسة يائسة ، وكان عبدالله ود سعــد من ضحاياها وكان انتصار محمود ود احمد في المتمة مأساة دامية بالنسبة للمهدية ، اذ كانت نهاية دموية الكراهية سادت بين اولاد البلــد واولاد العرب طول فترة المهدية •

لم يكن في مقدور الخليفــة عبدالله ان يوفق بين مطالــب الاشراف

---

(٥٣) المخابرات المصرية ٢٩١/٥٠/١

واولاد البلد وبين مطالب اولاد العرب الذين اتخذهم حزبا مناصرا لبقائه في الحكم وطبيعة تكوين ثورة المهدية لم تجعل في استطاعته ايجاد نوع من التوازن بين الفئات المتنافرة وبعبارة اخرى لم يستطع خلق صفـوة حاكمة من كل القبائل لحفظ ميزان القوى بين هذه الفئات .

الخاتمة

أرتكزت حركة المهدية على دعوة دينية ، تهدف الى اصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها ٠

وقد اختلفت حركة المهدية السودانية ، عن كل الحركات السابقة لها فهي ليست امتدادا لحركات الشيعة ولا تستمد تعاليمها من مدرسة معينة في التصوف بالرغم من ان المهدي كان من مشائخ السمانية كما ان مزاجه الفكري كان بعيدا عن دعاة الاصلاح والتجديد والسلفيين رغم ان كثيرا من المعايير ذات المشرب السني وردت في منشوراته ٠ وقد باعد بينه وبين السنيين اعتماده على علم الباطن ٠ وبعد نجاح حركته ألغى الطرق الصوفية وأبطل العمل بالمذاهب الاربعة وأعلن ان عامة أصحابه في منزلة أعلى من منزلة القطب الصوفي عبد القادر الجيلاني ولعله اختار الجيلاني من بقية الاقطاب الآخرين لانتشار طريقة القادرية وفروعها في السودان ولمكانة الجيلاني بين اقطاب الصوفية ٠

وقد أعطى المهدي لنفسه ألقابا مختلفة حسب مسمياتها عند الفرق الاسلامية المختلفة، ووصف دعوته بالخلافة الكبرى وبالامامة وهو خليفة رسول الله والمهدي المنتظر وقد اعلن ان جميع افعاله واعماله تتم عن طريق الالهام بأمر من رسول الله وذكر بأن خليفته الاول يتمتع بهذه الميزة ٠

وهذا يعني أن المهدي لم يعد محتاجا للعمل برأي الائمة وفي غير حاجة الى كتبهم وكتب غيرهم من العلماء والفقهاء والشراح ، كما أنه ليس في حاجة لاتباع اهل الطرق رغم انه اشار بان تنصيبه مهديا تم في حضرة نبوية حضرها عدد من الاولياء . وبهذا اعلن المهدي خروجه على الدولة العثمانية والخديوية والحكمدارية واصبح في منزلة لم يقره عليها بعض العلماء والفقهاء ومشائخ الطرق . وقد حاول بعضهم ثنيه عن هذه الدعوة ان معرفة آراء العلماء في المهدية قبل تدخل الادارة التركيةالمصرية لجد هامة لانها كتبت في مرحلة لم تظهر فيها انتصارات المهدي على جند الحكومة . وقيل ان الخطابات التي ارسلها بعض العلماء الى المهدي ردا على منشوراته السرية قد قام بحرقها محمد سعيد باشا ، مدير كردفان عند وصوله الى الجزيرة ابا بعد ان غادرها المهدي .

ومهما يكن من امر ، فان الحكمدارية لم تدرك خطورة دعوة المهدية، وعالجتها بطريقة دلت على ضعفها وضعف الخديوية وفي خلال أربع سنوات من نشوب الثورة المهدية تعاقب على الحكمدارية اربعة حكام لم يفلحوا في مقاومة الحركة . ولم تكن رسائل العلماء ذات جدوى في فض الناس عن حركة المهدية لان العلماء كانوا جزءا من جهاز الحكومة وكانت رسائلهم عبارة عن دفاع عن الادارة التركية المصرية ومحاولة لاثبات شرعية الحكومة عن طريقة النصوص الدينية ، رغم ان الخديوية كانت في نظر المدافعين عن صحة المهدية ، متعاونة مع القوى الاوربية المعادية للاسلام والمسلمين اما بعض مشائخ الطرق الصوفية فلم يعتقدوا بأن المهدي وصل الى مرتبة المهدية ولكن بعضا منهم انقادوا له عندما بدر لهم عجز الحكومة عن مقاومته فهرعوا اليه ، يأخذون البيعة ، وبعد وفاته استمر بعضهم في مشايعة الحركة تقية وبعد وفاته أصبح الخليفة عبدالله وجها لوجه امام المشاكل التي نتجت عن تناقضات دعوة المهدية .

ويمكننا ان نلخص المتناقضات التي واجهت الخليفة عبدالله من جراء عقيدة المهدية في أن الحركة كانت حركة دينية سلفية حاولت ان تعيـد الاسلام الى سابق عهده في ايام النبي والخلفاء بصرف النظر عن تأثـير عامل الزمن في الاحداث. اوجد المهدي نظام الخلافة وفق التصورالصوفي وجعلها مراتب وكراسي للكبار من أتباعـه فأصبحت لهم مراتب دينيـة معينة واصبح لكل خليفة جيش خاص به تحت راية معينة واخذت شكلا اقليميا مما جعل النزاع والخصام امرا طبيعيا بين هذه المجموعات ..

وعندما مالت امور المهدية للخليفة عبدالله ، لم يعط الفرصة لاحـد الخليفتين ليكون نائبا له كما كان الحال بالنسبة له مع المهدي وانما اعتمد على اخيه يعقوب الذي كان وكيلا للراية الزرقاء في واقع الامر اصبح له وكيلا أو نائبا في جميع أمور الدولة وأصبح الرجل الثاني في الدولة .

وكـان أنصار الرايـة الزرقاء منحمسين للدعوة وميالين للحروب بفطرتهم البدوية ، على خلاف أنصار راية الخليفـة شريف التي كان جل أتباعها من سكان المناطق النيلية وهم حضر ، وكان لمعظمهم ارتباط سابق بالطرق الصوفية ولم يكن حماسهم لدعـوة المهدية في مستوى حمـاس اولاد العرب . اما الراية الثالثة وهي راية الخليفة على ود حلو ، فكـان مواقعها وسطا ، اتباعها بين قبائل بقارة النيل الابيض وتتفاوت حيـاتهم بين البداوة والحضر واستفاد الخليفة عبدالله من وضع هذه الرايـة في المحافظة على ميزان القوة واصبح انصار هذه الراية وقائدهم فـي موقف وسط بين اولاد العرب واولاد البلد وعرف الخليفة على ود حلو بتدينـه الشديد ونظرته للامور من الزاوية الدينية واعتمد الخليفة عبداللـه على تأييده وتأييد زملائه من جماعة المتدينين وهم محمد المكي اسماعيل واحمد شرفي في كثير من القضايا الهامة ..

وبالاضافة الى ذلك فان نظام الخلافة جعل الطامعين في الخلافة والمنافسين الخليفة عبدالله يطالبون بكرسي خلافة عثمان الشاغر لعدم استجابة ابن السنوسي لملء هذا الكرسي الذي خصص له في حضرة نبوية.

وقد ترتب على المطالبة بهذا الكرسي الشاغر ، في الخلافة مشاكل في غاية الخطورة هددت مصير المهدية في اطوارها الاولى ، واعني بها حركة المنة اسماعيل والذي خرج على المهدي غاضبا ولكنه لم يقم بدور ايجابي سريع بحدد موقفه من المهدية ولم يعطه المهدي الفرصة لمقاومة سلطته وانما اتخذ اجراءات عسكرية حاسمة قضت على حركته في مهدها . كما أن خلو هذا الكرسي أتاح الفرصة لابي جميزة للمطالبة به وجعله مسوغا دينيا لالتفاف القبائل حوله وكاد ابو جميزه ان يقضي على حكم الخليفة عبدالله في دارفور ، الا ان المنية عاجلته بسبب اصابته بمرض الجدري .

ومن نفس المفهوم ظهرت ادعاءات نبوءة عيسى ولولا حزم أبي عنجه لاحدثت حركة مدعي العيسوية في القلابات هزة عنيفة في جيوش المهدية في القلابات والسودان الشرقي ويلاحظ ان أدعياء خلافة عثمان ونبوءة عيسى كانوا من الفلاتة .

ومن نتائج التنافس على تزعم حركة المهدية والاستئثار بالقيادة ، النزاع الذي شب بين اولاد العرب والاشراف وقسم حركة المهدية الى فئتين فئة بزعامة الخليفة عبدالله واولاد العرب وفئة بقيادة الخليفة محمد شريف وأولاد البلد ، وظهرت بذور هذا النزاع بعد واقعة قدير الثانية وبالرغم من ان المهدي اعطى بعض الوظائف القيادية في العمالات لاقاربه من الاشراف ، الا انه اعطى للخليفة عبدالله قوة خاصة في السلطة المركزية جعلته الرجل الثاني في الحركة ، ولكن الاشراف ظلوا في شقاقهم مع الخليفة عبدالله ، الى ان باغتتهم وفاة المهدي المبكرة ولم يتحملوا سلطة الخليفة عبدالله المطلقة ولم ينظروا اليه كنظرتهم الى المهدي وهو بدوره

لم يكن يثق فيهم ، فعزلهم عن جميع العمالات واصبح لا يعتمد الا على اقاربه من اولاد العرب وقد اضرت هذه السياسة كثيرا بحركة المهدية . ان الاجراءات التي اتخذها الخليفة عبدالله لسحب عمال الاشراف من دارفور وبحر الغزال وكردفان ساعدت في قيام بعض حركات العصيان ضد حركة المهدية . مما كلف الخليفة عبدالله كثيرا من الجهد والنفقات العسكرية لاخماد هذه الحركات فقد نشطت حركات عصيان الكبابيش بعد خروج محمد خالد من دارفور ، وجاهر مادبو بالعصيان واصطدم مع قوات كرم الله كركساوي المهاجرة من منطقة بحر الغزال الى أم درمان ، ومهد خروج محمد خالد لحركات تمرد الفور بقيادة يوسف ابراهيم ولم تعد الامارات الاسلامية في السودان الغربي ، في علاقاتها الحسنة متل التي كانت في أيام فترة عمالة محمد خالد ، ولتخوف هؤلاء الامراء من غزو المهدية لمناطقهم فانهم شجعوا أبا جميزة في ادعائه لخلافة عثمان ومحاربته لجيوش المهدية .

ان اعتماد الخليفة عبدالله على أولاد العرب أفقد حركة المهدية الصفة القومية وحوّلها الى حركة عنصرية وأصبح البقارة والجهادية هم الانصار الخاص للمهدية وكانوا مصدر شقاء لفئات المجتمع الاخرى وخاصة المناطق غير المتعاطفة مع المهدية ، مثل بعض القبائل النيليةوقبائل الشكرية والجزيرة تعرضوا كثيرا لاعتداءات الانصار وأصدر الخليفة عبدالله عددا من المنشورات يمنعفيها التعدي على الناس وأخذ ممتلكاتهم بدون حق .

ان عدم ثقة الخليفة عبدالله في الاشراف وشيعتهم جعله يقوم بتهجير البقارة واولاد العرب الى أم درمان كرها كما قام بدفع القبائل الاخرى دفعا للجهاد وان عمليات الهجرة الجماعيةوالجهاد المستمر حطمت

النظام الاقتصادي للقبائل . ان عدم اقتناع عدد كبير من القبائل بخلافة عبدالله جعله يعتمد على أهله البقارة وحتى هؤلاء أكرههم على الهجرة فأصبحوا ساخطين على المهدية .

قضى الخليفة عبدالله الشطر الاول من حكمه في تأمين خلافته واخضاع الجبهة الداخلية وما ان فرغ من ذلك ، حتى أطل الخطر الخارجي مهددا له من جميع الجهات وخاصة الجهة الشمالية .

لم تجد دعوة المهدية تأييدا مطلقا من قبائل السودان ، وبعد هزيمة الخليفة عبدالله وزوال دولة المهدية عاد اتباع الطرق الصوفية الى طرقهم القديمة وانحصرت عقيدة المهدية في أنصار النيل الابيض من قبائل دغيم والشنخاب وقبائل البقارة بصفة عامة في دارفور وعوائل الاشراف ..

الملحق رقم (١)

١٤ رجب ١٣٠٣ خطاب الى محمد الخير صورته بسم اللـه الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم الخ وبعد فمن عبد ربه خليفة المهـدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى محبوب الفؤاد وراحـة البال وصفي الود الحبيب في الله والصديق لله العـامل محمد الخير عبدالله خوجلي كان الله له واعانه وايـده واورده من مقامـات الاحسان كل شرب حلي امين اما بعد سلامي عليك ودعائي لك بما يشرح صدرك ويقر عيبك وسؤالي عن جميل احوالك وحميد فعالك فأعلمـك انا بحمد الله على اطيب حالة ترضاها واكمل نعمة يجب شكرها وثناءهـا جادين فيما يصلح أمر الدين ويرشد العباد الى مرضاة رب العالمين ونحن على ذلك والالتفات الى كشف اخبارك اذ ورد الينا رسولك الحبيـب الطيب أحمد هاشم بكتبك فأطلعنا على ما فيها ثم بلغنا ذلك الحبيب عنك جميع ما تحمله منك على اماتته من مقاصدك الحسنة وعزماتك المستحسنة وسعيك المشكور وفعلك المبرور ففهمنا احوالك وحمدنا الله تعالى على نظره اليك بعين العناية واتحافك بجلي الهداية وجميع ما أنت عليه فجزاك الله فيه عنا وعن الدين ما هو اهله وبارك فيك وحفظك من البين يديـك وشكر سعيك وعمك رضوانه وفضله ثم الذي نبسطه اليك ايها الحبيب

(١) مهدية دفتر صادر ٩ ص ٣٧٥ بتاريخ ١٤ رجب ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨ ابريل ١٨٨٥ م.

وتفيدك به من الاحوال هو انه بعد انتقال المهدي عليه السلام وقيامنا بهذا الامر عزمنا على ان نسير مع عباد الله بالرفق ولين الجانب وخفض الجناح وبسط السماح والتخلّق بخلق غافر الذنب وقابل التوب وأن يكون لهم حالة امام الهدى عليه السلام ولا نحرك بينهم ساكن ولا نسكن متحركا الا بالتي هي أحسن كل ذلك شفقة عليهم وتاليفا لهم على الدين وميسرا معهم في غض الطرف بسير مهدي الله الامين وما كنا نحسب أن ذلك يؤدي الى تعطيل الاسلام وضرب الصفح عن الوفاء بعهد المهدي عليه السلام حتى صرنا كلما رأينا سيئة من أحد نضرب عنه صفحا ونطوي عن معاقبته كشحا وخصوصا من بيت المهدي عليه السلام فمع كثرة وقوع المخالفات منهم طفقوا جادين فيما يفرق كلمة المسلمين وساعين في تنقيض مرضاة رب العالمين وعلى ذلك ما زلنا معهم بحالة الصفح رجاء ان يصلح الله شأنهم ويهدي قلبهم وعلى كثرة غضنا للطرف عنهم وصفحنا عن زلتهم فما زالوا على تواتر أديتهم وشدة اجتهادهم فيما يعطل الامر ويثقل الظهر ويضاعف عليهم الوزر وحالتهم في غدوة كل يوم اربى من أمسه ولما طال علينا ذلك وتمادى وآيسنا من هدايتهم مع بقائنا على ما نحن عليه التفتنا لتأثير أمر الدين وانقاذ المسلمين فأخترنا في ذلك وتحققنا انه اذا لم يصر تجديد هؤلاء القوم من ظواهرهم التي صدتهم عن الله وابعادهم عن الامارة بالكلية لما استقام الحل ولا انصلحت الاحوال وعلى ذلك فبناء على مصلحة الدين قد اجرينا سلبهم عن ما بأيديهم من الاسلحة النارية والجهادية وعزلنا من كان منهم أميرا عن امارته وجمعنا الامر واتحد الحال وصار الجيش بأجمعه في محل واحد تحت مصالح الدين واستقامت الحال وصفت الاحوال ووقف الحق على ساق وزهق الباطل وعلت كلمة الخلاق وصار الاصحاب في سرور شديد والدين في تعزيز وتأييد وانشرحت صدور المؤمنين وطابت وزلزلت قلوب المنافقين وطارت وانتصر المظلوم من الظالم وردت الى اهلها المظالم وجرت الحدودالشرعية

بين الناس وبني الامر على خير أساس وصار كل من عليــه تبعة من أخيه ويبحث عليه حتى يجده ويرد اليه ظلامته وعلقه على كتاب الله على عدم شكواه خوفا من القيام معه للحق وترتب الجزاء عليه وبالجملة فلقــد طاب الحال وتجملت الاحوال على حسب ما نحب ونرضى والحمد للــه وكفى وما كان صبرنا تلك المدة للناس الا رفقا بحالهم والزاما للحجةعليهم ولما لم تنجح فيهم المواعظ معلوم ان امور الدين لا بد من القيام به كمـا يجب نها نحن اعتصمنا به .واستعنا به على اقامة الدين ومعاملة المحسن بأحسانه والمسيء بأساءته على وفق مرضاة رب العالمين ومن الآنفصاعدا لا تأخذنا في الله لومة لايم ولا عتب على متعد او ظالم فأفهم ذلــك ايها الحبيب وقرء عينا وطب نفسا وشمر في الله حق التشمير وأقم دينه فــي الوجه المطلوب واعلم انك منا على بال ونحب لك في الدنيــا والآخرة الكمال ولم تخرج من فكرنا وماحوظ بعين رضاينــا نظرا لعلو همتــك وصدفك في متناولنا والقيام بواجب ارمنا في الله وعلى دلك قدم وزد تجد رضاء مبدولا وجزاء موصولا وانك من عهدنا بك في الله فمقــامك لدينا محفوظ وفضلك مشهود وفعلك محمود ومنا والينا ومن خــاصة أهل بيتنا ومحشور في زمرتنا دنيا واخرى ان شاء الله تعالى وبمنزلــة يعقوب منا وما خطر ببالنا انك بمعزلة عنا ولا في غير جهتنا وعلى ما كنت عليه منا فأنت الآن كذلك وفوق ذلك جميع ما فينا تجده وفرا كيف وأنك بحيث لا يجهل مقامك ولا تهسل ولا ينتهك حماك ولا تعزل والله تعالى عالم بحاله معك ومحبتنا فيك فابشر بالخير وقرء عينا ودم على صفــاك وصدقك وجميل عزمك في القيام بأمر ربك وكــن على ثباتــك وحسن صبرك وعزماتك واعلم ان الامر قد استقام وعــن قريب تزدحم عليــك الجيوش أي ازدحام وينصر الدين .وتفل شوكــة الكافرين ولقد سبق التحرير منا للاحباب عبد الرحمن النجومي فمن معه بالنفار اليكم وورد لنا من الرد انهم شرعوا واخرجوا بعض الرايات للسفر وتحرر منا لهم ثانيا

بالتأكيد الذي لا عليه من مزيد وعن قريب يخلق بسوحكم ولا يخطر ببالكم أنه من الآن فصاعدا يحصل التثاقل في القيام بتنفيذ اوامرنا بل لا لا يسع أحد غير العمل بموجبها كما يجب وهكذا ساعون في تحريض الاخوان على السفر لصوبكم وكثيرا من الامراء والاصحاب اتتدب لذلك وعن قريب تتوارد السرايا نحو جهتكم فشمر يا حبيبي في مذاكرة من معك من الاخوان وذكرهم بما اعده الله للمؤمنين في دار الخازن وقد بلغنا ما أنت عليه من التشمير وما ذلك الا من باب التذكير ولما انك من اجل الايدي والاعوان وأخص الاحباب والاخوان فقد بادرنا بتحرير هذا اليك اعلاما لك بما صار لنسرح صدرك وهو ومن معك من الاصحاب وبقية الاحوال والاخبار فسيأتيك تفصيلها مع رسولك الحبيب الطيب أما ما أجريته من تولية الحبيب دورشاوي محمد أبي حجل عاملا على مدينة ابي حمد بدل الحسن سعد فهو موافق حين انك اعرف بمصالح الدين في تلك الجهة ومفوض فيها تجريه فيها فجزاك الله عن ذلك خيرا وواصل الك طي هذه منشورات بعد الاطلاع على ما فيها فانشروها في تلك الجهة واجر العمل بمقتضاها والسلام .

الملحق رقم (٢)
الخليفة وأولاد البلد

٣ صفر ١٣٠٣ هـ

مهدية دفتر صادر ٩ ص ٦٠

تحرر خطاب من خليفة المهدي الى يونس الدكيم صورته .

الحمد لله الوالي الكريم الخ وبعد فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق الى حبيبه المكرم يونس الدكيم تولاه الله امين بعد السلام عليكم يا حبيبي اوصيك كل الوصية بتقوى الله وأن لا تصحبوا الا أخيار من المؤمنين وبالخصوص أولاد البلد لا تخالطوهم وتجنبوا منهم ولا تدرجهم معك في رايتك وكلما يحضر لك أحد ارسله ولا تمكنهم بيت المال ولا يؤازرك أحدا منهم غير الحبيب الصادق علي واجمع عليك أولاد العرب كأولاد حميد وخلافهم من العربان وذكرهم ونهض هممهم لله هذا وبعد السلام تحشية وكالبهانية ومناطح والجوامعة لا بأس من ضمك ولهم وجميع العربان المنقادين اجمعهم عليك وفقط اولاد البلد لا يجتمعوا عليك ولا يؤازرك منهم الا احدا يتضح لك صفاه وزهده وصدقه وحسن نيته هذا وبعد السلام .

تحشية والمحل الذي يوافق لك في دار الجمع انزل به واقم فيه أنت ومن معك فأنكم مأذونين في ذلك والحاضر يرى ما لا يرى الغايب والسلام .

تحشية حبيبي واصل اليك منا خاتم ختم نقشة اعتمادي على الله فأستعمله واستعمل ختمه في كل ما يصدر منك والسلام .

الملحق رقم (٣)

دفتر صادر نمره ١٠ رقم ٢٤٩ ص ٩٢

نبذه من جواب من خليفة المهدي لمحمد شيخ كرقساوي بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٠٤ .

« ... واول كل شيء تعلم ان عاملك الذي ضمناك عليه فهوالحبيب يعقوب بن محمد حيث انك من الملازمية وقد فوضت امرك الينا فيما يكون فيه اصلاح نفسك ووصولك الى ربك فيتبقى اذا كان اردتاتصال مكاتبات الينا ان يأتي الينا بواسطة الحبيب المذكور لانه عامل الرايات عموما وأي أمر تريد فعاله من نفسك أمور المسلمين الذين معك وكيفية معاملاتكم معهم ومعنا تكون بواسطة الحبيب يعقوب المذكور فيالكليات والجزئيات دون تفضيل كما ان الاعوان بالبقعة والخارجين بالجهات على هذه الحالة لا سيما الاحباب عبد الرحمن النجومي والحبيب محمد عثمان ابي قرجة والحبيب عثمان دقنة والحبيب محمد الخير عبدالله خوجلي عامل جهة بربر ومحمد ارباب عامل القلابات والحبيب النور ولد فقرا عامل بوغاز الجبسة والحبيب حمدان أبي عنجة والحبيب عثمان آدم فانهم الجميع بهذه الحالة وكافة أمورهم تأتينا بواسطة الحبيب يعقوب المذكور الاخير وجميع من يأتي منهم من الرسل والمكاتبات ينزلوا عنده وليس لهم معاملة مع أي احد كان كلية ولا بينهم مكاتبات مع احد ابدا

اصالة اعلمهم بتأكيدنا لكافة اصحاب المهدي عليه السلام انه لا أذن لاحد منهم في تحرير مكاتبة لجهة ما من الجهات في أي أمر كان كلية وبذلك انقطعت الوسائط كلية واقتصر كل احد في حال نفسه فقط بدون مدخل ولا تعرض في امر الدين وامر المسلمين فمن بابه ارادة الخير لك يا حبيبنا نعلمك بالحال ونعرفك بسير الاصحاب معنا الأن فيلزم ان لا تصدر منك مكاتبة لاي احد كان كلية ولا تعرف احدا بالاحوال الجارية لجهاتكم ولا تطلب من احد قضا امر ولا تجعل لك واسطة بيننا وبينك غير الحبيب يعقوب اسوة امثالك الاعوان لنا على اقامة الدين ولان الحبيب يعقوب المذكور هو عامل الجميع ورفع امورهم بواسطته امر لا بد منه واما غيره فليس بمأذون في ذلك كليه وأنت معدود عندنا كمثل الاحباب حمدان ابي عنجه وعثمان آدم حيث انكم الجميع جهتكم واحدة فأنتم وهم حالة واحدة وجهتكم واحدة فكن على ذلك ايها الحبيب واعمل به ولا يكن لك مع اي احد كان اتصال ولا مخابرة ولا رفع أي امر كان من امور الدين والدنيا الا بواسطة الحبيب يعقوب والمذكور يعلمنا بها حيث انه عاملك ومأمور بامتثال أمره ورفع أمورك اليه والظن بك جميل واعلم ايها الحبيب أن محبتنا لك كثيرة ولا زلت مذكورا عنا بالخير وحايز لرضانا نظرا لعلو همتك في دين الله ..

ملحق رقم (٤)

بتاريخ ٢٥ رجب ١٣٠٢ هـ

من حكمدارية عموم سواحل البحر الاحمر وشرق السودان
لحضرة السيد بكري الميرغني

وتسليمات الاشواق واسئل عنه عزيز الخاطر الشريف واعتدال المزاج الباهر اللطيف ان شاء الله تكونوا سيادتكم مكملين بملابس العامية وقد وردت لنا جواباتكم المؤرخة ١٣ صفر سنة ١٣٠٢ هـ وصرنا معونين ومتشكرين واما ما تقولوه في خصوص اجتهادكم لسكون الحركة بالتأكد هذا معلوما واخبار مساعيكم واصلة ايضا للخديوي الاعظم بواسطة جوابات وشفاهي وقت مقابلتنا مع جلالته عند توجهنا الى مصر لمصالح ميرية وتقابلنا هناك ... / الكلام الذي حصل بيننا بخصوص سيادتكم وها هو مرسول لكم جواب من طرف سيادتكم وبخصوص ما تقولوه لنا عن لزم وجود مدير جهادي مدير فهذا صار ... / ارسل حسون بيك قومندان عساكر سنهيت لهذا الخصوص ولكن وجدت أنه ليس موافق لهذه الوظيفة وبنفسكم ايضا لم لن تكونوا مبسوطين / منه ووقت وجودي بمصر تكلمت مع الحضرة الخديوية لاجل تعيين واحد ضابط مثل سعادة راشد باشا كمال او خلافه لكن اتفق الرأي أنه لا احد حيث لا يمكن ارسال امدادية الآن واتفق الرأي العمومي بمصر ان الطريقة

المستحسنة لسكون الحركة يصير ضرب ريس الاشقياء ولاجل ان قـوة عظيمة لمحاربة المتمهدي المحاصر الخرطوم واذا ربنا ينصر الجيش المذكور علمنا ان الحركة تسقط وان القبائل بنفسها تطلب اذ القبائل مـا زالـوا محاربين يمكن يصير نزول جيش انكليزي في جهة بربر لضربهم قيادتكم باتحادكم مع مدير التاكا يلزم النظر فيما يستحسن جمع القبائل واذا يمكن الحصول على الماوونة احسن العساكر ينتظروا بما سيحصل في المستقبل واذا ارسلهم ناس الى جهة سوق ابو سن مطبقا بها / سيكون لهم الخبر اول بأول، عن افعال الجيش الانكليزي بالخرطـوم واذا المرسلين يمكن يفهموا الشكرية بارسال ماوونة للتكار .. وبهذه الكيفية ستحصلوا على ثمنه ومكافئة فسيادتكم وحضرة مدير التاكا مرخص لكم ان تجلبـوا الماوونة للتاكا وتشتروا بأي ثمن كما اخبرناكم عن جميع الاخبار الخـير والشر وانشاء الله عن قريب نعطيكم الاخبار المفرحة فحينئذ عشمنـا ورغبتنا ان لها تفكروا بتوجيهكم الى الحج / الآن عندنا عشم كبير اذا يسكن استحصال العساكر على الماوونة ان سيصير سكوة الحركة عـن قريب وقد حررنا للمدير بتاريخ ١٦ ربيع اول / اخبرناه انه في ربيـع ٥ اول الجيش الانجليزي قام من امبوكلة طوغري الى شندي والخرطـوم وجيش آخر قام من دنقله الى ابو حمد وبربر واما احمد افنـدي المنسي الصاقول اغاضي كتب للمديرية بالاستفهام وها هو صورة الجواب طيه لمعلوماتكم ومرسول لكم ايضا حوالة على مبلغ الفين ٢٠٠٠ ريال حيث انه لا يمكن ارسال نقدية فلا شك ان تحولوها لاحد التجار بالتاكا او اذا لم يمكن بالتاكا يصير ارسالها بسنهيت / او يصير دفع المبلغ المذكور من خزينة الميرية وهذا المبلـغ مرسول لسيادتكم نظر المصاريف تلاميذكـم واتباعكم واقبلوا مزيد احترامي ...

الملحق رقم (٥)

تقرير حسين باشا خليفة

ريس مجلس النظار دوتلو افندم رأى بحضورنا لديكم يوم الاربع الموافق ٢٥ الجاري وبالسؤال منا في كيفية عدم جلب الاخبار السودانية وبالمكالمة معنا في دولتكم وفي سعادة الجنرال الحاضر بمجلس دولتكم ترى عدم امنيه في عربان العبابدة وتريدوا الاستفهام منا عن الاسباب أولا/في خصوص ان فيه ضماير في العبابدة فأقول ان نحن والعبابدة مغمورين في خيرات الحكومة ولم عندنا التفات لخلافها .. ومعايشنا / ومعاش أبانا منها لغاية وقتنا هذا وما يمس الحكومة في ادنا شيء فنحن والعربان جمعنا في خير وشر تحت أقدامها وتحقق لكل انسان ان الضد الاكبر للسودانيين هم قبيلتنا سيما في حالة فتوح السودان اولا والدنا هو السبب الوحيد في فتوحها برجاله / وقبائل العبابدة مع عساكر الحكومة ولغاية الآن أكابرهم يخبروا أصاغرهم بأن لا عدو لهم الا عربان العبابدة. ووالدنا وبهذه الواسطة لا يكون لاحد منا ادنى ميل لاي جهة كانت تعاد للحكومة وفضلا في السودانيين الذي هم اعداءنا واما تخلصنا منهم فهو معلوم لديكم من بعد المشقات التي تكبدناها معهم تقريبا في سنة وبهذه الواسطة لا يكون لاي عاقل اذ كان فكره في قبيلتنا تضادي للحكومة افهل جميلا ما اجريناه مع الاشقياء وتخلصنا منهم ففي ظني أنه في باب صداقتنا للحكومة واما في الارشاد / عن الطرق المادية لجلب الاخبار

فهو يتعين مقدار عشرين نفر من بشير بك ومنشتح بـك ويكونو من اقاربهم من الناس / الذين يعول عليهم بركابهم ويتعينوا بآبـار السكة الفوقانية منهم خمسة ببير ام بال وخمسة ببير الحليب وخمسة بالنابـع وخمسة بأحيمر وهؤلاء الابار يمرو عليهم المحضرين من قبلي ومنهم ولو ان البعض منهم فيهم عربان من البشاريين ويكون مع كل خمسة انفار واحد من العبابدة الذين يعرفون القراءة والكتابة لوصول الاخبار اول بـأول مع هجانة منهم ويتأكد عليهم بأن كلـما يبلغهم من الاخبار من جهـة السودان يعطوه الى قومندان اصوان اول بأول وأيضا سكة ابو حمـد الموصلة الى كرسكو فيتعين من طرف ولدنا احمد وولدنا صالـح عشرة انفار لجلب الاخبار من جهة المرات ومن جهة الغرب في ابو حمد ويعطوها أول بأول للقومندان الذي بكرسكو أو لمن تأمروا به دولتكم وبواسطة ذلك يكن الوصول على الاخبار اول بأول كذلك ينبه على الشيخ ابـو عمار شيخ العلجات الذي مقيم بحري كرسكو بسنجار بأنه كما يرد عنده من الاخبار يعطيه بما ان محل بلده طريق معتاد واما جهة حلفا فهـذه جهاتها منوطة بعربان الجراريش الذين شيخهم يدعى سليمان فضل فمن طرف دولتكم ينبه عليه نحو ذلك بما ان العبابدة الذين كانوا بتلك الجهات الى حد دنقلـة هاجروا منها وحضروا الى مـديرية اسنا لداعي عربـان الجراريش سكنهم قديما بتلك الجهات ومدركة اخبارهم عندهم بموجة التفصيل فمع الاستحسان اذا وافق حضور مشائخ العربان لديكم واعطاهم التنبهات بما سبق ايضاحه واخذ العهدات القومية عليهم او يصدر امـر دولتكم سواء كان يؤخذ عليهم التعهدات هناك او هنا واما في شخصنـا فنحن مقيمين بمصر ولا يكن بجوارنا عربان نرسلهم لجلب الاخبار وفقط ما يرون الاخبار هو من صالح لا غير وكما يرد منه أول بأول من المكاتبات جاري تسلمها لسعادة ناظر الداخلية وفي العزوم ان الاخبار تكون منوطة

بمشائخ العربان المقيمين بمديرية اسنا ولهم مرتبات من الحكومـــة فمن الضروري حثهم على جانب الاخبار بما انهم مشايخ القبيلة والعربان تحت ادارتهم وهم المعنيون لهذا الشأن واما هو مرتب داعيكم في الماهية فنحن خدمنا الحكومه مده مستحقة المعاش حسب قوانين الحكومة المرعيةوعلى اي حالة اذكان يلزمها معاشنا مثل خلافنا فهـــذا لزم عرضه لدولتكـــم للاحاطه افندم •

٢٦ نوفمبر / ١٨٨٠ •

حسين خليفة
مفتش الداخلية

ملحق رقم (٦)

المخابرات المصرية ٣٣/٦/١

خطاب من أحمد جودت الى صالح بك فضل الله

حضرة المحترم صالح بك ولد سالم فضل الله شيخ مشائـــخ عربان الكبابيش •

بعـــد التسلمات والتحية قـــد سررنا جدا ما بلغنا من ان قبيلتكم المشهورة منعقدة تحت ادارتكم وان حضرتكم لا زلتم أمناء للحكومة ولم تقبلوا دعوة محمد احمد وزعماءه ولقد علمنا ان الاشقياء الآن تـــأهبوا للهجوم كفعلتهم بالعام الماضي لزعمهم انهم يقاوموا عسكرنا فلو فعلـــوا يوقعهم الله في ايدينا كما سبق فلم اخبرناهم انا ولا نود ان ندمرهم لكن ان كانوا هم طالبين الاقتراب منا فنكون مجبورين بأن نقتلهم على أنـــه معلوم للجميع ان الحكومة ضمنت ان تجعل حلقة النقطة المقدمـــة وليس بفكرها الزحف عليها فوقها وحيث ذلك فـــلا يكون للاشقيـــاء موجب لتوقيفهم وفعاهم الشر فلو اتخذوا التجارة والزراعة لكان سببا لحصول الراحة بالسودان والتكسب بدلا عن القحط الحاصل به ولكن حيث ابو الاجماحا فهذا وقتكم واتباعكم لتصدوهم عن التداني منا لهدف الدما

بدون سبب اكي بذلك تنالوا المسرات ويقطم الدهر السعادة وتبسم لكم ايامه باعادة الخير كما كنتم عليه من قبل بل وزيادة فيقتضي بـذل الهمة والجبر فيما امرنا لكم وان نفطعوا على اولئك خط الرجعـه وتسدوا مستقبلهم وتفناهوهم في أي وقت يمكنكم اذ ترساوا مائتان شخص من اتباعكم الى حلقة تعطيهم مثتان بتدفية رمنتـون بجبة خاناتهـم وايضا نتساهم الف وثمنمائة ريال مجيدي لاجل مسعدتكم في المصاريف وحبذا ان اشتهرتم بالصداقه في افعالكم والنجاح في مساعيكم فلخولنكم نعمة جزيلة نسبغ بالخيرات عليكم وعلى اتباعكم ولنعطيكم نقودا من لدنا لا يحصى عددها فثقوا باقوالنا الصادقة ذات انوقا فشمروا عن ساعد الجد والاهتمام صوب نجاحكم القائد بالفوائد الجزيلة هذا والحضرة الخديوية الفخمة بكل دقة مترقبة السمع عن صدق افعالكم ونجاح اجراءاتكم فلا تدعوا هذه المنة العظيمه ان تبارحكم وعرفونا عن تنقلات الـدراويش بالجهات وكمية اعدادهم فاننا قد نسمع اقوالكم الصادقة ويسرنا افعالكم الحميدة ان الرجاء ان الباز نقر الموجودين مع الاشقياء المايابين للحكومة يلزم من حضرتكم الهمة الزائدة باجري كل الطرق اللازمه فـي تهريب المذكورين من يد العصاة بمعرفتكم وحضورهم لنا وعلى رأس كل نفر يعطى مكافأة عشرة ريالات مجيدي خلاف الاكرام الزائد الذي يحصل لحضرتكم واذا كان يلزم مساعدة مع اتفاقية سعيد اغا حاكم الدبة يكون موافق ايضا اذا حضر احد البازنقر تلقاء نفسه يكون المكافأة لـه عشرة ريالات مع ما فيه غاية المعقول منكم لشوبـق البازنقر بانفصالهم مـن الاشقياء ودمتم .

حضرة المحترم صالح بك فضل الله شيخ مشائخ عربان الكبابيش بعد اهداء درر التحية لذاتكم الفاضلة السنية حقيقة اني مشتاق لرؤيـا طلعتكم البهيـة ثم الكتابة المسطرة باطنـة واردة من سعـادة السردار

والموضحة اعلاه محرر مــن سعادة قائد الجيش العمومي وقبــل الآن ارسالنا صورتهما لحضرتكم برفقة علي جابر البشاري وخوفا من التأخير التزمت أن ارسل هذه الآن مع حسب الجابوا من عربان الكبابيش جماعة سالم عساوي فالمأمول من حضرتكم ان تتطلعوا تلك الكاتبة وتجــروا اللازم عنها عاجلا وتحرروا للمشار اليها الافادة اللازمة عــن جراتكــم وتفيدونا ايضاً للمعلومية وسلامي على كافة اخوانكم واولادكم ودمتم .

١٢ ربيع الاول ١٣٠٢ م .

الختم احمد جودت
وكيل عموم دنقله / سابق

المصادر والمراجع

اولا : الوثائق

أ ـ وثائق المهدية ـ دار الوثائق المركزية بالخرطوم

١ ـ مهدية ٨ ـ منشورات ورسائل المهدي

٢ ـ مهدية ٣ ـ الرسائل ـ دفاتر الصادر

٣ ـ مهدية ١/١ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وعبد الرحمن النجومي

٤ ـ مهدية ١/٢ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ومساعد قيدوم

٥ ـ مهدية ١/١٠ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ومحمد خالد

٦ ـ مهدية ١/١١ و ١/١٢ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله وعثمان آدم

٧ ـ ١/٢٢ و ١/٢٣ و ١/٢٤ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالله ويونس الدكيم

٨ ـ مهدية ١/٢٥ و ١/٢٦ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة عبداللهوسائر الامراء وحمدان ابي عنجه

٩ ـ مهدية مجموعة ٢ ـ الرسائل المتبادلة بين الخليفة وبعض صغار الامراء

(ب) مخابرات الجيش المصري

(١٠) محفظة رقم ١/٢٥

(١١) محفظة رقم ١/٤٤

(١٢) محفظة رقم ١/٥٠

(١٣) محفظة رقم ١/٦

(ح) ارشيف مجلس الوزراء المصري

(١٤) محفظة رقم ٨١ رسائل من محمود علي بك نسيخ وناظر عموم الامراء الى الخديوي

(١٥) محفظة رقم ١٢١ اوراق متعرفة عن الحركة في السودان

(١٦) صور خطابات مختلفة ارسلت الى دار الوثائق المركزية بالخرطوم دون ذكر ارقام المحافظ / اوردت صورا لبعضها في الملاحق .

ثانيا / المراجع العربية

(أ) الكتب العمومية : ـ

(١) ابراهيم شحاتة حسن (دكتور) مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة العوام (الاسكندرية ١٩٧١م) ..

(٢) ابراهيم فوزى / السودان بين غردون وكتشنر جزءان ١٣١٩ هـ

(٣) احمد امين ـ المهدي والمهدوية

(٤) احمد امين شليمى / دكتور / التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية

(٥) اسماعيل عبد القادر الكردفاني / سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي / تحقيق الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم بيروت ٧٣

(٦) عبدالله على ابراهيم الصراع بين المهدي والعلماء

(٧) علي المهدي / جهاد في سبيل الله اعداد عبدالله محمد احمد (الخرطوم)

(٨) فان فلوتن ـ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ترجمة دكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (الطبعة الاولى / القاهره ١٩٣٤م) .

(٩) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ ترجمة لبيب امين فارس ومنير البعلبكي

(١٠) محمد ابراهيم ابو سليم (دكتور) منشورات المهدية (بيروت ١٩٦٩).

(١١) محمد ابراهيم ابو سليم (دكتور) الحركة الفكرية في المهدية (الخرطوم ١٩٧٠ م) .
(١٢) محمد فؤاد شكري (دكتور) السنوسية دين ودولة ، القاهرة ١٩٤٨ م .
(١٣) محمد فؤاد شكري (دكتور) مصر والسودان ، الطبعة الثالثة، القاهرة سنة ١٩٦٣ م .
(١٤) محمد أحمد الجابري ، في شأن الله او التاريخ السوداني كما يرويه أهله .
(١٥) محمد صبري (دكتور) الامبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٤٨ م.
(١٦) محمد عوض محمد ، السودان الشمالي ، القاهرة ١٩٥١ م.
(١٧) مكي شبيكة (دكتور) السودان في قرن .
(١٨) موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسى ، الخرطوم .
(١٩) رودلف سلاطين ، السيف والنار في السودان ، تعريب جريدة البلاغ، نشر مكتبة الحرية ، أم درمان .

(ب) الدوريات العربية :

(١) محمد ابراهيم أبو سليم (دكتور) مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية، مجلة الدراسات السودانية (١) ١٩٦٨ م.
(٢) محمد ابراهيم أبو سليم (دكتور) المصادر الاولية لفترة المهدية، المؤتمر الثاني ، شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، السابع الى الثامن عشر ديسمبر ١٩٧٠ م.
(٣) محمد رفعت رمضان (دكتور) محفوظات الخرطوم ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثامن ، ١٩٦٣ م.
(٤) محمد محجوب مالك ، النظام البيروقراطي في دولة المهدية ، مجلة الخرطوم ، ديسمبر ١٩٦٦ م.

رابعا : الرسائل غير المنشورة :

(١) أحمد عثمان ، الجزيرة في خلال المهدية .
(٢) محمد ابراهيم ابو سليم ، مخطوط توتشكى .
(٣) محمد ابراهيم ابو سليم ، مفهوم الخلافة وولاية العهد في المهدية .
(٤) محمد سيد داوود ، الصراع بين أولاد العرب وأولاد البلد .

(ب) غير العربية :

1. AL-HAJJ, The Mahdist Tradition in Northern Nigeria.

2. JOHN OBERT VOLL : A History of the Khatmiyyah Tariqah in the Sudan.

3. BROWN, KARL. L. : The Sudanese Mahdi is off, 145, on Article in « Protest and Power in Black Africa », ed. by Robert and Al Mazrin — Newport. Oxford University Press, 1974.

4. HILL, R. : A Biographical Dictionary of the Angelo Egyptian Sudan (1953).

5. HOLT, P. M. : The Mahdist State in the Sudan (1881-1893), Oxford 1954.

6. JOHN O. VALL : A History of the Khatmiyah Tariquah in the Sudan (Unpublished).

7. NEWFOLD, K. : Prisoner of the Khalifat, 1899.

8. OHRWALDER, J. : Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp . 1882-1892, tr. and ed. by F. R. Wingate (1896).

9. SLATIN, R. C. VON : Fire an Sword in the Sudan , tr. by F. R. wingate, 1896.

10. THEOBALD, A. B. The Mahdiya, 1949.
11. TRININGHAM, J. S. : Islam in the Sudan.

B .. Periodicals :

S. N. R.

Vol. (4) 1921 WILLIS, C. W. : Religious Confraternitions of the Sudan, P. P. 175—194.

Vol. (9) 1926, REID, J. A. : The Story of Mahdist Emir.

Vol. (17) 1943, BOLTON, A. R. C. : El Menna Ismail a Fiki and Emir in Kordafan, P.P. 229—241.

Vol. (19) 1936, LORMIER, F. C. S. : The Mejdhub of El Eamer , P.P. 335—402.

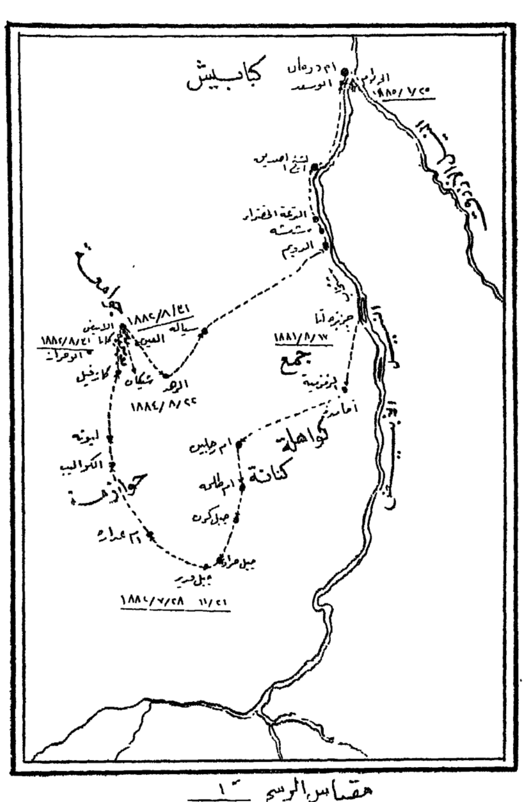
Vol. (21) 1936, REID, J. A. Some Notes on the Khalifa Abdullahi.

Vol. (13) 1950, THEOBALD, A. B. : The Khalifa Abdullahi , P . P . 255—273.

Vol. (16) 1955, HOLT, P. M. : Archives in the Mahdia, P. P . 71—80.

B. St. Antony's Paper , Middle East Affairs , London, 1958.

P. M. HOLT : The Source Materials of the Sudanese Mahdia , P. P. 107—118.



مقياس الرسم ١ / ٣٬٠٠٠٬٠٠٠

طريق سير المهدي من الجزيرة ابا الى الخرطوم

الفهرست

الباب الاول

الفصل الاول

فكرة المهدية

الفصل الثـالث :

البــاب الثاني

معــارضة الــراي

الفصل الرابــع

معارضة الدولة

الفصل الخـامس

الفصل السادس :

معارضة رجال الطرق الصوفية

الفصل السابع :

المعارضة من الداخل

الفصل الثـامن :

معارضة الاشراف وأولاد البلـد

الفصل التـاسع

الموقف القبلي

اللاحق

